الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من سورة الزمرحتى نهاية سورة محمد

إعداد الباحث
عماد شعبان الشريف

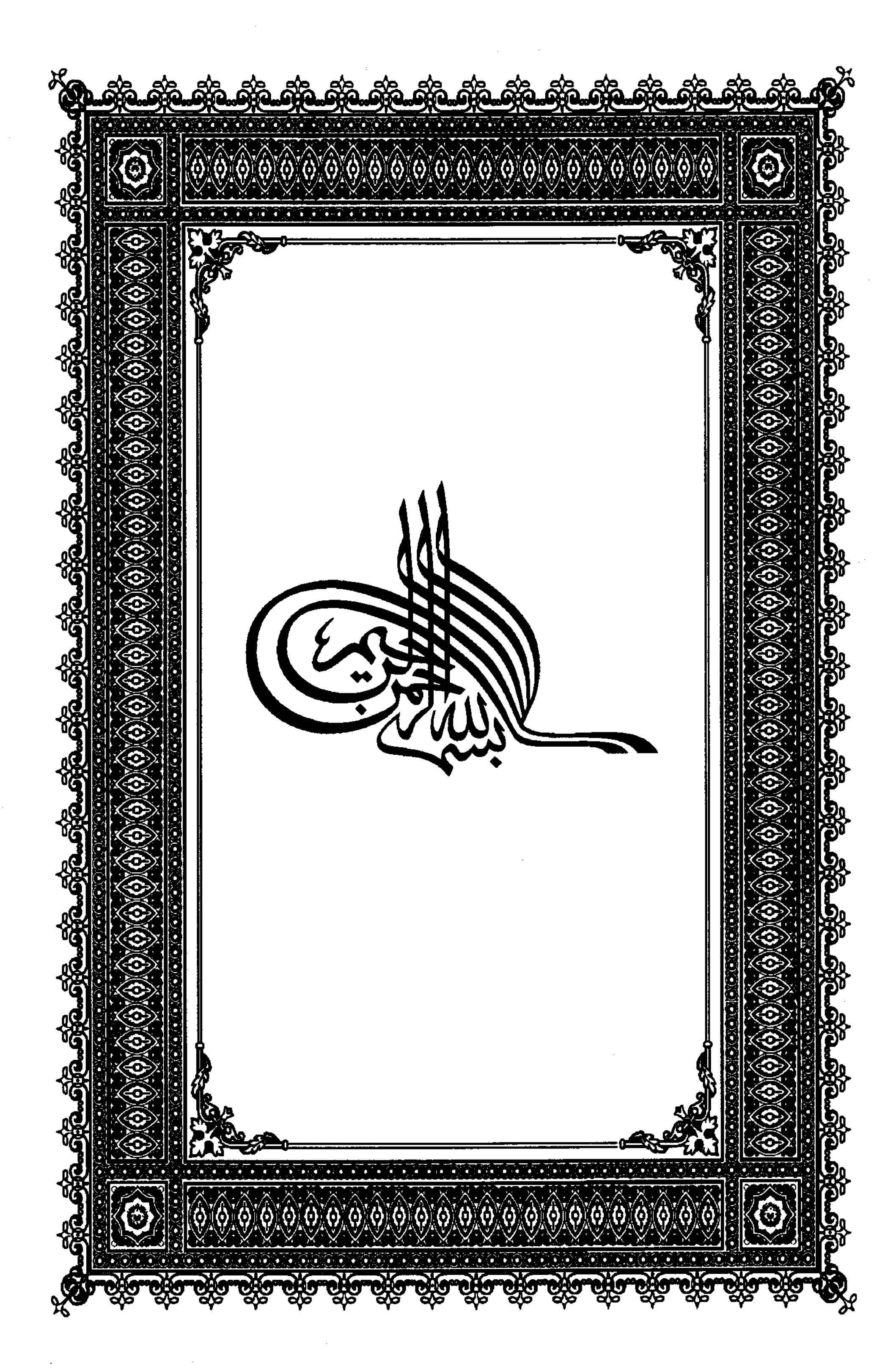
إشراف الدكتور
د. رياض محمود قاسم

ضبط ومراجعة
د.مروان محمد أبوراس

الجزء الحادي عشر

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين - غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسيروعلوم القرآن بكلية أصول الدين
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م



بسم الله الرحمن الرحيم



﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]



شكرٌ وتقديرٌ

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان: ١٢] ومن قول الرسول ﷺ **«لا يشكر الله من لا يشكر النَّاس»**(١).

فإنني أتوجه بدايةً بالحمد والثناء إلى الله تعالى الذي وفقني لإتمام هذا البحث ثم أتوجه بخالص شكري وامتناني إلى أستاذي الجليل فضيلة الدكتور/ رياض محمود قاسم الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وقد جاد عليَّ بإرشاداته السديدة، ونصائحه الدقيقة، وملاحظاته القيمة العميقة، كل ذلك بطلاقة وجه ورحابة صدر، فجزاه الله عني خير الجزاء وبارك الله له في وقته وعلمه.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذيّ الجليلين، عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور/ عبدالرحمن يوسف الجمل... حفظه الله

وفضيلة الدكتور/ زكريا إبراهيم الزميلي...حفظه الله

لقبولهما مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من جهدٍ ووقتٍ في قراءته

---

(١) مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة، ج٢ ص٢٩٥ ح٧٩٢٦، سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج٤ ص٢٥٥ ح٤٨١١، وسنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ج٤ ص٣٣٩، ح١٩٥٤، وقال الترمذي هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

رُغم أعبائهما الكثيرة، وأسأله سبحانه أن ينفعني بملاحظاتهما التي يبديانها لتحسين هذا البحث وتزيينه.

ولا يفوتني هنا أن أسجل شكري وامتناني إلى الجامعة الإسلامية الغراء التي أنهلتنا من معينها الصافي الشيء الكثير، ممثلةً برئيس الجامعة الأستاذ الدكتور/ كمالين كامل شعث.

كما لا يفوتني أن أرفع أغلى برقيات الشكر والثناء إلى أساتذتي الكرام أعضاء الهيئة التدريسية في كلية أصول الدين، على دورهم الرائد في الجامعة وخارجها ونسأله سبحانه أن يوفقهم لأداء الأمانة التي كلفوا بها.

وكذلك أبرق بشكري وتقديري إلى عمادة الدراسات العليا ممثلةً بعميدها الدكتور/ مازن إسماعيل هنية وأساتذتها الكرام.

وأبرق بالشكر العميق إلى الإخوة في المكتبة المركزية، ودائرة العلاقات العامة على جهدهم في تسهيل مهمة الباحثين.

وأبرق بالشكر العميق والحب والتقدير لشيخي وأستاذي المربي الفاضل الأستاذ: محمد صالح طه (أبو أيمن) على ما قدَّم من جهدٍ في تدقيق الرسالة ومراجعتها.

وكذلك أبرق بالشكر والتقدير إلى الأخ الفاضل عبدالله محمد شعيب على ما بذل من جهد كبير في طباعة الرسالة وتنسيقها.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لجميع أفراد عائلتي، وإخواني في مسجد التقوى على تشجيعهم لي لإكمال دراستي في مجال التفسير وعلوم القرآن.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير لإدارة مدرستي ممثلةً بناظرها ومساعديها على ما قدموه لي من تسهيلات أثناء الدراسة.

وأخيراً أتوجه بشكري وتقديري لكل من ساهم في إخراج هذه الرسالة إلى النور ولو بأقل مجهودٍ.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفصل الأول
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الزمر ـ غافر ـ فصلت

المبحث الأول: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الزمر المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة غافر المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة فصلت المتضمنة للقراءات العشر.



المبحث الأول
عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الزمر
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لِيَضِلَّ عَن سَبِيلِهِ) بفتح الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ بضم الياء(٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

الضلال: هو العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية، ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً(٣).

وجاء في لسان العرب: الإضلال في كلام العرب ضد الهداية والرشاد، يقال: أضللتُ فلاناً إذا وجهته للضلال عن الطريق، وضلَّ الشيء

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٠، حجة القراءات ص٦١٩.

(٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٥٠٩.

يضل ضلالاً أي: ضاع وهلك[٤].

التفسيـر:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عن حال الإنسان الكافر إذا أصابه شدةٌ من فقرٍ أو مرضٍ أو بلاءٍ، تضرع إلى ربه بالدعاء في إزالة تلك الشدة، مقبلاً إليه مخبتاً مطيعاً، ثم إذا أعطاه وملَّكه نعمةً منه، وفرَّج عنه كربته نسي هذا الإنسان ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضرِّ عنه، وقيل نسي الضرَّ الذي كان يدعو ربه لكشفه، وتمرَّد وطغى، وجعل لله شركاء في العبادة ليصد عن دين الله وطاعته.

قال الشوكاني: «نسي ما كان يدعو إليه من قبل أي: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه عنه من قبل بأن يخوله ما خوله، وقيل: نسي الدعاء الذي كان يتضرع به وتركه أو نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع إليه، ثم جاوز ذلك الى الشرك بالله وهو معنى قوله ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي شركاء من الأصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها»[٥].

وقال القرطبي: «﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: أوثاناً وأصناماً، وقال السدي: يعني أنداداً من الرجال يعتمدون عليهم في جميع أمورهم، ﴿ لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ أي: ليقتدي به الجهال»[٦]، قل تمتع بكفرك قليلاً: أمرٌ من الله بالتهديد لهذا الإنسان الكافر، أي تمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية وتلذذ فيها، وأنت على كفرك، عمراً قليلاً فإن مصيرك إلى نار جهنم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (لَيَضلَ) بالفتح أنه بسبب اتخاذه أنداداً لله فقد ضلّ هو عن سبيل الله أو ازداد ضلالاً إلى ضلاله، قال الزمخشري: «وقرئ (لَيَضل) بفتح

---

(٤) انظر لسان العرب ج١١ ص ٣٩١.

(٥) فتح القدير ج٤ ص ٦٣٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٠٢.

الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أنداداً ضلالُه عن سبيل الله او إضلاله»(٧).

وقال الألوسي: «(ليَضل) بفتح الياء أي: ليزداد ضلالاً أو ليثبت عليه»(٨).

وقال الإمام ابن زنجلة: «(لِيَضِلَّ عن سبيله) بفتح الياء أي: ليَضل هو، وحجتهما: قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٥](٩).

وأما قراءة (ليُضل) بالضم: تفيد أنه جعل لله أنداداً أي: شركاء من الأصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها ليضل الناس عن طريق الله التي هي الإسلام والتوحيد(١٠).

وقال أبو حيان: «وقرأ الجمهور (ليُضِلَ) بضم الياء، أي: ما اكتفى بضلال نفسه حتى جعل غيره يضل»(١١).

وقال الإمام ابن زنجلة: «وقرأ الباقون: (ليُضِلَّ) بضم الياء، أي: ليُضِلَ غيره، وإنما وصفه بالإضلال لأن الذي أخبر الله عنه ذلك قد ثبت له أنه ضال بقوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾»(١٢).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن لنا أنَّ هذا الكافر الذي أشرك بالله تعالى وجعل له أمثالاً وأشباهاً قد ضل عن سبيل الله تعالى ولم يكتف بضلال نفسه هو، إنما تعدى ذلك إلى إضلال الناس وصدهم عن سبيل الله تعالى وطاعته إما بفعله أو قوله إلى أن يشاركه في ذلك الإثم والضلال، فيزداد بذلك إثماً على إثمه، وضلالاً على ضلاله.

(٧) الكشاف ج٢ ص٣٨٩.
(٨) روح المعاني للألوسي ج٢٣ ص٢٤٥.
(٩) حجة القراءات ص٦١٩.
(١٠) انظر فتح القدير ج٤ ص ٦٣٥.
(١١) البحر المحيط ج٧ ص٤٠١.
(١٢) حجة القراءات ص٦٢٠.

٢ ـ قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير ونافع وحمزة (أَمَنْ هو قانتٌ) بتخفيف الميم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ بتشديد الميم[١٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

أمَّن تقديره: أَمْ مَنْ، وقال محمد محيسن: «(أمَّن) أصلها أم، مَنْ، فـ (أَمْ) للاستفهام و(مَنْ) اسم موصول بمعنى الذي[١٤]».

التفسير:

يُبَيِّن الله تعالى في هذه الآية حال المؤمن الصالح ووصفه بعد أن ذكر في الآية التي تسبقها حال الكافر وضلاله، وجحوده ومعصيته، قال محمد حجازي: «أما المؤمن الصالح فهذا وصفه بل أمَّن هو قانتٌ في جوف الليل ساجداً وقائماً يدعو ربه، ويحذر حسابه ويخشى عقابه، ويرجو رحمته كمن تقدم ذكره من العصاة، هل يستوي المؤمن والكافر والطائع والعاصي، لا يستويان أبداً، فإنه لا يستوي الذين يعلمون الحق فيتبعونه، ويعملون به والذين لا يعلمون الحق، ولذلك فإنهم يتخبطون تخبط العشواء، ويسيرون في ضلالةٍ عَمْياء وإنَّما يتذكر أولو الألباب، والعقول الصافية من المؤمنين»[١٥].

ويقول ابن كثير: «يقول ﷻ أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له

(١٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٣٦٢.

(١٤) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٥.

(١٥) التفسير الواضح لمحمد حجازي م٣ ج٢٣ ص٧٢.

أنداداً؟ لا يستوون عند الله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣](١٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (**أمَن**) بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من الموصولة، فيكون تقدير الكلام أمن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً كغيره؟ قال ابن عاشور: «قرأ نافع وابن كثير وحمزة وحدهم أَمَنْ بتخفيف الميم على أن الهمزة دخلت على، من الموصولة فيجوز أن تكون الهمزة همزة استفهام ومن مبتدأ والخبر محذوفٌ دلَّ عليه الكلام قبله من ذكر الكافر في قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾»(١٧).

وقال محمد سالم محيسن: «(أَمَنْ) قرأ نافع وابن كثير، بتخفيف الميم على أنَّ (من) موصولةٌ دخلت عليها همزة الاستفهام التقريري»(١٨).

وهناك وجهٌ آخر ذكره العلماء لقراءة (أَمَنْ) بالتخفيف وهو: أنَّ الألف للنداء، قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من خففه أنه جعله نداءً، فالألف للنداء ودليله (هل يستوي) ناداه، شبهه بالنداء ثم أمره»(١٩).

وقال ابن زنجلة: «ومن قرأ (أَمَنْ) بالتخفيف فإن معناه (يامن هو قانتٌ) والعرب تنادي بالألف كما تنادي بياء فتقول: يا زيد أقبل»(٢٠) وهذا القول أيَّده الفراء أيضاً(٢١).

وأمَّا قراءة (أمّن) بالتشديد «على أنَّ (من) موصولة دخلت عليها (أم)

---

(١٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٤٨.
(١٧) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص ٣٦٦٨.
(١٨) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٥.
(١٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٣٧.
(٢٠) حجة القراءات ص ٦٢١.
(٢١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص ٢٠٢.

المتصلة ثم أدغمت الميم في الميم»[٢٢].

قال الشوكاني: في معنى أَمَّنْ المشدَّدة «أم داخلة على من الموصولة وأدغمت الميم في الميم وأم هي المتصلة، ومعادلها محذوف تقديره: الكافر خير أم الذي هو قانتٌ، وقيل: هي المنقطعة المقدرة ببل، والهمزة أي: بل أمن هو قانتٌ كالكافر»[٢٣]. وعلى القول الأول الذي ذكره الشوكاني تكون الألف هنا استفهاميةً ويؤيده قول ابن زنجلة نقلاً عن الزجاج، قال: «من قرأ (أمّن) بالتشديد فمعناه: (بل أمَّن هو قانتٌ كغيره؟) أي: من هو مطيع كمن هو عاصٍ؟ ويكون على هذا الخبر محذوفاً لدلالة الكلام عليه كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]»[٢٤]. ويؤيده أيضاً الزحيلي، قال: (أمّن بالتشديد: بادخال (أم) بمعنى بل والهمزة على (من) بمعنى الذي، وليس بمعنى الاستفهام، لأنَّ (أم) للاستفهام، فلا يدخل على ما هو استفهامٌ، وفي الكلام محذوفٌ تقديره: العاصون ربهم خيرٌ أمن هو قانتٌ، ودخل على هذا المحذوف أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾»[٢٥].

٣. قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (لكنَّ الذين) بتشديد نون لكن.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ﴾ بالتخفيف[٢٦].

(٢٢) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٥.
(٢٣) فتح القدير ج٤ ص ٦٣٦.
(٢٤) حجة القراءات ص٦٢٠.
(٢٥) التفسير المنير للزحيلي ج٢٣ ص٢٥٥.
(٢٦) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن منظور: «يقول الفراء: للعرب في لكنَّ لغتان: بتشديد النون مفتوحة، وإسكانها خفيفة فمن شدَّدها نصب بها الأسماء، ولم يلها فعل ولا يفعل، ومن خففً نونها وأسكنها ولم يعملها في شيءٍ اسمٍ ولا فعلٍ، وكان الذي يعمل في الاسم الذي بعدها، ما معه مما ينصبه أو يرفعه أو يخفضه، وقال الجوهري: لكن، خفيفةٌ وثقيلةٌ، حرف عطفٍ للاستدراك، والتحقيق يوجب بها بعد نفيٍ، إلَّا أنَّ الثقيلة تعمل عمل إنَّ، تنصب الاسم وترفع الخبر، ويستدرك بها بعد النفي والإيجاب... والخفيفة لا تعمل لأنها تقع على الأسماء والأفعال»[٢٧].

التفسير:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عن عباده المتقين السعداء أنَّ لهم غرفاً في الجنّة وهي القصور الشاهقة من فوقها غرفٌ مبنيةٌ، طباقٌ فوق طباقٍ مبنياتٌ محكماتٌ مزخرفاتٌ عالياتٌ[٢٨].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه لهم في الجنّة غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنيةٌ علالي بعضها فوق بعضٍ تجري من تحتها الأنهار، يقول تعالى ذكره: تجري من تحت أشجار جنَاتها الأنهار»[٢٩].

وقال الدكتور محمد محيسن: «والذين اتقوا ربهم وآمنوا به وخافوا عقابه سيجزيهم الله تعالى يوم القيامة خيراً بأن يدخلهم الجنة وينزلون فيها منازل رفيعةً ويتمتعون فيها بشتى أنواع المتع التي لا تخطر على قلب بشرٍ، من ذلك أنهم يقيمون في قصورٍ فخمةٍ ذات حدائق غناء تجري من تحتها

(٢٧) لسان العرب ج١٢ ص٢٩٣.
(٢٨) انظر تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٥٠.
(٢٩) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج٢٣ ص٢٠٨.

الأنهار، وبهذا وعد الله المؤمنين والله لا يخلف الميعاد»(٣٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (لكنَّ) بالتشديد أنَّ لكنَّ عاملةٌ ناصبةٌ لاسمها وعندئذٍ تكون الذين اسمها في محل نصب.

وأما قراءة (لكنِ الذين) بنون ساكنة مخففة مع تحريكها وصلاً بالكسر تخلصاً من الساكنين فإنَّها تفيد أن لكن مخففةٌ مهملةٌ، وعندئذ تكون الذين مبتدأً(٣١).

وقال الدمياطي: «واختلف في (لكن الذين اتقوا) .. فأبو جعفر بتشديد النون، فيها فالموصول محله النصب والباقون بالتخفيف، فالموصول رفع بالابتداء»(٣٢).

٤ .قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير والبصريان(٣٣) (سالِماً) بألف بعد السين وكسر اللام.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿سَلَمًا﴾ بغير ألف وفتح اللام(٣٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

السِّلم والسَّلامة: البراءة، وقيل السِّلم: اسم بإزاء حرب، السِّلم

(٣٠) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٦.

(٣١) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٦.

(٣٢) إتحاف فضلاء البشر ص٢٣٤.

(٣٣) البصريان: (أبو عمرو، ويعقوب).

(٣٤) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٢، المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني ص٢٣٦.

والسَّلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والإسلام: الدخول في السِّلم، وهو أن يَسْلَم كل واحدٍ منهما أن ينالَه من ألم صاحبه[٣٥].

وقال ابن منظورٍ: «السَّلام والسَّلامة: البراءة، وتسلَّمَ منه: تبرأ، وقال الأعرابي: السَّلامة العافية، وقال: والسَّلام والاستسلام وحكى السِّلم والسَّلمُ الاستسلام ضد الحرب وفي التنزيل العزيز: ورجلاً سلماً لرجلٍ، وقلبٌ سليمٌ أي: سالمٌ «والإسلام والاستسلام: الانقياد والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع»[٣٦] وقال شهاب الدين المصري: «سلماً لرجل: أي خالصاً له لا يشركه فيه غيره يقال سلم بالشيء لفلانٍ إذا خلص له»[٣٧].

التفسيـر:

يضرب الله تعالى مثلاً في هذه الآية لصنفين مختلفين من الناس أحدهما مؤمنٌ بربه موحدٌ له لا يعبد سواه ولا يسعى لإرضاء غيره، والآخر مشركٌ بالله تعالى يعبدُ آلهةً غيره ويتجه إلى شركاء مختلفين، فهو في حيرةٍ وارتباكٍ لا يدري كيف يرضيهم جميعاً وهذا مثله مثل رجلٍ مملوكٍ لشركاء متشاكسين أي: مختلفين كلٌ له رأيٌ وحاجةٌ وكلٌ يطلب من هذا العبد حاجةً لا يطلبها الآخر فيظل حائراً متخبطاً لا يستطيع أن يلبي حاجة أحدٍ أو يُرضيَ أحداً منهم، وأمَّا الأول المؤمن فمثله مثل رجلٍ مملوكٍ لشخصٍ واحدٍ، فهو سالمٌ له ليس لغيره سبيلٌ عليه، فيخلص له في طلبه ويسعى لإرضائه دائماً، فهل يستوي حال كلٌ منهما[٣٨]، ويقول القرطبي: «هذا الذي يخدم جماعةَ شركاء أخلاقهم مختلفة، ونيَّاتهم متباينةٌ لا يلقاه رجلٌ إلا جرّه واستخدمه، فهو يلقى منهم العناء والنصب والتعب العظيم، وهو مع ذلك كله لا يرضي واحداً منهم بخدمته لكثرة الحقوق في رقبته، والذي يخدم واحداً لا ينازعه

---

(٣٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٣.
(٣٦) انظر لسان العرب ج١٢ ص٢٩٣.
(٣٧) التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين المصري ج١ ص٣٦٣.
(٣٨) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٣ ص٧٨ ـ ٧٩.

فيه أحدٌ، إذا أطاعه وحده عرف ذلك له وإن أخطأ صفح عن خطئه، فأيهما أقل تعباً أو على هدىً مستقيم»[٣٩]. «مما لا شك فيه أن الذي لا يخدم إلَّا واحداً أهدأ بالاً وأسعد حياةً فإذا ثبت ذلك تبيّن بطلان القول بادعاء الشركاء وثبت أنَّ الله إلهٌ واحدٌ لا شريك له»[٤٠]، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثيرٍ والبصريان (سالِماً) بألفٍ بعد السين وكسر اللام: اسم فاعلٍ من سلم أي: خالصاً له من الشركة، وأمَّا قراءة الجمهور (سَلماً) بفتح السين واللام بدون ألفٍ: مصدر وصف به مبالغةً في الخلوص من الشركة[٤١].

قال البغوي: «قرأ أهل مكة والبصرة سالماً بالألف أي: خالصاً له لا شريك ولا منازع له فيه، وقرأ الآخرون سلماً بفتح اللاَّم من غير ألفٍ وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم هو لك سلمٌ أي مسلمٌ لا منازع لك فيه»[٤٢].

الجمع بين القراءات:

وعند الجمع بين القراءتين لا نجد كبير فرقٍ في المعنى إلَّا أن الأولى (سَالِماً) تفيد الخلوص من الشركة لأنَّ «الخالص ضد المشرك»[٤٣]، وأمَّا الثانية (سَلَماً) فهي إضافة إلى أنها تفيد الخلوص من الشركة ففيها زيادة معنىً ومبالغة في الخلوص والاستسلام لدرجة عدم وجود منازعٍ له فيه لتسليمه له بالكليَّة لأنَّ التعبير بالمصدر أقوى في الدلالة من التعبير باسم

(٣٩) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢١٥.
(٤٠) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٧.
(٤١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨١.
(٤٢) معالم التنزيل ج٤ ص٧٨٧.
(٤٣) حجة القراءات ص ٦٢٢.

الفاعل، فاسم الفاعل يدل على حدوث الفعل ولا يعني ذلك ثبوته على الدوام، بينما يدل المصدر على ثبوت الحالة التي هو عليها من الخلوص والاستسلام(٤٤). والسلم ضد التنازع، فكان تأويله: «ورجلاً سُلِّمَ لرجلٍ فلم ينازع فيه، ومنه قيل للسلف: سَلَمٌ لأنه سلِّم إلى من استلفه»(٤٥).

٥. قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر: ٣٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف (عِبَادَهُ) بألف على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَبْدَهُۥ﴾ بغير ألف على التوحيد(٤٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

العبدُ: هو الإنسان حرّاً أو رقيقاً، يُذهبُ بذلك إلى أنه مربوبٌ لباريه ﷻ، ويقال فلانٌ عبدٌ بيِّن العبودية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل(٤٧).

يقال: «عبَد الله، عبادةً، وعبوديَّةً: انقاد له وخضع وذَلَّ. ويقال: عبَّدَه: ذلَّله، وفي التنزيل: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢]»(٤٨).

التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق الرّد على كفار قريشٍ عند تهديدهم للنبي ﷺ

(٤٤) انظر اسم الفاعل من كتاب الأبنية في العربية ص٤٦.
(٤٥) حجة القراءات ص ٦٢٢.
(٤٦) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٣.
(٤٧) انظر لسان العرب ج٢ ص٢٧١.
(٤٨) المعجم الوسيط ص٦٠٨.

بآلهتهم أنها ستصيبه بسوءٍ كما يزعمون بسبب سبّه آلهتهم وتعييبها، فأنزل الله تعالى هذه الآية يخبره سبحانه فيها أنه حاميه وكافيه من كل سوءٍ وشرٍ وحافظه من كل أذىً وبأسٍ فلا معنى لتهديدهم وتخويفهم رسول الله ﷺ لأنَّ هذا التخويف والتهديد في غير محله وهو محض كذبٍ وافتراءٍ وادعاءٍ باطلٍ لا أساس له من الصحة لأنَّ هذه الأوثان لا تضر ولا تنفع. والهمزة في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ للتقرير بمعنى: أليس الله كافياً عبده ورسوله محمداً ﷺ من شر من يريده بسوءٍ؟ قال أبو حيان: «قالت قريشٌ: لئن لم ينته محمدٌ ﷺ عن تعييب آلهتنا وتعييبنا، لنسلطها عليه فتصيبه بخبلٍ وتعتريه بسوءٍ فأنزل الله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أي شر من يريده بشرٌ، والهمزة الداخلة على النفي للتقرير، أي: هو كافٍ عبده، وفي إضافته إليه تشريفٌ عظيمٌ لنبيه»[49].

وقال أبو السعود: «هذه تسليةٌ لرسول الله ﷺ عمّا قالت له قريشٌ إنّا نخاف أن تخبلك آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبلٌ أو جنونٌ»[50].

وقال القرطبي: قال قتادة: «مشى خالد بن الوليد الى العزّى ليكسرها بالفأس، فقال له سادنها: أحذركها يا خالد فإنَّ لها شدةً لا يقوم لها شيءٌ، فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى كسرها بالفأس وتخويفهم لخالد تخويفٌ للنبي ﷺ لأنه الذي وجه خالداً»[51].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (عَبْدَهُ) على التوحيد أنَّ المراد بالخطاب هو سيدنا محمدٌ ﷺ بمعنى أليس الله بكافٍ عبده محمداً، ودلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام، وأمّا قراءة (عِبَادَهُ) على الجمع فإنَّها تفيد أنَّ المراد بالخطاب هو جميع الأنبياء عليهم السلام ثم رجع إلى مخاطبةِ محمدٍ ﷺ فهو داخلٌ في الكفاية[52]، وأضاف القرطبي على ذلك أن

(٤٩) انظر البحر المحيط ج٥ ص٧٠٧.

(٥٠) تفسير أبي السعود ج٤ ص ٦١٥.

(٥١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢١٩.

المؤمنين يدخلون في الخطاب أيضاً مع الأنبياء فقال: «وقرأ حمزة والكسائي (عِبَادَهُ) وهم الأنبياء أو الأنبياء والمؤمنون بهم»[٥٣].

وقال الدمياطي: «(عِبَادَهُ) بألفٍ على الجمع على إرادة الأنبياء والمطيعين من المؤمنين»[٥٤].

وتعقيباً على القراءتين يقول الطبري: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ لصحة معنييهما واستفاضة القراءة بهما في قراء الأمصار»[٥٥].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن المعنى: أنَّ الله ﷻ تكفل دائماً بحماية وحفظ عباده المؤمنين جميعاً، بدءاً بالأنبياء كلهم ومن بعدهم من آمنوا معهم وأطاعوهم إلى يوم الدين، وعلى هذا يكون الخطاب شمل جميع المؤمنين أيضاً بما فيهم سيدنا محمدٌ ﷺ والأنبياء قبله.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

القراءات:

١ ـ قرأ البصريان بتنوين (كَاشِفَاتٌ ـ مُمْسِكَاتٌ) ونصب (ضرَّه) و(رحمتَه).

---

(٥٢) انظر جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٣٩.

(٥٣) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢١٩.

(٥٤) إتحاف فضلاء البشر ص٤٨١.

(٥٥) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٥.

٢ - وقرأ الباقون بغير تنوينٍ فيهما وخفض (ضُرِّه) و(رَحْمَتِهِ)[٥٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - الكشف: كالضرب، والكاشفة: الإظهار، ورفع الشيء عما يواريه ويغطيه[٥٧].

كشف الشيء كشفاً: رفع عنه ما يواريه ويغطيه، ويقال: كشف الأمر: أظهره وكشف الله غمَّه أزاله[٥٨]، وفي التنزيل: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾[الدخان: ١٢].

٢ - الضُّر: الشدة والبلاء وسوء الحال، قال الأصفهاني: «سوء الحال، إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإما في حالةٍ ظاهرةٍ من قلة مالٍ أو جاهٍ»[٥٩]، يقول صاحب المعجم الوسيط: «ضرَّه، وبه ضُرّاً، وضَرَراً، ألحق به مكروهاً وأذىً»[٦٠].

٣ - «مسك: إمساك الشيء: التعلق به وحفظه، واستمسكت بالشيء: إذا تحريت الإمساك، ويقال أمسكت عنه كذا، أي: منعته»[٦١].

٤ - «الرحمة: النعمة والرخاء، وقال الأصفهاني: «الرحمة: رقةٌ تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارةً في الرقة المجردة، وتارةً في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو رحم الله فلاناً، وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا رُوي أن الرحمة من الله إنعامٌ وإفضالٌ، ومن الآدميين رقةٌ وتعطفٌ»[٦٢].

---

(٥٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٣.
(٥٧) انظر القاموس المحيط ص٣٨٦.
(٥٨) انظر المعجم الوسيط ص٥٧٩.
(٥٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٠٣.
(٦٠) المعجم الوسيط ص٥٣٨.
(٦١) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٦٨.
(٦٢) المصدر السابق ص ٣٤٧.

التفسيـر:

في سياق الرد على المشركين الذين يتوعدون محمداً ﷺ بنقمة أصنامهم عليه ومضرتها له، وفي سياق إقامة الدليل على بطلان الشرك وعبادة الأصنام وعجزها عن جلب النفع ودفع الضر وكشف السوء يقول المولى جل شأنه لنبيه محمدٍ ﷺ: «ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام من خلق السموات والأرض ليقولن الذي خلقهنَّ الله»[٦٣]، قال القرطبي: «بيَّن أنهم مع عبادتهم الأوثان مُقِرُّون بأن الخالق هو الله، وإذا كان الله هو الخالق فكيف يخوفونك بآلهتهم التي هي مخلوقةٌ لله تعالى، وأنت رسول الله الذي خلقها وخلق السموات والأرض؟»[٦٤]، ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يبكتهم بعد هذا الاعتراف ويوبخهم فقال: «أخبروني عن آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما أراده الله بي من الضر، هل تمنع هذه الأصنام ضرّاً أراده الله أو تمسك عني رحمةً أرادها الله بحيث لا تصل إليَّ، قل يا محمد (حسبي الله) أي عليه توكلت أي اعتمدت (وعليه يتوكل المتوكلون) أي: عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون»[٦٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بعض العلماء لا يجد اختلاف معنىً بين القراءتين سوى اختلافٍ في اللفظ تعلق بمعموله، فيقول ابن عاشور: «قرأ الجمهور (كاشفاتُ ضُرِّهِ) (ممسكاتُ رَحمَتِهِ) بإضافة الوصفين إلى الاسمين وقرأ أبو عمرو ويعقوب بتنوين الوصفين ونصب (ضرَّه) و(رحمَتَهُ) وهو اختلافٌ في لفظٍ تعلق بمعموله والمعنى واحدٌ»[٦٦]، وبعضهم اعتبر تقارباً بينهما في المعنى، قال

(٦٣) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٦.
(٦٤) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٢٠.
(٦٥) فتح القدير ج٤ ص٦٥٣.
(٦٦) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٢٩٦.

الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ»[٦٧]، إلاَّ أنَّ قراءة (هل هُنَّ كاشفاتٌ ضُرَه) و(ممسكاتٌ رحمتَهُ) بالتنوين والنصب أنها تفيد الحال والاستقبال بمعنى هل تستطيع آلهتكم أن تمنع عني ما ينزل بي من الضر أو تستطيع أن تحبس عني رحمةً أرادها الله، وعلى هذا يكون الضر والرحمة ما لم يقعا بعد، وأما القراءة الثانية (هل هنَّ كاشفتُ ضرِّه) و(ممسكاتُ رحمَتِهِ) بالضم دون التنوين مع الكسر لـ (ضرِّه) و(رحمتِه) بالإضافة، فإنها تفيد ما ثبت وقوعه ومضى، بمعنى إذا وقع بي ضرٌّ هل تستطيع آلهتكم أن تكشف ما وقع بي من الضّر أو الرحمة التي أصابتني من الله تعالى، قال الإمام ابن خالويه: «الحجة لمن نون: أنه أراد الحال والاستقبال، ولمن أضاف انه أراد: ما ثبت ومضى»[٦٨].

قال الفراء: «وللإضافة معنىً مضى من الفعل فإذا رأيت الفعل قد مضى في المعنى فآثر الإضافة فيه»[٦٩].

وقال ابن زنجلة: «حجة أبي عمرو ـ أي في قراءة التنوين والنصب ـ: أنَّ الفعل منتظرٌ وأنَّه لم يقع، وما لم يقع من أسماء الفاعلين إذا كان في الحال فالوجه فيه النصب، المعنى: هل هن يكشفن ضرَّه أو يمسكن رحمته، وحجة الإضافة: أن الإضافة قد استعملتها العرب في الماضي والمنتظر، وأنَّ التنوين لم يستعمل إلا في المنتظر خاصةً»[٧٠].

وبالجمع بين القراءتين يظهر زيادة معنى في عجز الآلهة عن كشف الضر حيث إنَّها لا تستطيع كشف ضرٌ وقع في الماضي أو هو واقعٌ في الحال أو سوف يقع في المستقبل وفي ذلك زيادة بيانٍ في ضعف الآلهة وعجزها، وكلتا القراءتين تحملان المعنى نفسه في عجز الآلهة وضعفها إلَّا

(٦٧) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٦.
(٦٨) الحجة في القراءات السبع ص٣١٠.
(٦٩) معاني القرآن للفراء ج٢ ص٤٢٠.
(٧٠) حجة القراءات ص٦٢٣، انظر الحجة في القراءات السبع ص٣٤٢.

أنَّ من يعجز عن تحقيق شيءٍ في الماضي وفي الحال وفي المستقبل يكون أشدُّ ضعفاً وعجزاً من غيره، والله أعلم، وفي ذلك زيادة تبكيتٍ وتوبيخٍ للكفار لعبادتهم ما هو عاجزٌ بالكلية عن تحقيق أي أمرٍ لهم.

٧. **قال تعالى: قل** ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الزمر: ٣٩ - ٤٠].

القراءات:

١ - قرأ شعبة (مَكانَاتِكُم) بألفٍ بعد النون على الجمع.

٢ - قرأ الباقون ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بغير ألفٍ بعد النون على الإفراد[٧١].

المعنى اللغوي للقراءات:

المكان عند أهل اللغة: الموضع الحاوي للشيء، ويقال مكنته ومكنت له فتمكن، وأمكنت فلاناً من فلانٍ، ويقال: مكان ومكانة وفي التنزيل: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ٢٠]، أي: متمكن ذي قدرٍ ومنزلةٍ[٧٢].

وجاء في لسان العرب: المكانة: التؤدة وقد تمكن ومرَّ على مكينته أي: على تؤدته، ويقال: الناس على مكاناتهم أي: على استقاماتهم، وفي التنزيل: ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على حيالكم وناحيتكم وقيل: أي على ما أنتم مستمكنون[٧٣].

وقال الزمخشري: «على مَكَانَتِكُم: أي على حالكم التي أنتم عليها

---

(٧١) انظر غيث النفع في القراءات السبع لمحمد شاهين ص٤٤٨ والمستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٣٠.

(٧٢) انظر مفردات الفاظ القرآن ص٧٧٣.

(٧٣) انظر لسان العرب ج١٣ ص٤١٤.

وجهتكم من العداوة تمكنتم منها»[٧٤].

التفسير:

يأمر الله ﷻ في هذه الآية سيدنا محمداً ﷺ بأن يقول للمشركين من قومه بعد أن أقام عليهم الدليل وألزمهم بالحجة التي لم يستطيعوا إنكارها: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ أي: اعملوا على طريقتكم وحالكم التي أنتم عليها من المكر والكيد والخداع، قال الألوسي: «على حالتكم أي: التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتهم فيها لأن المكانة نقلت من المكان المحسوس إلى الحالة التي عليها الشخص واستعيرت لها استعارة محسوسٍ لمعقولٍ... وقال: وجواز أن يكون المعنى اعملوا على حسب تمكنكم واستطاعتكم»[٧٥].

﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾: قال الشوكاني: «أي: على حالتي التي أنا عليها وتمكنت منها، وحذف ذلك للعلم به مما قبله، ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٩ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ أي: يهينه ويذله في الدنيا، فيظهر عند ذلك أنه المبطل وخصمه المحق، والمراد بهذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتل والأسر والقهر والذلة، ثم ذكر عذاب الآخرة فقال: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائمٌ مستمرٌ في الدار الآخرة وهو عذاب النار»[٧٦] والأمر في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ كما قال الألوسي: «للتهديد وإيراده بصيغة الأمر كما قال غير واحدٍ، مبالغةٌ في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعاً عازماً عليه فيحمله بالأمر على ما يؤدي إليه وتسجيلٌ بأنَّ المُهَدَدُ لا يتأتى منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتفصى[٧٧] عنه»[٧٨].

(٧٤) الكشاف ج٣ ص٣٩٩.
(٧٥) روح المعاني ج٢٤ ص٦.
(٧٦) فتح القدير ج٤ ص٦٥٢.
(٧٧) افتصَّ الشيء: فصله وانتزعه من غيره، وانفصَّ: انفصل، (انظر المعجم الوسيط ص٧٢٤).
(٧٨) روح المعاني ج٨ ص٣١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن خالويه: «قرأ أبو عليٍّ (على مَكَانَاتِكُم) جماعةٌ، وقرأ الباقون ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ واحدةٌ، مَنْ أفرد فلأنه مصدر، والمصادر تفرد في موضع الجمع لأنه يراد به الكثير كما يراد في سائر أسماء الأجناس، ومن جمع فلأنهم جمعوا»(٧٩).

وقال في موضع آخر: «الحجة لمن قرأه بالجمع أنه جعل لكل واحدٍ منهم مكانةً يعمل علَيها فجمع على هذا المعنى، ويحتمل أن يكون أراد بالجمع الواحد كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ والمخاطب بذلك محمدٌ ﷺ فإن قيل: فكيف أمرهم النبي ﷺ أن يثبتوا على عمل الكفر وقد دعاهم إلى الإيمان؟، فقل: إن هذا أمر معناه التهديد والوعيد، كقوله: (اعملوا ما شئتم) توعداً لهم بذلك»(٨٠).

وقال مكي بن أبي طالب: «(مَكَانَتِكُم) قرأه أبو بكر بالجمع، حيث وقع، جعله جمع مكانةٍ، وهي الحالة التي هم عليها، فلما كانوا على أحوال مختلفة من أمر دنياهم جمع، لاختلاف الأنواع وهو مصدر، فالمعنى: اعملوا على أحوالكم التي أنتم عليها، فليس يضرنا ذلك، وفي الكلام معنى التهديد والوعيد»(٨١).

والذي يراه الباحث: إنَّ قراءة (مَكَانَاتِكُم) بالجمع تعطي دلالات عدة في هذا السياق القرآني وهي:

١ ـ إنَّ الجمع يوحي بالطرائق المتعددة والأحوال المختلفة لمكر أولئك القوم وتفرع سبل الغواية والضلال في حين أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ توحي بأن طريق الحق واحدٌ لا يتبدل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ

---

(٧٩) الحجة في القراءات السبع ص١٢١.

(٨٠) المصدر السابق ص١٧.

(٨١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٤٥٢.

وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٢ ـ قراءة الجمع تستدعي التحدي الرباني الدَّال على القدرة الإلهية رغم تعدد مكرهم وسبل غوايتهم.

٣ ـ إنَّ زيادة التحدي لكفار قريشٍ بتجميع جهدهم وقوتهم وتعدد أحوالهم المختلفة تفيد زيادة معنىً ومبالغةً وشدةً في التهديد والوعيد لهؤلاء الكفار.

٨ ـ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (قُضِيَ عليها المَوتُ) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء و(الموتُ) بالرفع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ بفتح القاف والضاد و(الموتَ) بالنصب(٨٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

القضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً، ويعبر عن الموت بالقضاء، فيقال: فلانٌ قضى نحبه، كأنَّه فصل أمره المختص به من دنياه(٨٣) وفي التنزيل: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال ابن منظور: «القضاء: الحكم وأصله (قضايٌ) لأنه من قضيت، وقضى بمعنى الأداء والإنهاء فتقول قضيت دَيْنِي أي: أتممته، وقضى في

(٨٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٣٩، النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٣.

(٨٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٧٥.

اللغة على ضروبٍ، كلها ترجع الى معنى انقطاع الشيء وتمامه، فيقال: قضى القاضي بين الخصوم أي: قطع بينهم في الحكم»[٨٤].

التفسير:

في هذه الآية يسوق المولى ﷻ الدليل على وحدانيته ﷻ وكمال قدرته ووصف ذاته بكل كمالٍ وتنزيهها عن كل نقص، دليلاً لا يستطيع أحدٌ من كان صنماً أو غيره أن يشركه في ذلك، فالله تعالى هو الذي يتصرف في الوجود كيف شاء وبما شاء، وهو الذي يتوفى الأنفس ويقبضها من الأبدان، عند فناء آجالها وانقضاء مدة حياتها وهي الوفاة الكبرى، ويتوفى أيضاً الأنفس التي لم تمت في منامها وهي الوفاة الصغرى، كما يقول بعض العلماء، قال أبو حيان: «ومعنى يتوفى الأنفس، يميتها والتي أي: والأنفس التي لم تمت في منامها، أي يتوفاها حين تنام، تشبيهاً للنوم بالأموات، ومنه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] فبين الميت والنائم قدرٌ مشتركٌ، وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان، فيمسك من قضى عليها الموت الحقيقي، ولا يردها في وقتها حيةً، ويرسل النائمة لجسدها الى أجل ضربه لموتها»[٨٥]، وقال ابن كثيرٍ: «أخبر تعالى بأنه المتصرف في الوجود كما يشاء وأنه يتوفى الأنفس والوفاة الكبرى، بما يرسل من الحفظة - الملائكة - الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام»[٨٦].

وفي قوله تعالى: ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ أي: فيمسك الروح التي قضى على صاحبها الموت فلا يردها إلى البدن، ويرسل الأنفس النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى وقتٍ محدودٍ، هو أجل موتها الحقيقي، قال الطبري: «إنّ أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها

(٨٤) لسان العرب ج١٥ ص١٨٧.
(٨٥) البحر المحيط ج٧ ص٤١٤.
(٨٦) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٥٦.

أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجلٍ مسمًّى»[٨٧].

وقال القرطبي: «وفي الآية تنبيهٌ على عظيم قدرته تعالى، وانفراده بالألوهية، وأنه يفعل ما يشاء، ويحيي ويميت، لا يقدر على ذلك سواه»[٨٨].

ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، أي: إنَّ في هذه الأفعال العجيبة التي ذكرها في توفي الأنفس المائتة والنائمة وإرسالها إلى أجلٍ مسمًّى، لعلاماتٍ واضحةً قاطعةً على كمال قدرة الله وعلمه لقومٍ يجيلون أفكارهم ويعتبرون[٨٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

في القراءة الأولى (فيمسك التي قُضي عليها بالموت)، بضم القاف وكسر الضاد، ورفع الموت، يكون الفعل مبنياً للمفعول، والموت نائب فاعلٍ، وعلى هذا لم يذكر الفاعل هنا وذلك بسبب العلم به حيث من المعلوم أن الذي يقبض الأرواح ويتوفى الأنفس هو الله ﷻ، وكما يقول أهل اللغة: إن المبني للمجهول يكون له أغراضٌ منها: الجهل به، ومنها التعظيم، ومنها التحقير، ومنها العلم به، ومنها إيثار غرض السامع، لأنَّه ربما لم يشته ذكر الفاعل إما حبّاً له، وإمّا بغضه[٩٠]. ولذلك فإنَّ قراءة البناء للمفعول تكون في سياق العلم بالفاعل ولربما التعظيم لأنها تأتي في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى وإثبات وحدانيته، وهناك قولٌ آخر، لتدل على التيسير والسهولة في قضاء الموت، قال البقاعي: «(التي قضى)، أي ختم وحكم وبتَّ بتّاً مقدراً مفروغاً منه، وقراءة البناء للمفعول موضحةٌ لهذا

(٨٧) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٧.

(٨٨) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٢٣.

(٨٩) انظر البحر المحيط ج٧ ص٤١٤.

(٩٠) انظر توجيه اللمع لابن خباز ص١٢٧.

المعنى بزيادة اليسر والسهولة»[٩١].

وقال ابن عاشور: «(قُضِيَ عليها الموتُ)، ببناء الفعل للنائب وبرفع الموت وهو على مراعاة نزع الخافض والتقدير: قضي عليها بالموت: فلما حذف الخافض صار الاسم الذي كان مجروراً بمنزلة المفعول به، فحل نائباً عن الفاعل، أو على تضمين (قضيَ)، معنى كتب وقدر»[٩٢].

وأمّا قراءة ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾، بفتح القاف والضاد، ونصب الموت، بأن الفعل مبنيٌ للفاعل والمعنى في ذلك أن قضى الله عليها الموت، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾، وأما القرطبي فيعتبر أنَّ المعنى في القراءتين واحدٌ غير أن الأولى أبْيَن وأشبه بنسق الكلام[٩٣]. والباحث يرى: أنَّ إسناد الفعل إلى الله تعالى أشد تمكناً في الحدث من بنائه للمجهول، فما أسند إليه صراحةً أثبت وأقوى مما لم يسند إليه صراحة ويزيد معنى الفعل تأكيداً مما يتناسب مع إقامة الدليل على وحدانيته تعالى وتفرده بالألوهية.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون الدليل فيهما أقوى على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته، حيث إنَّ الله تعالى بيده كل شيءٍ ويفعل ما يشاء، ويحي ويميت ولا يقدر على ذلك سواه ومما يزيد ذلك عظمةً، أنَّ أَمْرَ قضاء الموت يكون بسهولةٍ ويسرٍ، وأصبح معلوماً لدى جميع الخلق أنَّ هذه القدرة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار المتفرد بالألوهية.

٩ ـ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر: ٤٤].

---

(٩١) نظم الدرر ج٦ ص٤٥٤.

(٩٢) التحرير والتنوير ج٢٤ ص٦٢.

(٩٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٢٣.

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (تَرْجِعُون) بفتح التاء وكسر الجيم على البناء للفاعل.
٢ ـ قرأ الباقون ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على البناء للمفعول[٩٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود، والرَّجْعُ: الإعادة، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات[٩٥]، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، يعني العبد إذا بعث يوم القيامة أبصر وعرف ما كان ينكر في الدنيا بقوله لربه: (ارْجِعُون) أي: ردُّوني إلى الدنيا[٩٦].

التفسير:

بعد تبكيت الله تعالى وتجهيله الكفار الذين عبدوا الأصنام من دون الله ـ في آيةٍ سابقةٍ ـ يأمر الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ أنْ يقول لهؤلاء المشركين: إنْ كنتم تعبدون هذه الآلهة التي لا تملك لكم ضرّاً ولا نفعاً لتكون لكم شفعاء يوم القيامة، فإنَّ الشفاعة لله وحده، ولا يملك أحدٌ شفاعةً إلاَّ بإذنه، لأنَّ ملك السموات والأرض له وحده ولا يشركه فيه أحدٌ، ثمَّ إليه وحده الأمر والمصير يوم القيامة، وإليه تُرْجعون فيحاسبكم على أعمالكم[٩٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تُرْجَعُون) على البناء للمفعول أنَّ الرجوع يوم القيامة

(٩٤) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٢، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٤٨.
(٩٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٤٢.
(٩٦) لسان العرب ج٨ ص١١٤.
(٩٧) انظر فتح القدير ج٤ ص٦٥٥، التفسير الواضح م٣ ج٢٤ ص٩.

يكون على غير إرادتهم إلى الله تعالى قسراً وبأيسر أمرٍ من أمره، وهم كارهون بقوةٍ خارجةٍ عن الإرادة تدفعهم بالرجوع إلى الله تعالى. وأمَّا قراءة (تَرْجِعون) على البناء للفاعل، فقد أفادت وقوع الرجوع منهم وبذاتهم إلى الله تعالى يوم القيامة ليحاسبهم سواء كرهوا أم رضوا ذلك. قال ابن عاشور: «و(تُرجَعون) بضم التاء وفتح الجيم في قراءة الجمهور، وقرأَهُ يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم والقراءة الأولى على اعتبار أن الله أرجعهم وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث، والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر»[98].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أن الجميع راجعٌ إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب سواءً أحبَّ لقاء الله تعالى واختار الرجوع إليه أم كره لقاءه وأُجبِر على الرجوع فيجازي اللَّهُ كلاًّ بعمله.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف العاشر (لا تَقنِطُوا) بكسر النون.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾ بفتح النون[99].

المعنى اللغوي للقراءات:

القُنُوط: اليأس من الخير، يقال قَنَطَ يَقْنَطُ قنوطاً وقَنِط يَقنَط[100].

---

(٩٨) التحرير والتنوير م١ ج١ ص٣٧٧ عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٩٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٢، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص ٣١.

(١٠٠) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٨٥.

قال ابن منظور: القُنوط بالضم: المصدر، وقَنِطَ يَقنِطُ ويقنُط قُنوطاً مثل جلس يجلس جلوساً، وقَنِطَ قنطاً وهو قانِط: يائس، وأما قَنَط يقنَط بالفتح فيهما، وقَنِطَ يَقنِط، بالكسر فيهما، فإنما هو على الجمع بين اللغتين(١٠١).

التفسير:

هذه الآية الكريمة تبعث في النفوس الأمل والرجاء والثقة بالله تعالى بأن يغفر الله لهم ذنوبهم ويرحمهم فهو عظيم المغفرة واسع الرحمة بعباده، يعلم ضعفهم وعجزهم، فيغفر ذنوب من يتوب إليه توبة خالصةً صادقةً ويتبع شرعه ويمتثل أوامره، يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصيةٍ كائنةً ما كانت، وإنَّها الدعوة للأوبة، دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله، إنَّ الله رحيمٌ بعباده، وهو يعلم ضعفهم وعجزهم، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم ومن خارجه، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصدٍ، ويأخذ عليهم كل طريقٍ... ثم يقول: يعلم الله سبحانه عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له العون، ويوسع له في الرحمة، ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيئ له جميع الوسائل ليصلح خطأه ويقيم خطاه على الصراط، وبعد أن يلج في المعصية ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره، ولم يعد يقبل ولا يستقبل، في هذه اللحظة، لحظة اليأس والقنوط يسمع نداء الرحمة الندى بلطف: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾»(١٠٢).

في هذه الآية يأمر الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ أنْ يُخبر الذين أفرطوا في الجناية على أنفسهم بالمعاصي والآثام ألا ييئسوا من مغفرة الله ورحمته فإنَّ

(١٠١) انظر لسان العرب ج٧ ص٣٨٦.

(١٠٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ج٥ ص٣٠٥٨.

الله تعالى يغفر جميع الذنوب بمغفرته ويعفو عمَّن يشاء بعفوه، وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: إنَّه عظيم المغفرة واسع الرحمة، وظاهر الآية يدل على أنَّها دعوةٌ للمؤمنين إلى عدم اليأس من رحمة الله تعالى والذي يدل على ذلك، إضافة العباد لنفسه الشريفة بقوله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ﴾ إلاَّ أنَّ السياق القرآني يدل على أن الآية عامَّةٌ في جميع أهل المعاصي مؤمنهم وكافرهم، قال ابن عاشور: «الخطاب بعنوان (يا عبادي) مرادٌ به المشركون ابتداءً بدليل قوله: ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ وقوله: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾... فهذا الخطاب جرى على غير الغالب في مثله في عادة القرآن عند ذكر (عبادي) بالإضافة إلى ضمير المتكلم إلى الله تعالى»[١٠٣].

وقال ابن كثيرٍ: «الآية الكريمة هي دعوةٌ لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبارٌ بأنَّ الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبةٍ، لأنَّ الشرك لا يُغفر لمن لم يتب منه»[١٠٤].

وأمَّا أبو حيان، فإنه يعتبر هذه الآية عامةً في كل كافرٍ يتوب، ومؤمنٍ عاصٍ يتوب، تمحو الذنب توبته، وعلى هذا فالغفران مشروطٌ بالتوبة الصادقة، ومقيدةٌ أيضاً بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة[١٠٥]، قال العلماء هذه أرجى آيةٍ في كتاب الله تعالى لمن يئس من التوبة.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين (تقنَطُوا بالفتح، وتقنِطُوا بالكسر) علاقةٌ لغويةٌ فقط والمعنى واحدٌ حيث إنَّ القُنُوطَ هو اليأس: قال الدكتور محمد

---

(١٠٣) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٤٠.

(١٠٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٥٩.

(١٠٥) انظر البحر المحيط ج٧ ص ٤١٦.

محيسن: (لا تَقْنَطُوا) : قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب وخلف العاشر، بكسر النون مثل ضرب يضرب، وهي لغة أهل الحجاز، وأسد، وقرأ الباقون بفتحها، مثل علم يعلم وهي لغة بعض العرب»(١٠٦).

وقال الشوكاني: في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦] قرئ بفتح النون من (يقْنَطُ) وبكسرها وهما لغتان»(١٠٧).

١١ ـ قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزمر: ٥٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (يَا حَسْرَتايَ) بياء مفتوحة بعد الألف وسكنها ابن وردان بخلافٍ عنه.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ بغير ياء(١٠٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

الحسرة: «الغم على ما فاته والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه»(١٠٩).

وقال ابن منظور: «الحَسرُ والحَسَرُ والحُسُور: الإعياء والتعب، والحسرة: أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيه،

---

(١٠٦) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٣١.

(١٠٧) فتح القدير ج٤ ص ١٨٤.

(١٠٨) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٦٦٣، وتحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ص١٩٧.

(١٠٩) مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٥.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: حسرة وندماً»(١١٠).

التفسير:

تشير الآية الكريمة إلى الحسرة والندم اللذين يشعر بهما الكافر يوم القيامة بسبب كفره وضلاله ومعصيته وتفريطه في أوامر الله تعالى وتقصيره في طاعته وحقه، ولم يقف الأمر به عند هذا الحد، بل كان من المستهزئين الساخرين بشريعة الله ودينه ورسوله والمؤمنين، والآية فيها تحذيرٌ لمن يتقاعس عن التوبة والإنابة إلى الله تعالى والدخول في دينه بعد أن بيَّن لهم في الآيات السابقة سعة رحمته وعظيم مغفرته، وأمرهم بأن يتوبوا إلى الله تعالى ويسلموا له ويتبعوا أوامره قبل أن يأتيهم العذاب بغتةً، فيتحسرون ويندمون أشدَّ الندم يوم القيامة، قال ابن كثير: «﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾ أي: يوم القيامة يتحسر المجرم المفرِّط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله ﷻ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي: إنَّما كان عملي في الدنيا عملُ ساخرٍ مستهزئٍ غير موقنٍ ولا مصدقٍ»(١١١).

وقال الطبري: «أخبر الله ما العباد قائلونه قبل أن يقولوه وعلمه قبل أن يعلموه، قال: ولا يُنبِّئك مثل خبير: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾»(١١٢).

وقال الشوكاني: «﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾ قال البصريون: أي: حذراً أنْ تقول نفسٌ، وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حالٍ تقولون فيها: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، قيل: «والمراد بالنفس النفس الكافرة، وقيل: المراد به التكثير... والحسرة:

(١١٠) لسان العرب ج٤ ص١٩٠.

(١١١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٦٢.

(١١٢) جامع البيان ج٢٤ ص١٤.

الندامة، ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾، على ما فرطت في طاعة الله، قاله الحسن، وقال الضحاك: على ما فرطت في ذكر الله، ويعني به القرآن والعمل به»[113].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يا حَسْرَتايَ) بالياء بعد الألف المبالغة في التحسر والندم يوم القيامة، قال البقاعي: «ودلَّ على تجاوز هذا التحسر الحد قراءة أبي جعفر، (يا حَسْرَتايَ) بالجمع بين العوض وهو الألف والمعوض عنه وهو الياء، وحلَّ المصدر لأنَّ ما حلَّ إليه أصرح في الإسناد وأفخم وأدل على المراد وأعظم»[114]، وكذلك تفيد تعدد الحسرات يوم القيامة لتتابع الحسرات، حسرةً بعد حسرةٍ، وربما تفيد تثنية الحسرة، جاء في البحر المحيط: «قرأ الجمهور يا حسرتا، بإبدال ياء المتكلم ألفاً، وأبو جعفر: يا حسرتاي، بياء الإضافة، وعنه: يا حسرتايْ بالألف والياء جمعاً بين العوض والمعوض، والياء مفتوحةٌ أو ساكنةٌ، وقال أبو الفضل الرازي في تصنيفه (كتاب اللوامح) : ولو ذهب إلى أنه أراد تثنية الحسرة مثل لبيك وسعديك، لأنَّ معناها لبٍّ بعد لبٍ وسعدٌ بعد سعدٍ، فكذلك هذه الحسرة بعد حسرةٍ، لكثرة حسراتهم يومئذٍ، أو أراد حسرتين فقط، من فوت الجنة لدخول النار مذهباً ولكان ألف التثنية في تقدير الياء على لغة بلحرث بن كعب»[115].

وقال ابن عاشور: وقرأ أبو جعفر وحْده (يا حَسْرَتايَ) بالجمع بين ياء المتكلم والألف التي جُعلت عوضاً عن الياء في قولهم: (يا حَسْرَتِي)[116]. والأشهر عن أبي جعفر أن الياء التي بعد الألف مفتوحةٌ، وتعدية الحسرة بحرف الاستعلاء كما هو غالبها للدلالة على تمكن التحسر من مدخول

(١١٣) انظر فتح القدير ج٤ ص٦٦١.
(١١٤) نظم الدرر ج٦ ص٤٦٣.
(١١٥) البحر المحيط ج٧ ص ٤١٧.
(١١٦) هذه قراءة الحسن وهي شاذةٌ، واستُشهِدَ بها هنا للدلالة على أنَّ القراءات الأخرى التي قرئ بها على غير ما يلفظه العرب بقولهم (يا حسرتي).

(على) و(ما) في (ما فَرَّطْتُ) مصدرية، أي على تفريطي في جنب الله»[117].

وأمَّا قراءة (يا حَسْرَتَا) بالألف بدل (يا حَسْرَتِي) وبدون ياء بعد الألف فإنها تدل على تعظيم الاستغاثة وشدتها حيث إنها أمكن في الاستغاثة بمد الصوت مع الألف، من الياء بدون ألفٍ مع أنَّ كليهما فيهما النداء والإستغاثة والعرب كانت تحول الياء التي في كتابة اسم المتكلم في الإستغاثة ألفاً فتقول يا ويلتا ويا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء[118].

الجمع بين القراءات:

قراءة (يا حَسْرَتِي) بدون ألف مدية تدل على التحسر والندم والاستغاثة، وقراءة (يا حَسْرَتَا) بدون ياء الإضافة أضافت معنى: المبالغة والشدَّة في الاصطراخ والاستغاثة والمناداة والندم، وأما القراءة الثانية: (يا حَسْرَتَاي) فقد أضافت معنىً آخرَ بالإضافة إلى المبالغة في الاصطراخ والاستغاثة والمناداة والندم وهو: تكرار الحسرات وكثرتها وتتابعها، حسرةً بعد حسرةٍ يوم القيامة على هذا الكافر واستحالة استدراكه ما فاته، وذلك عند انكشاف أحوال يوم القيامة وحلول أوجالها وأهوالها، فيتحسر على فوت الجنة ويتحسر على دخوله النار، ويتحسر على ما فاته في الدنيا دون الرجوع إلى الله تعالى... وفي ذلك أيضاً دلالةٌ على شدة التحذير والنذير والوعيد للكفار الذين لم يسلموا بعد قوله تعالى: ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦١].

القراءات:

١ ـ قرأ روح (وَيُنْجِي) بتخفيف الجيم مع سكون النون.

(١١٧) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٤٥ ـ ٤٦.

(١١٨) انظر جامع البيان١١ ج٢٤ ص١٣، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٣٠.

٢ ـ وقرأ الباقون (وَيُنَجِّي) بتشديد الجيم مع فتح النون[١١٩].

٣ ـ قرأ حمزة، والكسائِي، وخلف، وأبو بكر (بِمَفَازَاتِهِم) بألف على الجمع.

٤ ـ وقرأ الباقون (بِمَفَازَتِهِم) بغير ألف على الإفراد[١٢٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ وينَجِّي: أصل النَّجاء الانفصال من الشيء، ومنه نجا فلان من فلان وأنجيته ونجَّيتُه، والنَجوة والنَجاة: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وقيل: سُمِّي لكونه ناجياً من السيل[١٢١].

وجاء في لسان العرب: النجاء: الخَلاصُ منَ الشيءِ، نَجَا يَنْجُو نَجْواً ونَجَاءً، ونجَّى واستنجى كنَجَا، ومعنى نَجَوتُ الشيء في اللغة: خلَّصتُه وألقيتُه[١٢٢].

٢ ـ بمفازتهم: «الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة، والمفازة، قيل: سمِّيت تفاؤلاً للفوز، وسمِّيت بذلك إذا وصل إلى الفوز»[١٢٣].

وجاء في لسان العرب: «الفوز: النَّجاء والظفر بالأمنية والخير، وفاز به فوزاً ومفازاً ومفازةً، يقال: فاز بالخير وفاز من العذاب، وأفازه الله بكذا ففاز به أي: ذهب به»[١٢٤].

التفسيـر:

تأتي هذه الآية استكمالاً لبيان حال المؤمنين المتقين الذين اتقوا الشرك

---

(١١٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٢، والمستنير في القراءات العشر ص٣٨٩.
(١٢٠) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٣٦٣.
(١٢١) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩٢.
(١٢٢) انظر لسان العرب ج١٥ ص٣٠٥.
(١٢٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٤٧.
(١٢٤) لسان العرب ج٥ ص٣٩٢.

والمعاصي مرضاةً لله تعالى وعبادةً خالصةً له مقابل حال الفريق الآخر من الناس وهم المكذبون المتكبرون الذين تسود وجوههم نتيجةً للخزي الذي يصيبهم يوم القيامة، وأما هؤلاء المتقون فينجيهم الله تعالى بسبب سعادتهم وفوزهم بما كانوا يتمنون لا يمسهم خوفٌ ولا هلعٌ ولا جزعٌ ولا هم يحزنون في الآخرة، قال الزحيلي: «هذا حال الفريق الآخر في مواجهة المشركين المكذبين، وهو أنَّ الله ينجي الذين اتقوا الشرك ومعاصي الله من عذاب جهنم، ينجيهم بفوزهم، أي بنجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة، وينفي السوء والحزن عنهم يوم القيامة، بل هم آمنون من كل فزع»(١٢٥)، وعن النبي ﷺ تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة قال: «(يَحشرُ الله مع كلِّ امرئٍ عمله، فيكون عمل المؤمن معه في أحسن صورةٍ، وأطيب ريح، فكلَّما كان رعبٌ أو خوفٌ قال: لا ترع فما أنت بالمراد به، ولا أنت بالمعني به، فإذا كثر ذلك عليه قال: فما أحسنك فمن أنت، فيقول: أما تعرفني أنا عملك الصالح حملتني على ثقلي، فوالله لأحملنَّك، ولأدفعنَّ عنك فهي التي قال الله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾»(١٢٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (يُنْجِي) بتخفيف الجيم مع سكون النون تفيد مطلق النجاة لبعض من اتقى وهي تدل على قصر مدة الفعل وسرعته بدون مبالغةٍ في الفعل، وهذه النجاة عامةٌ لجميع المتقين.

وأمَّا قراءة (ينَجِّي) بتشديد الجيم مع فتح النون فإنَّها تفيد التعظيم والمبالغة في الإنجاء مع التكرار، قال فضل السامرائي: «إنَّ (فعَّل) يفيد التكثير والمبالغة غالباً نحو قطَّع وفتَّح وكسَّر وحرَّق، . . . ومن مقتضيات

---

(١٢٥) التفسير المنير ج٢٤ ص٤٤.

(١٢٦) ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٣٣، وبحثت عنه في كتب الحديث ولم أجده.

التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقتٍ أطول وأنه يفيد تلبثاً أو مكثاً، (فقطّع) يفيد استغراق وقتٍ أطول من (قَطَع)»[١٢٧].

وقال: «إنَّ القرآن يحذف من الكلمة لغرض ولا يفعل ذلك إلا لغرض ومن ذلك على سبيل المثال: «أنّه يحذف من الفعل للدلالة على أنَّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأنَّ زمنه أقصر ونحو ذلك»[١٢٨]، ويؤيد ما ذُكر سابقاً قراءة (مفازاتهم) بالجمع فإنَّها تدل على تكرار الإنجاء والمبالغة فيه مع تكرار الفوز وتعدده، وقد جاء في تفسير البقاعي: «(ويُنْجِي) أي مطلق انجاءٍ لبعض من اتقى بما أشارت إليه قراءة يعقوب بالتخفيف، وتنجيةٌ عظيمةٌ لبعضهم بما أفادته قراءة الباقين بالتشديد، وأظهر ولم يضمر زيادةً على تعظيم حالهم وتسكين قلوبهم، (الله) أي يفعل بما له من صفات الكمال في نجاتهم فعل المبالغ في ذلك»[١٢٩]، والمبالغة في الإنجاء تدل على سوء الحال وعظمه لأهل النار وأن أهل النار في سوءٍ متجددٍ دائماً.

وأمَّا قراء (بمَفازاتِهِم) بالجمع فإنَّها تفيد تعدد أنواع النَّجاء واختلاف أسبابها فقد جاء في تفسير ابن عطية: «وقرأ جمهور القراء: (بمَفازَتِهِم) وذلك على اسم الجنس، وهو مصدر من الفوز، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم (بمَفازاتِهِم) على الجمع من حيث النجاة أنواعٌ، والأسباب مختلفةٌ... وفي الكلام حذف مضافٍ تقديره: وينجي الله الذين اتقوا بأسباب أو بدواعي مفازاتهم، قال السدي: (بمَفازاتِهِم) بفضائلهم»[١٣٠]، وكذلك تفيد قراءة الجمع تعدد أنواع المفازات، وتعدد أمكنة الفوز بتعدد الطوائف على اعتبار أنَّ المفازة تدل على مكان الفوز، والجمع دائماً يدل على الكثرة والتعدد، لذلك دلَّت قراءة الجمع على كثرة وتعدد أنواع النجاة والفوز وأسبابهما، قال ابن عاشور: «قرأ حمزة والكسائي

---

(١٢٧) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٥٨.
(١٢٨) المصدر السابق ص٩.
(١٢٩) نظم الدرر ج٦ ص٤٦٦.
(١٣٠) المحرر الوجيز ج٤ ص٥٣٩.

وأبو بكرٍ عن عاصمٍ وخلفٍ (بمَفازاتِهِم) بصيغة الجمع وهي تجري على المعنيين في المفازةِ لأن المصدر قد يجمع باعتبار تعدد المصادر منه، أو باعتبار تعدد أنواعه وكذلك تعدد أمكنة الفوز بتعدد الطوائف، وعلى هذا فإضافة المفازة إلى ضمير (الذين اتقوا) لتعريفها بهم، أي: المفازة التي علمتم أنَّها لهم وهي الجنة»[١٣١].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ النجاة عامَّةٌ لجميع المتقين في الآخرة بمجرد أنَّهم تجاوزوا النار وخلصوا منها، ونفي السوء عنهم مما يترتب عليه فوزهم بالجنة ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال الشوكاني: «الزحزحة: التنحية والإبعاد: تكرير الزَّح، أي: فمن بعد عن النار يومئذٍ ونجي، فقد فاز، أي: ظفر بما يريد، ونجا مما يخاف، وهذا هو الفوز الحقيقي الذي لا فوز يقاربه»[١٣٢] ويؤيده حديث رسول الله ﷺ قال: «فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»[١٣٣]، وفي حديث آخر يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «موضع سوطٍ في الجنَّة لخيرٌ من الدنيا وما فيها اقرءوا إن شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾»[١٣٤].

وكذلك يفيد الجمع بين القراءات: تتابع النجاة لبعض المتقين نجاةً

(١٣١) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٥٢ ـ ٥٣.

(١٣٢) فتح القدير ج١ ص٤٠٩.

(١٣٣) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب بيعة الإمام الأول فالأول ج٣ ص١٤٧٢ ح١٨٤٤.

(١٣٤) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة آل عمران ج٥ ص٢٣٢ ح٣٠١٣، قال عنه أبو عيسى الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

بعد نجاةٍ وفوزهم فوزاً بعد فوزٍ، فمفازة كل أحدٍ في الأخرى على قدر مفازته بالطاعات في الدنيا(١٣٥)، فبقدر ما أتى الإنسان في الدنيا من الطاعات بقدر ما نجا وبقدر ما فاز في الآخرة وحصل على الدرجات العلى والمنازل المتعددة في الآخرة، وبقدر ما يكون المتقون في سعادةٍ في الآخرة بقدر ما يكون أهل النار في سوءٍ وحزنٍ وغمٍّ ثابتٍ متجددٍ دائماً، وفي الآية ترغيبٌ بحال أهل الجنة وترهيبٌ من حال أهل النار، والله تعالى أعلم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٤].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان: (تأمرُونِي) بتخفيف النون وكسرها.

٢ ـ قرأ ابن عامر (تأمرُونَنِي) بنونين خفيفتين، الأولى مفتوحةٌ والثانية مكسورةٌ.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ بنونٍ مشددةٍ(١٣٦).

المعنى اللغـوي للقراءات:

الأمر: الشأن، وجمعه أمورٌ، ومصدر أمرته: إذا كلفته أن يفعل شيئاً، وهو لفظٌ عامٌ للأفعال والأقوال كلِّها، والأمر: التقدم بالشيء سواء كان ذلك بقولهم: افعل وليفعل، أو كان بلفظ خبرٍ، أو كان بإشارةٍ(١٣٧).

وقال الفيروزأبادي: «الأمر: ضد النهي، كالإمارة والإيمار

(١٣٥) انظر نظم الدرر ج٦ ص٤٦٦.

(١٣٦) انظر المستنير في القراءات العشر ص٣٨٩، النشر ج٢ ص٣٦٣، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٣٣.

(١٣٧) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٨.

بكسرهما. . . ويقال: عليَّ أمرَةٌ مطاعةٌ بالفتح للمَرَّة منه، أي: له علي أمرةٌ أطيعه فيها»[١٣٨].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ أن يرد على كفار قريش مُنكراً عليهم مُوبخاً لهم، لما دعوه إليه من عبادة آلهتهم وترك عبادة ربه ﷻ، بعد أن أقام الله تعالى الأدلة القاطعة على زيف ادعائهم وبطلان عبادتهم للأصنام وعجزها عن حمايتهم أو دفع الضر عنهم، وبعد أن ساق الله تعالى الأدلة والآيات الدالة على عظمته وتفرده بالألوهية والخلق، ووحدانيته التي تقتضي التسليم له بالعبودية والخضوع، ولذلك نعتهم الله تعالى بالجاهلين على اعتبار أن الجهل صار سجيةً لهم لإنكارهم هذه الدلائل الواضحات على وحدانيته، وأمَّا عن سبب نزول هذه الآية فيقول ابن كثير: «﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ وذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتمٍ وغيره عن ابن عباسٍ ﷺ أن المشركين من جهلهم دعوا الرسول ﷺ إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه فنزلت ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾[١٣٩]»[١٤٠].

وقال السعدي: «(قل) يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ أي: هذا الأمر صدر من جهلكم وإلا فلو كان لكم علمٌ بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مُسْدِي جميع النعم هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصاً من كل وجهٍ، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك»[١٤١].

وأمَّا عن وصفهم بالجاهلين فقال ابن عاشور: «ونداؤهم بوصف

(١٣٨) القاموس المحيط ص٣١١.
(١٣٩) انظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص٤٩٨.
(١٤٠) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٦٣.
(١٤١) تفسير السعدي ص٦٧١.

الجاهلين تقريعٌ لهم بعد أن وصفوا بالخسران، ليجمع لهم بين نقص الآخرة ونقص الدنيا، والجهل هنا ضد العلم، لأنهم جهلوا دلالة الدلائل المتقدمة فلم تفد منهم شيئاً، فعموا عن دلائل الوحدانية التي هي عبادة أجسامٍ من الصخر الأصم»(١٤٢).

والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ للإنكار والتوبيخ لتدل على مدى قبح طلبهم وشدة اعتراض النبي ﷺ عليهم ورفضه لطلبهم، قال ابن عاشور: «أمر الرسول ﷺ بأن يوجه إليهم هذا الاستفهام الإنكاري منوعاً على ما قبله إذ كانت أنفسهم قد خسئت بما جَبَهها من الكلام السابق، تأييساً لهم من محاولة صرف الرسول ﷺ عن التوحيد إلى عبادة غير الله»(١٤٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (تأمروني) بتخفيف النون وكسرها أنَّ كفار قريشٍ طلبوا من رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم، مع عدم الملاحّة عليه بهذا الطلب ولا تكراره، حيث عرضوا عليه ذلك من خلال مساومةٍ على أن يعبد آلهتهم سنةً ويعبدوا إلهه سنةً، إذا رفض أن يكف عن سبِّ آلهتهم، ويقرهم على عبادتهم لها، ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير الشوكاني لسورة (الكافرون) عن ابن عباس قال: «إنَّ قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجلٍ بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد، وكفْ عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بسوءٍ، فإن لم تفعل، فإنَّا نعرض عليك خصلةً واحدةً، ولك فيها صلاحٌ، قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنةً، ونعبد إلهك سنةً، قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فجاء الوحي من عند الله ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ إلى آخر السورة، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ إلى قوله: ﴿بَلِ

(١٤٢) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٥٧.
(١٤٣) المصدر السابق م١١ ج٢٤ ص٥٧.

﴿ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾[144]»[145]. فقراءة (تَأمُرُونِي) بنون واحدة مع التخفيف لم تشر إلى تكرار الطلب وإنَّما كان الطلب غير مباشرٍ، فيه خداعٌ ومكرٌ حيث إنَّه بإقرارهم على عبادتهم لأصنامهم يعتبر عبادة لها، وإذا قبل مساومتهم وعرضهم بأن يعبد آلهتهم سنةً ويعبدوا إلهه سنةً فيكونوا قد حققوا مُرادَهم من أن يحرفوه عن عبادة ربه ويعبِّدوه آلهتهم، ولن يعبدوا إلهه بعد ذلك، وهذا يدل على مدى مكرهم وخداعهم. وربَّما تفيد قراءة (تَأمُرُونِي) بنون واحدة مع التخفيف أنَّهم لم يطلبوا منه عبادة أصنامهم مباشرةً وإنَّما تعريضاً بذلك حيث قال أطفيش إباضي: «طلبوا رسول الله ﷺ أن يتمسح ببعض آلهتهم فيؤمنوا، فذلك التمسح هو العبادة المذكورة، وذلك لفرط غباوتهم»[146].

وأمَّا قراءة (تَأمُرُونَنِي) بنونين مع التخفيف فإنَّها تفيد أنَّهم طلبوا من النبيِّ ﷺ أن يعبد آلهتهم سنةً ويعبدوا إلهه سنةً مع تكرار الطلب على التراخي دون ملاحَّةٍ عليه بذلك، وهذا ما تشير إليه قراءة التخفيف بنونين دون مدٍّ في الصوت.

وأمَّا قراءة (تَأْمُرُونِّي) بالتشديد فإنها تفيد التكرار والمبالغة في الملاحَّة على النبي ﷺ في قبول طلبهم بعبادة آلهتهم، وترك عبادة الله تعالى، لأن التشديد يفيد التكثير والمبالغة والتكرار في الفعل على خلاف قراءة التخفيف فإنها تفيد التقليل في الفعل.

كما أنها توحي بشدة إنكار النبي ﷺ على طلبهم ولذلك كان من مدِّ الصوت في (تَأْمُرُونِّي) بست حركات أكثر تأكيداً في معنى الإنكار وأكثر إرهاباً لهم، قال البقاعي: «ولمَّا كان تقيد الإنكار على فعلهم لهم أرجع، وتأخير ما سبق من الكلام لإنكاره أروع، وكان مد الصوت أوكد في معنى

(١٤٤) انظر أسباب النزول للسيوطي ص٤٧٣. ذكره الطبراني في المعجم الصغير: ج٢ ص٤٤، وقال عنه ضعيف.

(١٤٥) فتح القدير ج١ ص٥٠٨.

(١٤٦) تفسير أطفيش أباضي: الإسطوانة الإلكترونية ـ المكتبة الشاملة ج٩ ص١٩٤.

الكلام وأفزغ وأهول وأفظع، قال صارفاً الكلام إلى خطابهم، لأنَّه أقعد في إرهابهم وأشد في اكتئابهم (تَأْمُرُونِّي) بالإدغام المقتضي للمد في قراءة أكثر القراء، ولعل الإدغام إشارة إلى أنهم حالوه ﷺ في أمر آلهتهم على سبيل المكر والخداع»[١٤٧].

ويأتي شدة إنكار النبي ﷺ عليهم بعد أن عرضوا عليه ذلك عقب الدلائل الواضحات التي بيّنها الله تعالى الدالة على عظمته وتفرده بالألوهية والوحدانية فيقتضي السياق الشدة في الإنكار والاعتراض على هؤلاء الكفار، لتأييسها من محاولة صرف النبي ﷺ عن عبادة ربه ﷻ، قال الألوسي: «﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: أبعد الآيات المقتضية لعبادته تعالى وحده غير الله أعبد، فغير مفعولٌ مقدم لأعبد، (وتَأْمُرُونِّي) اعتراضٌ للدلالة على أنَّهم أمروه به عقيب ذلك، وقالوا له ﷺ: استلِم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك، لفرط غباوتهم، ولذا نودوا بعنوان الجهل»[١٤٨].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات: يتبيّن لنا الطرائق المختلفة التي يسلكها الكفار في الغواية والإضلال لعباد الله المؤمنين، فتارةً يكون بالطلب المباشر مع الملاحَّةِ في الطلب، وتارةً يكون بالمساومة على هذا الدين مقابل المال أو غيره، وتارةً يكون بالطلب بالتنازل عن أجزاءٍ من هذا الدين لالتقاء أهل الكفر في منتصف الطريق، وتارةً يكون بالتعريض، وبينما هم كذلك يأتي الرد الإلهي الجازم من عند الله ﷻ ليفضح مكر هؤلاء الكفرة المجرمين بالإنكار الشديد عليهم وأنه لا مساومة على الدين والعقيدة ولا أنصاف حلولٍ، بل هو الدين الكامل والعقيدة الواحدة التي لا تقبل المساومة أو التجزئة ولا يملك أحدٌ أن يتنازل عنها ولذلك كان هذا هو المنهج الرباني

(١٤٧) نظم الدرر ج٦ ص٤٦٧.

(١٤٨) روح المعاني ج٢٤ ص٢٣.

المتمثل في رد رسول الله ﷺ على الكفرة المجرمين والإنكار بشدةٍ عليهم، وفيه دعوة إلى كلِّ مسلم داعيةٍ أن يلتزم هذا النهج في مواجهة مكر أهل الكفر ومساوماتهم وأن يُغلظ الرَّد عليهم وأن يفضح زيف ادعاءاتهم في التقارب والوحدة والمصالحة، بل الكفر كله ملةٌ واحدةٌ وما هي إلا سهامٌ متنوعةٌ من سهام الشيطان يريدون أن يوقعوا بها عباد الله تعالى.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [الزمر: ٧١].

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: ٧٣].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون (فُتِحَت، وَفُتِحَت) بالتخفيف.

٢ ـ قرأ الباقون (فُتِّحَت، وفُتِّحَت) بالتشديد[(١٤٩)].

المعنى اللغوي للقراءات:

«الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان: أحدهما: يُدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه، وكفتح القفل والغلق والمتاع،... والثاني: يُدرك بالبصيرة كفتح الهم، وإزالة الغم»[(١٥٠)].

وقال ابن منظور: «الفتح: نقيض الإغلاق، فَتَحهُ فتحاً وافتتَحه فانفتَح

(١٤٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص ٢٤١، النشر في القراءات العشر ج٢ ص٢٤١.

(١٥٠) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٢١.

وتَفتَّح. الجوهري: فُتِّحت الأبواب شدِّد للكثرة فتفتَّحت»[١٥١].

التفسيـر:

استكمالاً لبيان ما يكون عليه حال النَّاس يوم القيامة، يعرض المولى ﷻ في هاتين الآيتين الكريمتين صورتين متقابلتين لحال كلٍّ من الكافرين المجرمين، والمؤمنين المتقين.

الصورة الأولى: تبيِّن حال الكفار وهم يساقون إلى نار جهنَّم جماعاتٍ متفرقةً كلٌّ حسب عملها في الدنيا، فيكونون أذلَّاء صاغرين، فتفتح لهم أبواب جهنَّم عند وصولهم إليها، ويُدَعُّون فيها بعنفٍ وشدَّةٍ، وتوبخهم خزنة جهنم من الملائكة على تقصيرهم في حق الله تعالى، وعلى كفرهم بأنبيائهم الذين جاءوا لهدايتهم وإنذارهم من شرِّ ذلك اليوم، وما يكون أمام هؤلاء المجرمين إلا الاعتراف بالذنب.

والصورة الثانية: تبيّن حال المؤمنين المتقين على النقيض تماماً من حال الكفار، وهم يساقون الى الجنَّة كُرَماء أعزاء، في جماعاتٍ فتفتَّح لهم أبوابها، وترحب بهم الملائكة أشدَّ ترحابٍ، وتقول لهم : سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين، فيحمدون الله تعالى على أن صدقهم وعده، وأدخلهم الجنَّة.

قال السعدي: «﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي: سوقاً عنيفاً يُضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شرِّ محبسٍ وأفظع موضعٍ، وهي جهنَّم التي قد جمعت كل عذابٍ، وحضرها كلُّ شقاءٍ، وزال عنها كلُّ سرورٍ، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور: ١٣] أي: يدفعون إليها دفعاً، وذلك لامتناعهم من دخولها. ويساقون إليها (زُمَراً) أي: فِرَقاً متفرقةً، كلُّ زمرةٍ مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من بعضٍ

(١٥١) لسان العرب ج٢ ص٥٣٧.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ أي: وصلوا إلى ساحتها (فُتِحَتْ) لهم أي: لأجلهم (أبوابها) لقدومهم»[١٥٢].

قال ابن عاشور: «جملة (فُتِحَتْ) جواب (إذا) لأنَّها ضمنت معنى الشرط، وأغنى عن ذكر (إذا) عن الإتيان بـ (لَمَّا) التوقيتية، والتقدير: فلما جاءوها فتحت أبوابها، أي: وكانت مغلقةً لتفتح في وجوههم حين مجيئهم فجأة تهويلاً ورعباً»[١٥٣]. وقال ابن كثير: «أي: بمجرد وصولهم إليها فُتِحَتْ لهم أبوابها سريعاً لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظٌ شدادُ القوى: على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: ويحذرونكم من شر هذا اليوم؟ فيقول الكفار (بلى) أي: قد جاءونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين»[١٥٤].

وأمَّا عن حال أهل الجنة، قال السعدي: «﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ بتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرامٍ وإعزازٍ، يحشرون وفدا على النجائب[١٥٥]. ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها وتشاكله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيقة وهبت عليهم ريحها ونسيمها، وآن خلودها ونعيمها، و﴿فُتِحَتْ﴾ لهم ﴿أَبْوَٰبُهَا﴾ فتح إكرام، لكرام الخلق ليكرموا فيها .﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ تهنئةً لهم وترحيباً، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سلامٌ من كلِّ آفةٍ وشر حالٍ عليكم، ﴿طِبْتُمْ﴾ أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبته وخشيته،

(١٥٢) تفسير السعدي ص٦٧٢.
(١٥٣) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٦٩.
(١٥٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٦٦.
(١٥٥) نجائب الأشياء: لبابها وخالصها وخيارها وأفضلها، انظر القاموس المحيط ص١٢٥، المعجم الوسيط ص٩٤٠.

وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته»[١٥٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فُتِحَت) بالتخفيف على أصل الفعل بدون تكرارٍ في الفتح أي فتحت الأبواب مرةً واحدةً، وأمَّا قراءة (فُتِّحَت) بالتشديد، فقد أفادت: التكثير والتكرار والمبالغة في الفعل، واستغراق وقتٍ أطول وأنَّه يفيد تلبثاً ومكثاً[١٥٧].

قال ابن خالويه: «قوله تعالى: ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] يقرآن بالتشديد والتخفيف، فالحجة لمن شدد: أنه أراد: تكرير الفعل، لأن كل باب منها فتح، ودليله: إجماعهم على التشديد في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣] والحجة لمن خفف: أنه دل بذلك على فتحها مرةً واحدةً، فكان التخفيف أولى، لأنَّ الفعل لم يتردد ولم يكثر»[١٥٨].

وقال أبو منصور الأزهري: «من شدَّد فهو أبلغ، وأكثر في باب الفتح من التخفيف»[١٥٩].

وقال ابن زنجله: «قال اليزيدي: كل ما فتح مرةً بعد مرةٍ فهو (التفتيح)، ووجه التخفيف أن التخفيف يصلح للقليل والكثير، وقالوا: لأنها تفتح مرةً واحدةً»[١٦٠].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ أبواب النار تفتح في وقتٍ واحدٍ بمجرد وصولهم إليها بدون انتظارٍ ولا إهمالٍ مع الشدة والمبالغة في طريقة

(١٥٦) تفسير السعدي ص٦٧٣.

(١٥٧) ورد نظيره في كتاب: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٥٨.

(١٥٨) الحجة في القراءات السبع ص٣١١.

(١٥٩) معاني القراءات ج٢ ص٣٤١.

(١٦٠) حجة القراءات ص ٦٢٦.

فتح أبواب النار حيث إن لها سبعة أبوابٍ كلها تفتح في وقتٍ واحدٍ، والمبالغة في فتح الأبواب دليل الشدة والإحكام في إغلاقها قبل مجيئهم ليكون أشد لعذابها وأعظم لحرها، كما وأن تفتيح الأبواب بهذه الصورة المبالغ فيها، تستدعي وقوف أهل النار على أبوابها مما يزيدهم ذلاً وصغاراً وهم ينتظرون دخولها وحرَّها.

وأما المبالغة في فتح أبواب الجنة الثمانية فتدل على المبالغة في الترحاب بأهل الجنة وإكرامهم والواو في جملة (وفُتِحَتْ أَبْوابُها) على قول أكثر المفسرين: إنَّها واو الحال، أي: حين جاءوها وقد فتحت أبوابها فوجدوا الأبواب مفتوحةً على ما هو الشأن في اقتبال أهل الكرامة(١٦١).

وقد جاء في زاد المسير: «أنَّها واو الحال، فالمعنى: جاؤوها وقد فُتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أنَّ الأبواب كانت مفتَّحةً قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنَّها كانت مغلَّقةً قبل مجيئهم، ووجه الحكمة في ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: أن أهل الجنَّة جاؤوها وقد فتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتَّحةً، وأهل النَّار يأتونها وأبوابها مغلقةً ليكون أشدَّ لحرِّها.

الثاني: أنَّ الوقوف على الباب، المغلق نوعُ ذلٍّ، فاصِلين أهل الجنَّة عنه، وجعل في حق أهل النار.

والثالث: أنه لو وجدَ أهل الجنة بابها مغلقاً لأثَّر انتظار فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلقُ باب النار إلى حين مجيء أهلها، لأنَّ الكريم يعجِّلُ المثوبة، ويؤخر العقوبة»(١٦٢).

(١٦١) انظر التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٧١.

(١٦٢) زاد المسير ص١٢٣٧.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة غافر
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ [غافر: ٦].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والشامي (كَلِمَاتُ) بألف بعد الميم على الجمع.
٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كَلِمَتُ﴾ بغير ألف على الإفراد[١٦٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

الكلام: «اسم جنسٍ يقع على القليل والكثير، والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلماتٍ، لأنه جمع كلمةٍ»[١٦٤]، وقال الأصفهاني: «الكلام يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة، وعند النَّحويين يقع على الجزء منه، اسماً كان، أو فعلاً، أو أداة»[١٦٥].

وجاء في لسان العرب: «والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف

(١٦٣) غيث النفع في القراءات السبع ص٤٥١، وانظر حجة القراءات ص ٦٢٤.
(١٦٤) الصحاح للجوهري ج٥ ص٢٠٢٣.
(١٦٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٢٢.

الهجاء، وتقع على لفظةٍ مؤلفةٍ من جماعة حروفٍ ذات معنىً، وتقع على قصيدةٍ بكاملها وخطبةٍ بأسرها»[١٦٦].

التفسير:

يخبر المولى ﷻ سيدنا محمداً ﷺ، بأنَّ حكمه بالهلاك والعذاب على الكفرة الذين كذبوه، قد وجب وثبت كما تحقق حكمه ﷻ بالهلاك والعذاب على الذين كفروا وكذبوا بأنبيائهم من الأمم السابقة، لأن العلة واحدة، وهي أنهم أصحاب النار.

قال الزحيلي: «﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ أي: ومثل ذلك عذاب كل كافر، والمعنى: وكما وجب العذاب على الأمم المكذبة لرسلهم، وجب على الذين كفروا بك يا محمد، وجادلوك بالباطل، وتحزبوا عليك، فالسبب واحد، والعلَّة واحدة، وذلك العذاب هو استحقاقهم النار، والمراد بكلمة العذاب، هي أنهم مستحقون النار»[١٦٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال بعض العلماء: إن قراءة ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد تدل على الجمع، فالكلمة والكلام يترادفان في مثل هذا، حيث إن المراد منها: قول الله تعالى، أي: نفذ قوله وحكمه، وقال جمهور المفسرين: المراد بالكلمات أو الكلمة القرآن، واستبعد ابن عطية[١٦٨] أن يكون المراد من (كلماتُ ربك) بالجمع أو الإفراد القرآن، واستظهر أنَّ المراد منها قول الله، أي: نفذ قوله وحكمه، وقريب من ذلك قال ابن عباس: كلمات الله وعده،

(١٦٦) لسان العرب ج١٢ ص٥٢٣.

(١٦٧) التفسير المنير ج٢٤ ص٧٦.

(١٦٨) هذا من كلام ابن عاشور، انظر التحرير والتنوير م٥ ج٨ ص١٩.

وقيل: كلمات الله: أمره ونهيه، ووعده، ووعيده[١٦٩]، وقال الشوكاني: «المراد بالكلمات العبادات أو متعلقاتها من الوعد والوعيد، والمعنى: أن الله قد أتم وعده ووعيده»[١٧٠]، وقال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالإفراد، وقرأ نافعٌ وابن عامرٍ وأبو جعفرٍ بصيغة الجمع، والإفراد هنا مساوٍ للجمع، لأن المراد به الجنس بقرينة أن الضمير المجرور بـ (على) تعلق بفعل (حَقَّت) وهو ضمير جمع فلا جرم أن تكون الكلمة جنساً صادقاً بالمتعدد بحسب تعدد أزمان كلمات الوعيد وتعدد الأمم المتوعَّدة»[١٧١].

وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من جمع، أنَّ معنى (الكلماتُ) في هذا هو ما جاء من عند الله من وعدٍ ووعيد وثواب وعقاب، وأخبار عما كان، وعمَّا يكون، وذلك كثير، مَنْ جمع (الكلماتُ) لكثرة ذلك، . . . وحجة من قرأ بالتوحيد أن الواحد في مثل هذا يدل على الجمع»[١٧٢].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ الله تعالى هدَّد كفار قريشٍ بعذابٍ شديدٍ من جنس العذاب الذي أصاب الأقوام السالفة الغابرة، فتكون القراءة الثانية بالجمع مبيِّنة للقراءة الأولى بالتوحيد، حيث إنَّ قراءة التوحيد أفادت أن العذاب قد ثبت في حقِّ هؤلاء الكفار كما ثبت في حقِّ من قبلهم، وأما قراءة الجمع فإنها تدل على أنَّ كلمات الوعيد والتهديد التي أُوحِي بها إلى الرسل جميعاً لإبلاغها أقوامهم واحدة، وعلى ذلك يكون المعنى: بمثل أخذ الله قوم نوح والأحزاب وغيرهم حقت على كفار قومك كلمات الوعيد إذا لم يقلعوا عن كفرهم.

(١٦٩) انظر المصدر السابق م٥ ج٨ ص١٩، عند تفسيره للآية (١١٤) من سورة الأنعام.

(١٧٠) فتح القدير ج٢ ص٤٦٧.

(١٧١) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٨٨.

(١٧٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٤٤٨.

٢ ـ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوب (وَيُنْزِلُ) بالتخفيف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتشديد(١٧٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

النزول: هو الانحطاط من علوٍّ، يقال نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا، أي: حط رحله فيه(١٧٤)، وجاء في لسان العرب: النزول: الحلول، ونزل من علوٍّ إلى أسفل: انحدر، ونزَّله وأنزله بمعنىً، ولا فرق بين نزَّلت وأنزلت إلا صيغة التكثير(١٧٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دلائل توحيد الله تعالى وربوبيته، وعلامات قدرته، وعظيم سلطانه، ورحمته بعباده، تذكيراً لهم بنعمه الجليلة التي لا تتوارى ولا تنقطع، فيريهم آياته الباهرة الدالة على عظيم قدرته، وينزِّلُ من السماء رزقاً لهم بإدرار الغيث الذي يُخرِجِ به أقواتهم وغذاء أنعامهم، وما يتذكَّر ويتعظ بهذه الآيات ويعتبر بها ويعلم حقيقة ما تدل عليه إلَّا من ينيب ويرجع إلى توحيد الله تعالى ويقبل على طاعته(١٧٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُنْزِل) بالتخفيف من الإنزال، أنَّ الله تعالى ينزل عليهم

---

(١٧٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٤، البدور الزاهرة ص٣٨٧.

(١٧٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩٩.

(١٧٥) انظر لسان العرب ج١١ ص٦٥٦.

(١٧٦) انظر جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٣٢، فتح القدير ج٤ ص٦٨٠.

الغيث سبب الرزق مرةً واحدةً ويحتمل الزيادة.

أمَّا قراءة ﴿يُنَزِّلَ﴾ بالتشديد تفيد أنَّ الله تعالى ينزل عليهم الغيث سبب الرزق بشكلٍ دائمٍ ومتكررٍ، فقراءة التشديد تفيد التدرج والتكرار والتكثير في الفعل، وربما قِراءة التشديد تفيد إضافةً إلى ما سبق تعدد وتنوع أنواع الرزق، فمنه المطر الذي يُنبتُ الأرض ويتسبب عنه الرزق، ومنه ما حكم الله به وكتبه لعباده من رزقٍ يناله المرء في تجارةٍ أو عملٍ أو غير ذلك(١٧٧).

الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿يُنَزِّلَ﴾ بالتشديد مبَيِّنة لقراءة (يُنْزِل) بالتخفيف، حيث إنَّ قراءة التخفيف أفادت أن الله تعالى ينزل الرزق للنَّاس دون إيضاح لطبيعة هذا الإنزال، أمَّا قراءة التشديد فقد أضافت معنى استمرار هذه النعمة وكثرتها وتعددها وتنوعها وتكرارها على الدوام، تذكيراً لهم بكمال النعمة عليهم، وفي ذلك زيادة دلالة على قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ [غافر: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وهشام (والذين تَدْعُونَ) بالتاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ بالياء(١٧٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الدعاء كالنداء، إلا أنَّ النداء قد يقال بـ (يا) أو (أيا)، ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم،

(١٧٧) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦٠.

(١٧٨) انظر النشر ج٢ ص ٣٦٥، تحبير التيسير ص ١٩٨.

نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر»[(١٧٩)]. «والدعوى معناها، الدعاء، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (الدعاء هو العبادة)[(١٨٠)]، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠] وقال الله ﷻ: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات: ١٢٥]، أي: أتعبدون رباً سوى الله،... والدعاء: الرغبة إلى الله ﷻ»[(١٨١)].

التفسير:

تشير هذه الآية الكريمة إلى صفةٍ عظيمةٍ من صفات الله تعالى لا تنبغي لأحد سواه، ولا يقدر عليها إلا من اتصف بجميع صفات الكمال، وكان عالماً بجميع الأحوال، فهو الذي سيقضي بين الخلائق يوم القيامة بالحق، وقد اتصف ﷻ بالحكمة والعدل، لذلك لن يكون في حكمه جورٌ أو ظلمٌ، فيعذب من شاء ممن أساء بعدله، ويجزي ويثيب من شاء بعدله.

في مقابل ذلك يُبيِّنُ الله تعالى عجز الآلهة التي يعبدها هؤلاء الكفار الجهلاء عن القضاء بشيءٍ، ونفى القدرة بالقضاء عن الآلهة من باب التهكم والازدراء، لأن الجميع يعلم بعجز هذه الآلهة عن فعل أي شيءٍ، قال أبو حيان: «﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾: هذا قدحٌ في أصنامهم وتهكم بهم، لأن ما لا يوصف بالقدرة، لا يقال فيه يقضي ولا يقضي»[(١٨٢)].

وقال البقاعي: «ولمَّا كانت المراتب دون عظمته سبحانه لا تنحصر ولا يحتوي عليها كل شيءٍ، أثبت الجار فقال: ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: سواه، ومن

(١٧٩) مفردات ألفاظ القران ص٣١٥.

(١٨٠) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب سورة البقرة ج٥ ص٢١١ ح٢٩٦٩، والسنن الكبرى: للبيهقي، باب سورة غافر ج٦ ص٤٥٠ ح١١٤٦٤. قال عنه أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ.

(١٨١) لسان العرب ج٤ ص٢٦٣.

(١٨٢) البحر المحيط ج٧ ص٤٣٩.

المعلوم أنَّهم خَلقُه فهم دون رتبته، لأنهم في قهره ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ أصلاً، فضلاً عن أن يقضوا بما يعارضه حكمه، فلا مانع له من القضاء بالحق»(١٨٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿يَدْعُونَ﴾ بياء الغيبة، الإخبار عن هؤلاء الكفار أنَّهم يعبدون من دون الله أصناماً لا تضر ولا تنفع عديمة القدرة، لا تستطيع أن تقضي بشيء.

وأما قراءة (تَدْعُونَ) بالتاء تفيد توجيه الخطاب للكفار، «على معنى: قل لهم يا محمد»(١٨٤)، قال مكي بن أبي طالب :﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قرأ نافعٌ وهشامٌ بالتاء، على الخطاب للكفار، على معنى: قل لهم يا محمد الذين تدعون أيها المشركون من دونه، وقرأ الباقون بالياء، ردُّوه على ما جرى من ذكر الكفار قبله(١٨٥).

وقال ابن عاشور: «قرأ نافعٌ وهشامٌ عن ابن عمار (تَدْعُونَ) بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، لقرع أسماع المشركين بذلك»(١٨٦).

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين، يتبيَّن: أنَّ الله تعالى أمر نبيَّه محمداً ﷺ أن يردَّ على هؤلاء المشركين الذين يعبدون آلهةً صماء لا تملك شيئاً ولا ترد قضاءً ولا تستطيع أن تقضي بشيء، بأنَّ الله وحده سوف يقضي بالحق بين العباد يوم القيامة، وفي الآية تحذير لهؤلاء الكفار من الاستمرار في غيِّهم

(١٨٣) نظم الدرر ج٦ ص٤٩٨.
(١٨٤) المحرر الوجيز لابن عطية ج٤ ص٥٥٣، انظر البحر المحيط ج٧ ص٤٣٩.
(١٨٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٢.
(١٨٦) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص١١٨.

وإعراضهم عن عبادة الله تعالى، من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي: (السميع) لمقالة الكفار (البصير) بأعمالهم.

قال أبو حيان: «تدعون بتاء الخطاب، أي: قل لهم يا محمد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: تقرير لقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾، وعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون، وتعريض بأصنامهم أنها لا تسمع ولا تبصر»[١٨٧] وفي ذلك زيادة توبيخٍ لهم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ [غافر: ٢١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر (أشدَّ منكُمْ) بالكاف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ بالهاء[١٨٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

منكم: مِن: بالكسر حرف خافض، وهو لابتداء الغاية، وقد تكون للتبعيض، وقد تكون للبيان والتفسير، وقد تدخل توكيداً، وقد تأتي للتحليل، وقد تكون للبدل، وقد تأتي للتمييز[١٨٩].

والكاف: ضمير يعود على المخاطب. والهاء: ضمير يعود على الغائبين.

---

(١٨٧) البحر المحيط ج٧ ص٤٣٩.

(١٨٨) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٥.

(١٨٩) انظر الصحاح ج٦ ص٢٢٠٨، المعجم الوسيط ص٩٣٦، القاموس المحيط ص١١١٢.

التفسير:

الله ﷻ في هذه الآية يحيل كفار قريش على الاعتبار بغيرهم من الأقوام السابقة وما زالت آثارهم حاضرةً أمام أعينهم فقد كان ممن سبقهم أشدّ قوةً من هؤلاء الكفار الحاضرين (وَأَقْوَى آثاراً فِي الأَرْضِ) أي: حصونهم وقصورهم وعساكرهم وعلى الرغم من ذلك أهلكهم الله تعالى بذنوبهم.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره، أولم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله المكذبون رسوله من قريش في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم، يقول فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم في الكفر بالله وتكذيب رسله، كانوا هم أشد منهم قوة، يقول: كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشدَّ منهم بطشاً، وأبقى في الأرض آثاراً فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم إذ جاءهم أمر الله وأخذهم بما أجرموا من معاصيه واكتسبوا من الآثام، ولكنه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا، وما كان لهم من الله من واقٍ أي: ما كان لهم من أحدٍ يدفع عنهم عذاب الله أو يقيهم عذابه»(١٩٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى بعض العلماء أنَّ من قرأ (منهم) بضمير الغيبة، قرأها جرياً على ما سبق من الضمائر الغائبة في الإخبار عن كفار قريش، ليكون موافقاً لما قبله من ألفاظ الغيبة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فيكون معنى أشدَّ منهم، أي: أشدَّ من قومك.

وأمَّا من قرأ (منكم) بضمير الخطاب، فعلى سبيل الالتفات عن الغيبة إلى الخطاب كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

(١٩٠) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٣٦.

[الفاتحة: ١]، وعلى هذا يكون الخطاب موجهاً لأهل مكة[١٩١]، على معنى أن الذين مضوا من الكفار كانوا أشدَّ منكم أيها الكفار الحاضرون: «وحَسُنَ الخطاب هنا لأنه خطاب لأهل مكة، فحسنَ الخطاب بحضورهم، فجعل الخطاب على لفظ الحاضر المخاطب»[١٩٢].

وأمّا أبو منصور الأزهري فقد اعتبر أن «من قرأ (منكم) فهو خطاب لهذه الأمة، ومن قرأ (منهم) فهو إخبارٌ عنهم»[١٩٣]، وعلى هذا القول فإن الخطاب يتعدى أهل قريشٍ ليكون موجهاً إلى جميع الأمة إلى يوم الدين لأخذ العبرة من ذلك.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنّ الخطاب موجهٌ لجميع الأمَّة من المؤمنين والكافرين، حاضرين وغائبين، على سبيل التقريع والاستنكار والتهديد لكفار قريشٍ إنْ بقوا على كفرهم ولم يعتبروا، ولأخذ العبرة والعظة من قبل المؤمنين ممَّا حدث مع الأمم السابقة من انتقام شديدٍ، فأخذهم الله بما أجرموا واكتسبوا من الآثام وأباد جمعهم، وهم أشدُّ قوةً وبطشاً من غيرهم، فلم تنفعهم قوتهم، والله تعالى أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون ويعقوب (أَوْ أَنْ) بزيادة همزةٍ مفتوحةٍ قبل الواو مع إسكان الواو.

٢ ـ قرأ الباقون (وَأَنْ) بدون همزةٍ قبل الألف وفتح الواو.

---

(١٩١) انظر حجة القراءات ص٦٢٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٢.

(١٩٢) الحجة للقراء السبعة ص٣٤٨.

(١٩٣) معاني القراءات ج٢ ص٣٤٤.

٣ ـ قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص (يُظهِر) بضم الياء وكسر الهاء، (الفَسَادَ) بالنصب.

٤ ـ قرأ الباقون (يَظهَر) بفتح الياء والهاء، (الفَسَادُ) بالرفع[(١٩٤)].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ الظهر والظاهر: خلاف البطن والباطن، والظهور: الظفر بالشيء والإطلاع عليه، يقال: ظهر فلان على فلان أي: قوي عليه، وفلان ظاهر على فلان، أي غالب عليه، وظهر الشيء بالفتح، ظهوراً: تبيّن، وأظهرت الشيء بيَّنته[(١٩٥)]، وجاء في مفردات ألفاظ القرآن، ظهر الشيء أصله: أن يحصل شيءٌ على ظهر الأرض فلا يخفى، وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] أي: كثر وشاع[(١٩٦)].

٢ ـ الفساد: التلف والعطب، والاضطراب، وإلحاق الضرر، والمفسدة: ضد المصلحة[(١٩٧)].

٣ ـ قال الأصفهاني: «الفساد: خروج الشيء من الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصلاح»[(١٩٨)].

التفسير:

في سياق الحديث عن الأمم السابقة وما حدث لهم من إنزال أشد العقوبات بهم بسبب ذنوبهم وكفرهم بأنبيائهم مع كونهم أشد قوةً وآثاراً في الأرض، والطلب من كفار قريش أن يسيروا في الأرض ويقفوا على آثار تلك الأقوام السابقة لأخذ العبرة والعظة، تعرض الآيات قصة فرعون مع

---

(١٩٤) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٥، وتحبير التيسير ص١٥٩.

(١٩٥) انظر لسان العرب ج٤ ص٥٢٠.

(١٩٦) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤١.

(١٩٧) انظر المعجم الوسيط ص٧٢١.

(١٩٨) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٣٦.

موسى عليه السلام، وموقفه من دعوته وعزم فرعون عليه لعنة الله على قتل موسى عليه السلام غير آبه بغضب الله وعقابه خوفاً على مكانته وملكه وسلطانه، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ قال ابن كثير: «وهذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه السلام، أي: قال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هذا، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ أي: لا أبالي منه، وهذا في غاية الجحد والتجهرم[199] والعناد»[200].

وقال الشوكاني: «إنما قال هذا لأنه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى، مخافة أن ينزل العذاب، والمعنى: اتركوني أقتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ الذي يزعم أنه أرسله إلينا فليمنعه من القتل إن قدر على ذلك»[201]. «ثم رجع إلى قومه يريهم النصيحة، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾، والدين: السلطان، . . . وتبديل دينهم هو تغييره، وكانوا يعبدونه، ويعبدون الأصنام، كما قال: (ويذرك وآلهتك)، ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ وذلك بالتهارج[202] الذي يذهب معه الأمن، وتتعطل المزارع والمكاسب، ويهلك الناس، قتلاً وضياعاً، فأخاف فساد دينكم ودنياكم معاً»[203]

قال الشوكاني: «جعل اللعين ظهور ما دعا إليه موسى وانتشاره في الأرض، واهتداء الناس به فساداً، وليس الفساد إلا من هو عليه ومن تابعه»[204].

---

(١٩٩) الجهرمية: ثيابٌ منسوبةٌ من نحو البسط وما يشبهها، يقال: من كتَّانٍ، (انظر لسان العرب ج١٢ ص١١١). ويحتمل التجهرم في الحديث: الفظاظة والشدة والكبرياء في القول.

(٢٠٠) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٧٨.

(٢٠١) فتح القدير ج٤ ص٦٨٥.

(٢٠٢) أصل الهرج: الكثرة في الشيء والاتساع، والفتنة في آخر الزمان، وشدة القتل وكثرته، (انظر تاج العروس ج٦ ص٢٧٥).

(٢٠٣) البحر المحيط ج٧ ص٤٤١، بتصرف يسير.

(٢٠٤) فتح القدير ج٤ ص٦٨٥.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (أو أن) بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو: خوف فرعون من وقوع أحد الاحتمالين: تبديل الدين أو وقوع الفساد، فيكون المعنى: إنّي أخاف عليكم أن يبدل دينكم، أي: يغيِّر ما أنتم عليه وهو عبادته وعبادة الأصنام، أو يقع الفساد بينكم، وقد جعل فرعون طاعة الله هي الفساد.

وأمّا قراءة (وأن) بدون همزة قبل الواو، أفادت خوف فرعون من وقوع الأمرين معاً (تبديل الدين، ووقوع الفساد) في آنٍ واحد، فيكون المعنى: أخاف عليكم إبطال دينكم والفساد معه[٢٠٥]، «يعني: أنه جمع بين تبديل الدين وإظهار الفساد»[٢٠٦]، «وقد وقعا فبدل الله دينهم بالإيمان وأفسد ملك فرعون»[٢٠٧].

وأمّا قراءة (يُظهِر) بضم الياء وكسر الهاء فقد أفادت إسناد فعل الإظهار إلى موسى عليه السلام، أي: «يظهر موسى في الأرض الفساد، وحجتهم أنه أشبه بما قبله، لأنَّ قبله (يُبَدِّل)»[٢٠٨]، وأما القراءة الثانية (يَظهَرُ) بفتح الياء والهاء، فأنها تفيد إضافة الفعل إلى الفساد فيكون الفساد مرفوعاً على الفاعلية فيكون له المعنى: أنه إذا وقع التبديل في الدين ظهر الفساد في الأرض بسببه.

قال الرازي: «أما وجه القراءة الأولى فهو أسند الفعل إلى موسى في قوله (يُبدِّل) فكذلك في يظهر ليكون الكلام على نسق واحد، وأما وجه القراءة الثانية فهو أنه إذا بُدِّلَ الدين فقد ظهر الفساد الحاصل بسبب ذلك التبديل»[٢٠٩].

---

(٢٠٥) انظر حجة القراءات ص٦٣٠.
(٢٠٦) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٥٦.
(٢٠٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٣.
(٢٠٨) حجة القراءات ص٦٣٠.
(٢٠٩) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٥٦.

وقال ابن عاشور: «يَظهر بفتح الياء وبرفع (الفسادُ) على معنى: أن الفساد يظهر بسبب ظهور أتباع موسى، أو بأن يجترئ غيره على مثل دعواه بأن تزول حُرمة الدولة لأن شأن أهل الخوف عن عمل أن ينقلب جبنهم شجاعة إذا رأوا نجاح من اجترأ على العمل الذي يريدون مثله»(٢١٠).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات فإنَّه يحمل المعنى الثاني على المعنى الأول بحيث يصبح المعنى: إنَّ خوف فرعون واقعٌ في جميع الأحوال بحيث إنَّه إذا وقع تبديل الدين عند القوم، فقد فرعون هيبته وعبوديتهم له، وترتب على ذلك ظهور الفساد، وفقد ملكه وسلطانه وأفسدت عليه الدنيا وهذا الذي يسميه فرعون الفساد بزعمه.

قال البقاعي: «وبنصب الفسادَ أي: بفساد المعائش فإنه إذا غلب علينا قوي على من سوانا، فسفك الدماء وسبي الذرية، وانتهب الأموال، ففسدت الدنيا مع فساد الدين، فسمَّى اللعين الصلاحَ لمخالفته لطريقته الفاسدة فساداً كما هو شأن كل مفسدٍ مع المصلحين»(٢١١).

وإذا لم يقع التبديل عاجلاً فإنه يحصل به الضعف الذي يؤدي في النهاية إلى إفساد معايش الظالمين وزعزعة ملكهم وسلطانهم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر: ٣٥].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو وابن ذكوان (على كُلِّ قَلبٍ) بتنوين قلبٍ بالكسر.

---

(٢١٠) التحرير والتنوير ج٢٤ ص١٢٦.

(٢١١) نظم الدرر ج٦ ص٥٠٦.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ﴾ قلب بالكسر دون تنوين[٢١٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

القلب: الفؤاد، وقد يعبَّر به عن القلب، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي: عقل[٢١٣]. وقال الأصفهاني: قلب الشيء: تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه كقلب الثوب، وقلب الإنسان، أي: صرفه عن طريقه، وقلب الإنسان قيل: سمي به لكثرة تقلبه، ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك[٢١٤].

التفسير:

في هذه الآيات يبيّن الله تعالى موقفه وموقف المؤمنين من أولئك المجادلين المخاصمين الذين يكثرون الجدال في آيات الله تعالى إبطالاً لها ودفعاً للحق بالباطل بغير حجة أو دليل، فيمقتهم الله تعالى، ويبغضهم المؤمنون، وكما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين كذلك يختم الله تعالى بالضلال على قلب كل متكبرٍ عن الايمان ومتجبرٍ على العباد.

قال ابن كثير: «﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ أي: الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليلٍ وحجةٍ معهم من الله تعالى، فإن الله ﷻ يمقت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٣] أي: والمؤمنون أيضاً يبغضون من تكون هذه صفته فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفاً ولا ينكر منكراً، ولهذا قال تبارك

(٢١٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٤، النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٥.

(٢١٣) الصحاح ج١ ص٢٠٥.

(٢١٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٨١.

وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾، أي: على اتباع الحق»[٢١٥]، وقال الشوكاني: «أي كما طبع على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك يطبع: أي: يختم على كل قلب متكبرٍ جبارٍ»[٢١٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ) بتنوين الباء مع الكسر، أن التكبر وصف للقلب، لأنه هو مركزها ومنبعها، فيكون القلب مراداً به الجملة لأن القلب هو محل التكبر، فيكون القلب هو المتكبر وإذا تكبر القلب كان صاحبه متكبراً، فيكون المعنى أن صاحبه متكبر[٢١٧].

وأمّا قراءة ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ بدون تنوين الباء، بإضافة (قلب) إلى (متكبر) فإن التكبر يقع على محذوف تقديره، كل، أو رجل، والمعنى يكون: على كل قلب رجلٍ متكبرٍ، فالطبع يقع على قلوب جميع المتكبرين[٢١٨].

قال الطبرسي: «مَن نَوَّنَ فإنه جعل المتكبر صفةً لقلب، فإذا وصف القلب بالتكبر كان صاحبه في المعنى متكبراً، فكأنه أضاف التكبر إلى القلب كما أضيف الصعر[٢١٩] إلى الخدّ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] فكما يكون بتصعير الخد متكبراً كذلك يكون بالتكبر في القلب متكبراً بجملة، وأما من أضافه فقال: ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ فلا يخلو من أن يُقَدَّرَ الكلام على ظاهره أو يُقَدَّرَ فيه حذفاً فإن تركه على ظاهره كان المعنى: يطبع الله على كل قلب متكبرٍ أي يطبع على جملة القلب من المتكبر، وليس المراد أن يطبع على كل قلبه فيعم الجميع بالطبع، إنما

---

(٢١٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٨١.

(٢١٦) فتح القدير ج٤ ص٦٩٠.

(٢١٧) انظر حجة القراءات ص٦٣٠، والحجة في القراءات السبع ص٣١٤.

(٢١٨) انظر فتح القدير ج٤ ص٦٩٠.

(٢١٩) التَّصعُّر: ميلٌ في الوجه، أو في أحد الشِّقَّين، القاموس المحيط ص٣٨٢.

المعنى: أنه يطبع على القلب إذا كانت قلباً قلباً والطبع علامة في جملة القلب كالختم عليه فإذا كان الحمل على الظاهر غير مستقيم علمت أن الكلام ليس على ظاهره وإنه حذف منه شيء وذلك المحذوف إذا أظهرته كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فيكون المعنى يطبع على القلوب إذا كانت قلباً قلباً من كل متكبر ويختم عليه»(٢٢٠).

الجمع بين القراءات:

لا يوجد فرقٌ جوهريٌ في المعنى ولا يوجد تغايرٌ بينهما، فالمعاني في القراءتين متداخلةٌ وتعطي معنىً واحداً، وإذا نظرنا إلى معنيي القراءتين وجدنا أنَّ الطبع يقع على قلب صاحب التكبر سواء كان التكبر مضافاً إلى القلب أو إلى صاحب القلب، فالمعنى واحدٌ.

قال مكي بن أبي طالب: «قرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتنوين (قلبٍ) جعلا (متكبراً) من صفة القلب، وإذا تكبر القلب تكبر صاحب القلب، وإذا تكبر صاحب القلب، تكبر القلب فالمعاني متداخلة غير متغايرة، وقرأ الباقون، بإضافة القلب الى متكبرٍ، والمعنى على ما تقدم، غير أنه أضاف التكبر إلى صاحب القلب، وفي القراءة الأولى أضاف التكبر إلى القلب، وإذا كان في القلب كبرٌ، ففي صاحبه كبرٌ، وإذا كان في صاحب القلب كِبرٌ ففي القلب كبر، فالقراءتان بمعنىً واحدٍ»(٢٢١).

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧].

(٢٢٠) مجمع البيان م٥ ج٢٤ ص١٩٦.

(٢٢١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص ٢٤٤.

القراءات:

١ ـ قرأ حفص ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بنصب العين.

٢ ـ قرأ الباقون (فأطّلِعُ) برفع العين(٢٢٢).

٣ ـ قرأ الكوفيون ﴿وَصُدَّ﴾ بضم الصاد.

٤ ـ قرأ الباقون (صَدَّ) بفتح الصاد(٢٢٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ فأطَّلعُ: طالع الشيء مطالعةً، وطلاعاً: اطَّلع عليه بإدامة النظر فيه، والطَّلعُ: المكان المشرف الذي يُطّلعُ منه، ويقال: استطلع الشيء، طلب طلوعه ومعرفته(٢٢٤)، وأطلعه على الأمر: أعلمه به(٢٢٥).

٢ ـ صَدَّ: «الصدود والصَّدُّ قد يكون انصرافاً عن الشيء وامتناعاً، نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، وقد يكون صرفاً ومنعاً نحو: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]»(٢٢٦).

وقال الجوهري: «صدَّ عنه يَصِدُّ صُدُوداً: أعرَضَ: وصَدَّ عن الأمر صَدّاً، منعه وصرفه عنه»(٢٢٧).

التفسيـر:

في سياق الحديث عن قصة فرعون مع موسى عليه السلام وموقفه من دعوته وصدِّه الناس عن السبيل وجداله الحجج بالباطل ليدحض به الحق،

---

(٢٢٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٣٦٥، وتحبير التيسير ص١٩٩.

(٢٢٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٤.

(٢٢٤) انظر المعجم الوسيط ص٥٨٩.

(٢٢٥) انظر لسان العرب ج٨ ص ٢٣٦.

(٢٢٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٧٧.

(٢٢٧) الصحاح ج٢ ص ٤٩٥.

يعرض المولى ﷻ موقفاً آخر لفرعون مليئاً بالسخرية والاستهزاء والتكذيب بموسى عليه السلام يدل على مدى كفره وتمرُّده وعتُوه، فيطلب من وزيره هامان أن يبني له صرحاً، والصرح: هو القصر العظيم الضخم العالي، نحو السماء لعله حسب زعمه أن يبلغ الأسباب أي: الطرق الموصلة إلى السماء، فينظر إلى إله موسى، قالها فرعون عليه لعنة الله سخرية واستهزاءً بموسى عليه السلام وإنكاراً وتكذيباً له ولِمَا جاء به ليدلل بحجته الباطلة استحالة أن يحصل ذلك، واستحالة أن يكون الله تعالى قد أرسل موسى عليه السلام.

قال ابن كثير: «يقول تعالى: مخبراً عن فرعون وعتوه وتمرده وافترائِه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً، وهو القصر العالي المنيف الشاهق، وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي، كما قال تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ ولهذا قال إبراهيم النخعي[(٢٢٨)]: كانوا يكرهون البناء بالآجر وأن يجعلوه في قبورهم، رواه ابن أبي حاتم، وقوله: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلخ، قال سعيد بن جبير وأبو صالح[(٢٢٩)] أبواب السموات، وقيل: طرق السموات، ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ وهذا من كفره وتمرده، أنه كذَّب موسى عليه الصلاة والسلام في أنَّ الله ﷻ أرسله إليه، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي بصنعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال تعالى:

---

(٢٢٨) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع النخعي اليماني ثم الكوفي، أحد الأئمة المشاهير والأعلام، تابعيٌ، رأى عائشة رضي الله عنها، وعاصر عدداً من الصحابة ولكنه لم يروِ عنهم، توفي سنة ٩٥هـ وله ٤٩ سنة، (انظر سير أعلام النبلاء ج٤ ص٥٢٠، وفيات الأعيان ج١ ص٢٥).

(٢٢٩) هو: ذكوان بن عبدالله، وكنيته: أبو صالح السَّمان ويقال له أبو صالح الزيات لأنه كان يجلب السمن والزيت من المدينة إلى الكوفة، مولى أم المؤمنين جويرية الغطفانية، كان من كبار العلماء بالمدينة، وولد في خلافة عمر، توفي سنة ١٠١هـ، (انظر سير أعلام النبلاء ج٥ ص٣٦، مشاهير علماء الأمصار ج١ ص٧٥).

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: يعني: إلا في خسارٍ»[٢٣٠]، وقال الطبرسي: ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ أي: قبيح عمله وإنَّما زين له ذلك أصحابه وجلساؤه وزين له الشيطان كما قال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾»[٢٣١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فأطلَّعُ) بالرفع العطف على أبلغ التي قبلها في الآية التي سبقتها فهو في هذا داخل في حيز الترجِّي[٢٣٢]، «والتقدير: لعلي أبلغ ولعلي أطلع، كأنه توقع أمرين على ظنّه»[٢٣٣]، وقال الرازي: «من رفع فقد عطفه على قوله (أبلغ) والتقدير لعلي أبلغ الأسباب ثم أطلع إلا أن حرف ثم أشدُّ تراخياً من الفاء»[٢٣٤].

وأما قراءة (فأَطَّلِعَ) بالنصب أفادت أنها جواب لعل، قال الرازي: «ومن نصب جعله جواباً والمعنى: لعلي أبلغُ الأسبابَ فمتى بلغتُها أطَّلعُ والمعنى مختلف، لأنَّ الأول: ـ بالرفع ـ لعلي أطلع، والثاني: ـ بالنصب ـ لعلِّي أبلغ وأنا ضامر أني متى بلغت فلا بد وأن أطلع»[٢٣٥]. وجاء في فتح القدير: «قال النَّحاس: ومعنى النصب خلاف معنى الرفع، لأن معنى النصب: متى بلغت الأسباب اطلعت، ومعنى الرفع: لعلي أبلغ الأسباب أطلع بعد ذلك»[٢٣٦].

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: لعلي أبلغ ولعلي أطلع فإذا بلغت اطلعت، وهو الجمع بين الترجي وجواب الترجي، وفي ذلك إيحاء

(٢٣٠) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٨١.
(٢٣١) مجمع البيان م٥ ج٢٤ ص ٢٠٠.
(٢٣٢) انظر فتح القدير ج٤ ص ٦٩١.
(٢٣٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٤.
(٢٣٤) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٦٨.
(٢٣٥) المصدر السابق ج٢٧ ص٦٨.
(٢٣٦) فتح القدير ج٤ ص ٦٩١.

من فرعون باستحالة بلوغ الأسباب مما يترتب عليه استحالة الاطلاع لذلك قال بعدها ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ أي: إنّي لأظن موسى كاذباً في قوله: إنَّ له إلهاً غيري أرسله إلينا.

أفادت قراءة ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ بضم الصاد على المبني للمجهول ولم يسمَّ فاعله هنا، فالمعنى: أن غير فرعون صدَّه عن سبيل الله تعالى، وحجة من قرأ بالضم أنَّ ما قبله مبني للمفعول، فجُعل ما عُطِفَ عليه مثله، والذي قبله ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾[٢٣٧]، وأما الفاعل: الذي صَدَّ فرعونَ عن سبيل الله، ففيه رأيان للعلماء:

الرأي الأول: أنَّ الصَّاد عن السبيل هو الشيطان، قال السمرقندي: «فمن قرأ: بالضم فمعناه: إنَّ فرعون صُرِفَ عن طريق الهدى يعني: إنَّ الشيطان زَيَّن له سوءَ عمله، وصرفه عن طريق الهدى»[٢٣٨]، وقال أبو علي الهنداوي: «والصَّادُ له هم طغاة أصحابه والشيطان كما بُيِّن ذلك في الآية الأخرى في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]»[٢٣٩].

الرأي الثاني: أنَّ الصَّاد عن السبيل والذي يقوم مقام الفاعل هو الله تعالى، قال ابن زنجلة: «﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾، بضم الصاد على ما لم يُسَمَّ فاعله، وجعلوا الفعل لله: إنّ الله صدَّه عن السبيل كما قال: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [التوبة: ٨٧] أي طبع الله عليها، وحجتهم: أنَّ الكلام أتى عقيب الخبر من الله»[٢٤٠].

وقال البغوي: «﴿وَصُدَّ﴾ بضم الصاد نسقاً على قوله: (زُيِّن لفرعونَ) قال ابن عباس: صدَّهُ الله عن سبيل الهدى»[٢٤١] وبمثله قال أبو

(٢٣٧) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص ٣٥٢، والحجة في القراءات السبع ص٣١٥.
(٢٣٨) بحر العلوم ج٣ ص١٦٨.
(٢٣٩) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص ٣٥٢.
(٢٤٠) حجة القراءات ص ٦٣٢.
(٢٤١) معالم التنزيل ج٤ ص ٨٦.

السعود[٢٤٢].

وأمَّا قراءة (وصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ) بفتح الصاد فإنها أفادت أن الفاعل في الصَدِّ هو فرعون فيكون المعنى: إن فرعون صدَّ الناس ومنعهم عن سبيل الله تعالى.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر من المعنى: أنَّ الشيطان وأصحاب فرعون قد زينوا لفرعون سوء عمله، فصدوه عن سبيل الهدى وطريق الرشاد، مما زادوه غيّاً وكفراً وعناداً، فأعرض فرعون عن السبيل، ومن ثَمَّ منع قومه، وصدهم عن اتباع السبيل، ويجوز أن يكون المعنى: أن الشيطان زين له سوء عمله فزاد في كفره وغيِّه، ومنع النَّاس من اتباع سبيل الرشاد وبسبب ذلك طبع الله على قلبه ومنعه من اتباع سبيل الرشاد والله تعالى أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب (يُدخَلون) بضم الياء، وفتح الخاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء، وضم الخاء[٢٤٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

الدخول: «نقيض الخروج، ويستعمل ذلك في المكان، والزمان،

---

(٢٤٢) انظر تفسير أبي السعود ج٥ ص١٨.

(٢٤٣) انظر غيث النفع في القراءات السبع ص٤٥٤، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٤٠.

والأعمال، يقال: دخل مكان كذا»[244].

«والمدْخَل، بالفتح: الدُّخول وموضع الدُّخول أيضاً، دَخلت مَدْخَلاً حسناً ودَخلت مَدْخَلَ صدقٍ، والمُدخَل: بضم الميم: الإدخال والمفعول من أدخله، وتقول أَدخلته مُدْخَلَ صِدقٍ»[245].

التفسير:

تعرض هذه الآية جانباً من فضل الله تعالى وسعة رحمته بعباده، وتبعث الأمل والرجاء في نفوس من عصاه في الدنيا من المسلمين، بأنه ﷻ يُقَدِّرُ ضَعفهم، فضاعف لهم الحسنات وجعلها كفارةً للسيئات، ولم يُجزِهم بالسيئة إلا مثلها، كما وتبشِّرُ المؤمنين الصالحين من عباد الله تعالى بالجنة يدخلونها ويرزقون فيها بغير حدٍّ ولا تقديرٍ.

قال سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقد اقتضى فضل الله أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيئات، رحمةً من الله بعباده، وتقديراً لضعفهم، وللجواذب، والموانع لهم في طريق الخير والاستقامة، فضاعف لهم الحسنات، وجعلها كفارةً للسيئات، فإذا هم وصلوا الجنّة بعد الحساب، رزقهم الله فيها بغير حسابٍ»[246].

قال السعدي: «أي: يعطون أجرهم بلا حدٍّ ولا عدٍّ، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم»[247].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يَدۡخُلُونَ﴾ بفتح الياء أنهم هم الذين يدخلون، فأضيف الفعل إلى الداخلين فكانوا هم الداخلين بأمر الله تعالى، على أنَّ أعمالهم

---

(٢٤٤) مفردات ألفاظ القرآن ص٣٠٩.

(٢٤٥) لسان العرب ج١١ ص ٢٤١.

(٢٤٦) في ظلال القرآن ج٥ ص٣٠٨٣.

(٢٤٧) تفسير السعدي ص٦٨١.

الصالحة أهلتهم لدخول الجنَّة، قال ابن زنجلة: «﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ بفتح الياء، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦] وقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ١٦] فكان أمر الله إياهم أن يدخلوها دليلاً على ما أسند الفعل إليهم»(٢٤٨).

وأمَّا قراءة (يُدخَلون) بضم الياء، على المبني للمجهول فقد أفادت دخولهم الجنّة بفعل غيرهم أي: أن غيرهم يدخلهم الجنَّة، قال مكي بن أبي طالب: (يُدخَلون) «أضافوا الفعل إلى غيرهم، لأنَّهم لا يدخلون الجنَّة حتى يدخلهم الله جلّ ذكره إياها»(٢٤٩)، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، كما إنَّها تفيد أنَّ الأعمال ليست هي التي تدخلهم الجنة، إنما هي سببٌ لنيل رحمة الله ورضوانه، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ قال: «سدِّدُوا وقاربوا، وأبشروا، فإنَّه لن يُدْخِلَ الجنةَ أحداً عَمَلُهُ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدنِيَ الله برحمة، واعلموا أنَّ أحبَّ العمل إلى الله أدوَمُهُ وإنْ قَلَّ»(٢٥٠). وربَّما أفادت قراءة المبني للمجهول السهولة واليسر في دخولهم الجنَّة بعد أمر الله تعالى لهم بذلك، لأن المبني للمجهول في اللغة يدل على التسهيل والتيسير في وقوع الحدث، كما يدل على مزيد عنايةٍ بهم وتكريمٍ لهم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ القراءتين متداخلتان، فأعمالهم كانت سبباً في دخولهم الجنة، وأمَّا الدخول نفسه وما فيه من النَّعيم الكثير فهو محض فضلٍ من الله تعالى، فالقراءتان جمعتا بين المعنيين، يقول مكي بن

(٢٤٨) حجة القراءات ص٦٣٣.

(٢٤٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص ٣٩٧.

(٢٥٠) صحيح مسلم: كتاب صفة يوم القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، ج٤ ص٢١٧١ ح٢٨١٨.

أبي طالب: «القراءتان متداخلتان، لأنهم إذا أمروا بالدخول دخلوا، ولأنهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله إياها فهم داخلون مُدخلون»[٢٥١]. وإذا دخلوا وجدوا من السهولة والتيسير ما يدل على عناية الله بهم وتكريم الله لهم بما يفوق أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

٩ - قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾ بقطع الألف وكسر الخاء.

٢ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر (ادخُلُوا) بوصل الهمزة، وضم الخاء[٢٥٢].

التفسير:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عن مصير قوم فرعون وما حلَّ بهم من سوء العذاب، من غرقٍ في الدنيا ومن حرقٍ في الآخرة، ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، أي: النَّارُ يُحرَقون بها صباحاً ومساءً، قال المفسرون: المراد بالنَّار في هذه الآية القبر وعذابهم في القبور بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مبيّناً عن سوء العذاب الذي حلَّ بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله، النَّار يعرضون عليها، أنهم لما هلكوا وغرَّقهم الله جعلت أرواحهم في أجواف طيرٍ سودٍ، فهي تُعرَضُ على النَّارِ كلَّ يومٍ مرتين غُدوّاً وعشياً إلى أن

(٢٥١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص ٣٩٨.

(٢٥٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٥، والمبسوط في القراءات العشر ص٢٤٠.

تقوم الساعة»[٢٥٣]، وجاء في حديث الرسول ﷺ الذي يرويه ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[٢٥٤]، وفي الحديث عن ابن مسعود ﵁ قال: إنَّ أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي فيقال هذه داركم[٢٥٥]، وعنه أيضاً: «إنَّ أرواح آل فرعون في أجواف طيرٍ سودٍ تغدو على جهنَّمَ وتروح عليها، فذلك عرضها[٢٥٦]»[٢٥٧]، ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾، أي: يوم القيامة يقال للملائكة: أدخلوا فرعون وقومَه نارَ جهنَّم التي هي أشد من عذاب الدنيا، قال الطبرسي: «وهذا أمرٌ لآل فرعون بالدخول أو أمرٌ للملائكة بإدخالهم في أشد العذاب، وهو عذاب جهنم»[٢٥٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾ بقطع الألف وكسر الخاء: أنَّ الأمر هنا موجهٌ إلى الملائكة الذين هم خزنة النار أن يُدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب، «لأنَّ الدخول ليس هو ما يشاءونه، ويفتعلونه من ذات أنفسهم، بل الزبانية يدخلونهم بعسف، وعنفٍ، وضربٍ، وسحبٍ»[٢٥٩].

---

(٢٥٣) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٤٦.

(٢٥٤) البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت، يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ج١ ص٤٦٤ ح١٣١٣.

(٢٥٥) ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٧٠، وابن كثيرٍ بمعناه ج٤ ص٨٢، ولم أجده في كتب الحديث.

(٢٥٦) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه ج٧ ص٥٤، وابن حجر في فتح الباري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر ج٣ ص٢٣٣، قال ابن حجر فيه ليث ضعيف.

(٢٥٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٨٤.

(٢٥٨) مجمع البيان م٥ ج٢٤ ص٢٠٣.

(٢٥٩) إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٢٧٢.

وأمّا قراءة (ادخُلُوا) بوصل الهمزة، وضم الخاء فعلى أن الأمر هنا موجه إلى آل فرعون، وتكون (آل فرعون) منصوبة على النداء، بمعنى: ادخلوا يا آل فرعون أشدَّ العذاب. قال صاحب زاد المسير: «قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو، وأبو بكر وأبان عن عاصم: (الساعة ادخلوا) بالضم وضم الخاء على معنى الأمر لهم بالدخول، والابتداء على قراءة هؤلاء بضم الألف، وقرأَ الباقون: بالقطع مع كسر الخاء على جهة الأمر للملائكة بإدخالهم، وهؤلاء يبتدئون بفتح الألف»[٢٦٠].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن المعنى أنَّ هناك أمراً للملائكة بإدخال هؤلاء الكفار نار جهنم، كما أنَّ هناك أمراً آخر لآل فرعون بدخول النار انصياعاً لأمر الملائكة، فإذا أدخِلوا دخلوا، وفيها شدة تعنيفٍ وترهيبٍ لهم وزيادة عزمٍ على تعذيبهم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والكوفيون ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ بالياء على التذكير.

٢ ـ قرأ الباقون (يومَ لا تَنْفَعُ) بالتاء على التأنيث[٢٦١].

المعنى اللغوي للقراءات:

«النفع ضد الضر، يقال: نفعته بكذا فانتفع به، والاسم المنفعة»[٢٦٢]. وقال الأصفهاني: «النفع: ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما

---

(٢٦٠) زاد المسير ص١٢٤٨، وانظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٧١.

(٢٦١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٥، وتحبير التيسير ص١٩٩.

(٢٦٢) الصحاح ج٣ ص١٢١٧.

يتوصل به إلى الخير، فهو خير، فالنفع خير، وضده الضر. قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الفرقان: ٣]»(٢٦٣).

التفسير:

تبيّن هذه الآية أنَّ الكفار لن ينفعهم معذرةٌ ولا توبةٌ يوم القيامة ولهم اللَّعنة بالطرد من رحمة الله تعالى، ودوام العذاب في أسوأ مكانٍ وهي النار.

يقول الطبرسي: «﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾، أي: إن اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم وإن تابوا لم تنفعهم التوبة، وإنما نفى تنفعهم المعذرة في الآخرة مع كونها نافعةً في دار الدنيا، لأن الآخرة دار الإلجاء إلى العمل والملجأ غير محمودٍ على العمل الذي ألجئ إليه ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾، أي: البعد من الرحمة والحكم عليهم بدوام العقاب ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾، جهنم نعوذ بالله منها»(٢٦٤).

وقال ابن جرير: «يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]»(٢٦٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئ ﴿يَنفَعُ﴾ بالتذكير والتأنيث لأن الفاعل ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ مؤنث غير حقيقي، قال ابن خالويه: «يقرأ بالتاء دلالة على تأنيث المعذرة، وبالياء للحائل بين الفعل والاسم، أو لأن تأنيث الاسم ليس بحقيقي»(٢٦٦).

وتعليقاً على معنى القراءتين قال ابن جرير: «والصواب من القول في

(٢٦٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٨١٩.

(٢٦٤) مجمع البيان م٥ ج٢٤ ص٢٠٦.

(٢٦٥) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٤٩.

(٢٦٦) الحجة في القراءات ص٣١٧.

ذلك أنهما قراءتان معروفتان، بمعنىً واحدٍ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب»[٢٦٧].

ويرى الباحث أنَّه لا بدَّ من تسليط الضوء على دلالة كلِّ قراءةٍ في سياق الآية وأثرها على المعنى، فالقاعدة اللغوية تجيز استخدام تذكير الفعل وتأنيثه إذا كان الفاعل مؤنثاً غير حقيقيٍ، ولكن لا بد من البحث عن حكمة استعمال التذكير في قراءة، والتأنيث فيِ قراءةٍ أخرى، فكل قراءةٍ لها دلالتها على المعنى.

في قراءة (تَنْفَعُهُمْ) بتاء التأنيث كان تسليط الضوء في نفي المنفعة على المعذرة نفسها، بحيث لن تنفع المعذرة لأنها لم تقع، فتفيد نفي المعذرة ومن ثَمَّ المنفعة، على معنى: لا تقع المعذرة من الظالمين فتنفعهم.

وأمَّا في قراءة (يَنْفَعُهُمْ) بالتذكير كان تسليط الضوء في نفي المنفعة على الظالمين، بحيث لا يقبل من الظالمين اعتذارٌ فينفعهم، فتفيد وقوع المعذرة من الظالمين وإن كانت قليلة، ولكن لا تنفعهم معذرتهم بسبب ظلمهم، ولأنَّ المعذرة تكون باطلة، ولا يجدون دفاعاً عن أنفسهم إلا بها، وقال الألوسي: «(لا) قيل: تحتمل أن تكون لنفي النفع فقط على معنى: أنَّهم يعتذرون ولا ينفعهم معذرتهم لبطلانها، وتحتمل أن تكون لنفي النفع والمعذرة، على معنى: لا تقع معذرة لتنفع»[٢٦٨].

وقال الزمخشري: «يحتمل أنَّهم يعتذرون بمعذرة ولكنَّها لا تنفع، لأنَّها باطلة، وأنَّهم لو جاءوا بمعذرة لم تكن مقبولة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٦]»[٢٦٩].

وقال الجرجاني في حاشية الكشاف تعقيباً على قول الزمخشري:

(٢٦٧) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٤٩.
(٢٦٨) روح المعاني ج٢٤ ص٧٧.
(٢٦٩) الكشاف ج٣ ص٤٣٢.

«قلت: هما الاحتمالان في قوله تعالى: ـ (ولا شفيع يطاع) ـ ولكن بين الموضعين فرقاً يصير أحدهما معه عكس الآخر، وذلك أنَّه هنا على تقدير أن يكون المراد أنَّهم لا معذرة لهم البتَّة، يكون قد نفى صفة المعذرة، وهي المنفعة التي لها تراد المعذرة قطعاً لرجائهم كي لا يعتذروا البتَّة، كأنَّه قيل: إذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع ما لا ثمرة له، وفي الآية المتقدمة جعل نفي الموصوف بتا لنفي الصفة»[٢٧٠].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن من المعنى: نفي النَّفع مطلقاً للظالمين معذرتهم سواء اعتذروا أو لم يعتذروا، وإن وقعت المعذرة فهي باطلةٌ.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر: ٥٨].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (قليلاً ما يَتَذَكَّرُون) بالياء[٢٧١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الذِّكْر: «تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ، إلَّا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذِّكْر يقال اعتباراً باستحضاره»[٢٧٢]، وقال ابن منظورٍ: «الذِّكْر: الحفظ للشيء تذكره»[٢٧٣].

---

(٢٧٠) المصدر السابق ج٣ ص٤٣٢.

(٢٧١) المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٠.

(٢٧٢) مفردات ألفاظ القرآن ص٣٢٨.

(٢٧٣) لسان العرب ج٤ ص٣٠٨.

التفسـير:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية أنَّه لا يمكن الجمع والمساواة بين النقيضين في حال، فكما أنَّه لا يستوي الأعمى الذي فقد حاسة البصر، والبصير الذي أنعم عليه الله بهذه الحاسة، فكذلك لا يمكن أن يستوي المؤمنون الأبرار، والكفرة الفُجَّار، قال ابن جرير الطبري: «وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينيه، فيتدبرها، ويعتبر بها فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شيءٍ ويؤمن به ويصدِّق، والبصير الذي يرى بعينيه ما شَخَصَ لهما ويبصرُه، وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينيه حجج الله فيتفكر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلَّت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء، يقول جل ثناؤه كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [البقرة: ٨٢]، يقول جل ثناؤه، ولا يستوي أيضاً كذلك المؤمنون بالله ورسوله المطيعون لربهم، ولا المسيء وهو الكافر به العاصي له المخالف أمره، ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾، يقول جل ثناؤه قليلاً ما تتذكرون أيها الناس حجج الله فتعتبرون وتتعظون»[٢٧٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يتذكرون) بياء الغيبة، الإخبار عن هؤلاء الكفار أنهم قليلاً ما يتذكرون، أي: يَقِلُّ نظرهم فيما ينبغي أن ينظروا فيه ممّا دعوا إليه[٢٧٥]، وهذه هي حالهم مقابل حال المؤمنين الذين يبصرون حجج الله فيتفكرونها ويتعظون بها.

وأمَّا قراءة ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بتاء الخطاب فتفيد توجيه الخطاب إلى الكفار بأمرٍ من الله لنبيِّه محمدٍ ﷺ، على معنى: قل لهم يا محمد إنكم أيها الكفار قليلاً ما تتذكرون، كما أن قراءة ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من

(٢٧٤) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٥١.

(٢٧٥) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٥٣، مفاتيح الأغاني ص٣٦٠.

الغيبة إلى الخطاب فيها مزيد توبيخ وتقريع لكفار قريش، قال النيسابوري: «﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فيه مزيد توبيخ وتقريع وفيه أنَّ هذا التفاوت مما يعثر عليه المكلف بأدنى تأمل لو لم يكن معانداً، مقصراً»[٢٧٦]، وقال الألوسي: «إنَّ التاء للتغليب أو الالتفات أو أمر الرسول ﷺ بالمخاطبة أي: بتقدير قُلْ قَبْلَه، وآثر العلاَّمَة الطيبي، الالتفات لأن العدول من الغيبة إلى الخطاب في مقام التوبيخ يدل على العنف الشديد والإنكار البليغ، فهذه الآية متصلة بخلق السموات وهو كلام مع المجادلين، وتعقبه صاحب الكشف بأنه يجوز أن يجعل ما ذكر نكتة التغليب، فيكون أولى لفائدة التعميم أيضاً فليفهم، والظاهر أن التغليب جاء على احتمال كون الضمير للناس، واحتمال كونه للكفار لأن بعض الناس أو الكفار مخاطبٌ هنا، والتقليل أيضاً يصح إجراؤه على ظاهره لأن منهم من يتذكر ويهتدي»[٢٧٧].

ومن العلماء من اعتبر أن التاء أعم[٢٧٨]، قال ابن زنجلة: «والتاء أعم لأنها تجمع الصنفين أي أنتم وهم»[٢٧٩].

وأمّا ابن عاشور فقال: «والخطاب للذين لا يجادلون في آيات الله، وكون الخطاب لجميع الأمة من مؤمنين ومشركين وأن التذكر القليل هو تذكر المؤمنين فهو قليلٌ بالنسبة لعدم تذكر المشركين بعيدٌ عن سياق الرد ولا يلاقي الالتفات»[٢٨٠]، ولكن الظاهر من سياق الآية أن المخاطب هم المجادلون من كفار قريش لأنها جاءت في سياق المفارقة بينهم وبين المؤمنين الذي يتعظون ويعتبرون بآيات الله تعالى، وقال الألوسي: «وقال الجلبي: الضمير إذا كان للناس فالتقليل على معناه الحقيقي، والمستثنى هم المؤمنون، وإذا كان للكفار فهو بمعنى النفي، ثم الظاهر أن المخاطب من

(٢٧٦) تفسير النيسابوري ج٤ ص٢٩٢٧.
(٢٧٧) روح المعاني ج٢٤ ص٨٠.
(٢٧٨) انظر الكشاف ج٣ ص٤٣٢.
(٢٧٩) حجة القراءات ص٦٣٤.
(٢٨٠) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص١٧٦.

خاطبه ﷺ من قريشٍ»[281].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر: أنَّ الله تعالى أمر نبيّه محمداً ﷺ أن يخاطب هؤلاء المجادلين في آيات الله من الكفار، على وجه التوبيخ والتقريع والإنكار الشديد عليهم، وأن يقول لهم إنهم لا يعتبرون ولا يتعظون من هذه الأمثال التي يضربها الله سبحانه للناس، إلا قليلاً أو لا يتعظون أصلاً، فإنه قد يعبر بقلة الشيء عن عدمه.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وأبو بكرٍ، ورويسٌ (سيُدْخَلون) بضم الياء وفتح الخاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء[282].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة، يدعو المولى ﷻ عباده إلى التوجه إليه بالدعاء والإخلاص له في العبادة، فيستجيب الله لهم، ويحذر المتكبرين عن عبادته، ويتوعدهم بنار جهنم يدخلونها أذلاء صاغرين.

قال ابن كثير: «هذا من فضله تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة كما كان سفيان الثوري يقول: يا من أحبَّ عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله،

(٢٨١) روح المعاني ج٢٤ ص٨٠.

(٢٨٢) انظر تحبير التيسير ص١٩٩، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٤٣.

وليس أحد كذلك غيرك يا رب رواه ابن أبي حاتم، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبنيّ آدم حين يسأل يغضبُ[(٢٨٣)].

وقال قتادة: قال كعب الأحبار أُعطِيَت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطهن أمة قبلها إلا نبي: كان إذا أرسل الله نبيّاً قال له أنت شاهد على أمتك، وجعلكم شهداء على النَّاس، وكان يقال له: ليس عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وكان يقال له ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠][(٢٨٤)]، وعلى هذا يكون المقصود بالدعاء هو السؤال، إلَّا أن بعض المفسرين قالوا: المقصود بالدعاء العبادة والتوحيد، قال الشوكاني: «قال أكثر المفسرين: المعنى: وحِّدُوني واعبدوني أتقبلُ عبادَتكم وأغفرُ لكم، وقيل المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضُرِّ، قيل: الأول أولى لأنَّ الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة، قلت: بل الثاني أولى لأن معنى الدعاء حقيقةً وشرعاً هو الطلب، فإن استعمل في غير ذلك فهو مجاز، على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة، بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح[(٢٨٥)]، فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه، ووعدهم بالإجابة ووعده الحق، وما يُبَدَّلُ القولُ لديه ولا يخلف المعياد، ثم صرّح سبحانه بأن هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقي وهو الطلب، هو من عبادته فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي: ذليلين صاغرين، وهذا وعيدٌ شديدٌ لمن استكبر عن دعاء الله، وفيه لطفٌ بعباده عظيم وإحسانٌ إليهم جليلٌ حيث توعد من ترك

(٢٨٣) لم أقف عليه، والبيت ذكره ابن كثيرٍ في تفسيره ج٤ ص٨٧.

(٢٨٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٨٧.

(٢٨٥) سنن الترمذي: كتاب الدعوات عن رسول الله. الدعاء، باب ما جاء في فضل الدعاء، ج٥ ص٤٥٦ ح٣٣٧١. قال عنه أبو عيسى الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه.

طلب الخير منه، واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ، وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة»[٢٨٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء، أنَّ المستكبرين عن عبادة الله تعالى سيدخلون يوم القيامة نار جهنَّم بأنفسهم، بوعدٍ لا خلف فيه من الله تعالى بسبب تكبرهم واستكبارهم على الله تعالى بالدعاء والعبادة، فأضيف الفعل في هذه القراءة إلى الداخلين، وهم المستكبرون.

وأمَّا قراءة (سيُدخَلون) بضم الياء، وفتح الخاء، فقد أفادت دخولهم النار بفعل غيرهم أي: إنَّ غيرهم سوف يدخلهم (جهنَّم) وهم ملائكة العذاب[٢٨٧]، بأمرٍ من الله تعالى، وربَّما أفادت المبني للمجهول زيادة التحقير والذلِّ لهم فيجتمع عليهم الذلُّ والإهانةُ والعذابُ جزاء استكبارهم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر من المعنى أنهم سيدخلون نار جهنم يوم القيامة بسبب أعمالهم واستكبارهم بأمرٍ من الله تعالى والذي سيدفعهم إلى نار جهنم هم ملائكة العذاب الذين يعنفونهم ويحقرونهم على استكبارهم عن عبادة الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور: ١٣] **فإذا أُدخلوا دخلوا وهم صاغرون أذلاء.**

١٣ ـ قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: ٧٧].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (يَرْجِعُون) بفتح التاء وكسر الجيم على البناء للفاعل.

---

(٢٨٦) فتح القدير ج٤ ص٦٩٩.

(٢٨٧) انظر التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص١٨٣.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على البناء للمفعول[٢٨٨].

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (٤٤) من سورة الزمر[٢٨٩].

(٢٨٨) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٧، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٠.

(٢٨٩) انظر ص٣١ من هذا البحث.

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة فصلت
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (سَواءٌ) بالرفع.

٢ ـ قرأ يعقوب (سَواءٍ) بالخفض.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب[٢٩٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

«المساواة: المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن، والكيل، يقال: هذا ثوبٌ مساوٍ لذاك الثوب»[٢٩١]، «والسواء: العدل، قال تعالى: ﴿فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وسَواء الشيء وسطه، قال تعالى: ﴿فِى سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾

(٢٩٠) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٦.
(٢٩١) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٣٩.
(٢٩٢) الصحاح ج٦ ص٢٣٨٤.

[الصَّافات: ٥٥] وَسِواءُ الشيء: غيرُه»(٢٩٢)، وساواه: ماثله وعادله، وسَوَّى الشيء: قوَّمه وعدَّله وجعله سويًا، يقال مكانٌ سواءٌ، وثوبٌ سواءٌ، أي: مستوٍ طوله وعرضه وطبقاته(٢٩٣).

التفسير:

تأتي هذه الآية استكمالاً لآيةٍ سبقتها فيها الإنكار الشديد من رب العزة ﷻ على أولئك المشركين الذين عبدوا معه غيره وساووا بينه وبين ما يعبدون من أصنام خسيسة لا تضر ولا تنفع، وهو الخالق المبدع لكلِّ شيءٍ، وهو ربُّ العالمين بيده الأمر كله، القاهر، المقتدر على كل شيء، ثم يعرض المولى ﷻ في هذه الآية الدلائل القاطعات الواضحات على وحدانيته، وعظيم قدرته، وتفرده بالألوهية، فقال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾، قال ابن كثير: «أي: جعلها مباركةً قابلةً للخير والبذر والغراس، وقدَّر فيها أقواتَها، وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق، والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة لهذا قال: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه»(٢٩٤).

وقال الطبرسي: «﴿سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: مستوية كاملة من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ للسائلين عن مدة خلق الأرض، وقيل: معناه للذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، فإن كلاً يطلب القوت، ويسأله»(٢٩٥)، وقال القرطبي: «معنى: ﴿سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ ولغير السائلين، أي: خلق الأرض وما فيها لمن سأل ولمن لم يسأل، ويعطي من سأل ومن لم يسأل»(٢٩٦).

---

(٢٩٣) انظر المعجم الوسيط ص٤٩٢.
(٢٩٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٩٥.
(٢٩٥) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٧.
(٢٩٦) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٩١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كل قراءة من القراءات الثلاث أفادت معنىً آخر مغايراً لمعنى القراءة الأخرى:

فقراءة (سَوَاءٍ) بالخفض أفادت أنَّها نعتٌ لأربعة أيامٍ، فيكون المعنى: «في أربعة أيامٍ مستوياتٍ تامَّاتٍ للسائلين»[٢٩٧].

وأما قراءة (سَوَاءٌ) بالضم فقد أفادت «أنها خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ أي: هي سواءٌ»[٢٩٨].

وجاء في مفاتيح الأغاني: «من رفع فعلى معنى: هي سواء للسائلين، وقال السدِّي وقتادة: سواء لا زيادة ولا نقصان، جواباً لمن سأل: في كم خلقت الأرض؟»[٢٩٩].

وأمَّا قراءة ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب، فقد أفادت أنَّها حال من ضمير ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ أو من أيام أو بالنصب على المصدر فيكون المعنى: استوت سواءً واستواءً»[٣٠٠].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر من المعنى: أنَّ الله تعالى، قدَّر فيها أقواتها سواءً أي: كاملةً من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، لأجل الطالبين المحتاجين، الذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، ولِمن سأل عن الأمر واستفهم عن حقيقة وقوعه، وأراد العبرة منه، فإنه يجده كما قال تعالى، كل ذلك في أربعة أيامٍ، كاملةٍ تامةٍ مستويةٍ بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ.

٢ - قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ

---

(٢٩٧) نظم الدرر ج٦ ص٥٦٦، انظر زاد المسير ص١٢٥٣، معالم التنزيل ج٤ ص٩٦.

(٢٩٨) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٤.

(٢٩٩) مفاتيح الأغاني ص٣٦١.

(٣٠٠) انظر مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٧.

عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفرٍ وابن عامرٍ والكوفيون ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء[٣٠١].

المعنى اللغوي للقراءات:

«النَّحْس: الأمر العظيم، والرِّيح الباردة إذا أدبرت، والغبار في أقطار السماء، وضدُّ السّعْد»[٣٠٢]، والنّحاس: اللهيب بلا دخانٍ، وذلك لشبهه في اللون بالنحاس، وأصل النَّحْس، أن يحمرَّ الأفق فيصير كالنحاس، أي: لهبٌ بلا دخانٍ، فصار ذلك مثلاً للشؤم»[٣٠٣].

وقال الزجاج: «ونحساتٍ مشئوماتٍ واحدها نَحِسٌ»[٣٠٤].

التفسير:

تصف هذه الآيات نوع العذاب الذي أرسله الله تعالى على قوم عاد جرَّاء استكبارهم في الأرض بغير حق وكفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لأنبيائهم، فقال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قال ابن كثير: «قال بعضهم وهي الشديدة الهبوب، وقيل الباردة، وقيل هي التي لها صوت، والحق أنَّها متصفةٌ بجميع ذلك فإنها كانت ريحاً شديدةً قويةً لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت ذات صوت مزعج ومنه سُمِّي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصرٌ لقوة صوت جريه، ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾

---

(٣٠١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٦، تحبير التيسير ص٢٠٠.

(٣٠٢) القاموس المحيط ص٥١٩.

(٣٠٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩٤.

(٣٠٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٣٨٣.

أي: متتابعات»[٣٠٥]، وقال الطبرسي: «أي نكدات مشئومات ذوات نحوس وقيل نحسات ذوات غبار وتراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضاً عن الجبائي[٣٠٦]، وقيل نحسات باردات، والعرب تسمي البرد نحساً»[٣٠٧]، ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لكي نذيقهم العذاب المخزي المذل في الدنيا بسبب ذلك الاستكبار ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: ولعذابهم في الآخرة أشدُّ إهانة وذلاً وأعظم خزياً من عذابهم في الدنيا وليس لهم ناصر يمنعهم من العذاب أو يدفعه عنهم[٣٠٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين (نَحِسَات بكسر الحاء، ونَحْسَات بتسكين الحاء) علاقة لغوية فقط، والمعنى واحد على رأي أكثر المفسرين، قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء علماء مع اتفاق معنييهما، وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان يقال: هذا يوم نَحْسٍ بكسر الحاءِ وسكونها... فمن كان في لغته يومُ نَحْس قال في أيامِ نَحْسَات، ومن كان في لغته يومُ نَحِسٍ قال في أيامِ نَحِسَات»[٣٠٩].

وقال ابن زنجلة: «قال الكسائي والفراء: هما لغتان بمعنى واحد، يقال: نَحْس ونَحِس، وأيام نَحْسَاتٍ، ونَحِسَاتٍ أي: مشائيم»[٣١٠]، وقال

---

(٣٠٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٩٧.

(٣٠٦) هو: محمد بن عبدالوهاب بن سلام الجبائي، وكنيته: أبو علي البصري، وشيخ المعتزلة، له تصانيف كثيرة، منها كتاب التفسير الكبير، ابنه: عبدالسلام ـ أبو هاشم الجبائي ـ شيخ المعتزلة، توفي أبو علي سنة ٣٠٣هـ عن ٦٨ سنة. (انظر سير أعلام النبلاء ج٧ ص١٨٣، طبقات المفسرين(١) ج١ ص١٠٢، شذرات الذهب ج١ ص٢٨٧).

(٣٠٧) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١٣.

(٣٠٨) انظر فتح القدير ج٤ ص٧١٦.

(٣٠٩) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٦٧.

(٣١٠) حجة القراءات ص٦٣٥.

أبو منصور: من قرأ (نَحْسَاتٍ) بسكون الحاء فالواحد: نَحْس، يقال: يومٌ نَحْسٌ، وأيامٌ نَحْسَات جمع الجمع، ومن قرأ ﴿نَحِسَاتٍ﴾ فالواحد نَحِسٌ، وأيام نَحِسَةٌ، ثم نَحِسَات جمع الجمع، ومعنى النَحِسَات والنَحْسَات: المشئومات»[٣١١].

وأمَّا حجة من قرأ (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء، قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩] أي: في يوم شؤم وبلاءٍ وهُلك، وحجة من قرأ ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء أنَّ النَّحِسَات صفة لّليوم[٣١٢]، قال الطبري: «وقد قال بعضهم: النَّحْس بسكون الحاء هو الشؤم نفسه وإنَّ إضافة اليوم إلى النَّحْس إنَّما هو إضافة إلى الشؤم، وأنَّ النَّحِس بكسر الحاء نعتٌ لليوم بأنَّه مشئوم، ولذلك قيل في أيام نَحْسات لأنها أيام مشائيم»[٣١٣]، وعلى هذا تكون قراءة (نَحْساتٍ) بإسكان الحاء فيها مبالغة ووصفٍ للشؤم أكثر مما تحمله قراءة ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء التي تصف الأيام بالشؤم، و(نَحْسات) مصدر والتعبير بالمصدر أقوى دلالة وأبلغ من التعبير بالوصف لما فيه من معنى الملاصقة بينه وبين المضاف وهو (الأيام) مما يدل على ثبوت الحالة التي عليها، ويؤيد ذلك ما ذكره الألوسي قال: «﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ جمع نحسةٍ بكسر الحاء صفةٌ مشبهة من نحس نحساً كعلم علماً نقيض سعد سعداً، وقرأ الحرميان، وأبو عمرو، والنخعي، وعيسى، والأعرج (نَحساتٍ) بسكون الحاء فاحتمل أن يكون مصدراً وصف به مبالغةً»[٣١٤].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٩﴾ [فصلت: ١٩].

(٣١١) معاني القراءات ج٢ ص٣٥٢.
(٣١٢) انظر إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ص٢٧٦.
(٣١٣) جامع البيان ج٢١ ص٦٧.
(٣١٤) روح المعاني ج٢٤ ص١١٢.

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ ويعقوب (نَحْشُرُ) بالنون وفتحها وضم الشين، (وأعداءَ) بالنصب.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُحْشَرُ﴾ بالياء وضمها وفتح الشين، و﴿أَعْدَآءُ﴾ بالرفع(٣١٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الحشر: إخراج الجماعة عن مقرهم، وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها... وسُمِّيَ يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث والنشر»(٣١٦)، وقال ابن منظور: «والحشر: جَمْعُ الناسِ يوم القيامة، والحَشْرُ: حَشرُ يوم القيامة، والمَحْشَرُ: المجمع الذي يحشر إليه القوم، وكذلك إذا حشروا إلى بلدٍ أو معسكرٍ أو نحوه»(٣١٧).

التفسير:

لما فرغ الله تعالى من موعظة المشركين بما حلّ بالأمم المكذبة من قبلهم وإنذارهم بعذاب يحل بهم في الدنيا كما حلَّ بأولئك المكذبين، انتقل في هذه الآية الكريمة إلى إنذارهم بما سيحلُّ بهم في الآخرة فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي: «واذكر لهم يا محمد طرفاً من عذاب يوم القيامة بعد تهديدهم بعذاب الدنيا لعلهم يرجعون، اذكر لهم يوم يحشر أعداء الله من الكفرة إلى النَّار، ومواقف الحساب فهم يساقون إليها كما تساق الأنعام بشدة حتى إذا تكاملوا واجتمع أولهم على آخرهم يدفعون إلى جهنم دفعاً»(٣١٨)، كما قال سبحانه وتعالى:

---

(٣١٥) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٦، تحبير التيسير ص٢٠٠.
(٣١٦) مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٧.
(٣١٧) لسان العرب ج٤ ص١٩٠.
(٣١٨) التفسير الواضح م٣ ج٢٤ ص٦١.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦]، «والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لذمهم والإيذان بعلة ما يحيق بهم من ألوان العذاب»[٣١٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (نحشرُ أعداءَ) بنون العظمة إسناد فعل الحشر من الله تعالى إلى نفسه فهو يخبر عن نفسه، والمعنى «يحشر الله ﷻ أعداءه الكفار من الأولين والآخرين»[٣٢٠]. قال مكي بن أبي طالب: «قرأ نافعٌ بالنون ونصب (الأعداء)، على الإخبار من الله جلَّ ذكره عن نفسه، ردَّه على قوله: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [فصلت: ١٨] فعطف مخبراً عن نفسه على مخبرٍ عن نفسه، وهو هو، فذلك أحسن في مطابقة الكلام وبناء آخره على أوله، ونصب (أعداء) بوقوع الفعل عليهم»[٣٢١].

وأمّا القراءة الثانية بياء الغيبة فإنه بنى الفعل للمجهول ولم يسمِّ فاعله على سبيل الإخبار عنهم، على أن الملائكة هم الحاشرون لهم بأمرٍ من الله تعالى، قال الرازي: «وأيضاً الحاشرون لهم هم المأمورون بقوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟﴾ [الصافات: ٢٢] وهم الملائكة، وأيضاً هذه القراءة موافقة لقوله: ﴿يُوزَعُونَ﴾»[٣٢٢]، كما أن هذه القراءة تدل على سهولة الحدث ويسره، قال البقاعي: «﴿يُحْشَرُ﴾ أي: يجمع بكثرةٍ بأمرٍ قاهرٍ لا كلفة علينا فيه، هذه على قراءة الجماعة بالبناء للمفعول»[٣٢٣].

الجمع بين القراءات:

تفيد القراءة بالياء ﴿يُحْشَرُ﴾ أنَّ الله تعالى يأمر الملائكة يوم القيامة

---

(٣١٩) روح المعاني ج٢٤ ص١١٤.

(٣٢٠) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص١١٥، وانظر الكشاف ج٣ ص٤٥٠.

(٣٢١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٨.

(٣٢٢) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص١١٥، وانظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٨.

(٣٢٣) نظم الدرر ج٦ ص٥٦٣.

بحشر أولئك الكفرة الظالمين لينالوا عقابهم الأليم بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم ويتم هذا الأمر بسهولة ويسر دون جهدٍ أو مشقةٍ، ولم يذكر الله تعالى الفاعل هنا، إمَّا من أجل العلم به لأنَّ الأمر يتم بأمر الله تعالى وهو الحاشر لهم بأمره، وإما لتعظيم الفاعل وهو الله تعالى مقابل تحقير أعداء الله تعالى.

وأمَّا قراءة (نَحْشرُ) بنون العظمة فإنَّها نسبت فعل الحشر إلى الله تعالى مباشرة بأنَّه هو الفاعل، فيكون إسناد الفعل إلى الله صراحةً أثبت وأقوى مما لم يسند إليه صراحة، وفي هذه القراءة التفاتٌ من الغيبة إلى التَّكلم بنون العظمة تعظيماً للفاعل وهو الله تعالى مقابل تحقير أعداء الله، كما أنَّ فيها زيادة توكيد الفعل ودلالة على شدة انتقام الله تعالى من أولئك الكفار بما يتناسب مع عظمته فيكون الفعل المبني للفاعل بنون العظمة يضيف معنىً زائداً على القراءة الأخرى، وهو المبالغة والشدة في الانتقام والتعذيب، والله تعالى أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ٢١].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم على المبني للفاعل.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على المبني للمفعول[٣٢٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود، والرَّجْعُ: الإعادة، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات[٣٢٥]، «وقوله

(٣٢٤) انظر الشامل في القراءات المتواترة ص٢٤٨، إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٩.
(٣٢٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٤٢.

ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، يعني العبد إذا بعث يوم القيامة أبصر وعرف ما كان ينكر في الدنيا بقوله لربه: (ارْجِعُون) أي: ردُّوني إلى الدنيا»(٣٢٦).

التفسير:

تعرض هذه الآية الكريمة لمشهدٍ عظيم من مشاهد يوم القيامة ـ يحدث مع الكفار المجرمين يوم يحشرهم الله تعالى للحساب ـ لا تتصوره عقولهم، فتشهد عليهم جوارحهم وأعضاؤهم بأمر الله تعالى، بما اقترفوه من جرائم وآثام، فيسألون بتعجبٍ واستغرابٍ جوارحهم وأعضاءهم ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ فترد عليهم الجوارح التي أنطقها الله تعالى، أنَّ الذي أنطقنا هو الله الذي أنطق كل شيءٍ، قال ابن جريرٍ: «يقول تعالى ذكره، وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم، إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون، لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا، فأجابتهم جلودهم، أنطقنا الذي أنطق كل شيء، فنطقنا وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما يسخط الله»(٣٢٧)، وقوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، قال البغوي: «ليس هذا من جواب الجلود»(٣٢٨). وقال الألوسي: «يحتمل أن يكون من تمام كلام الجلود ومقول القول، ويحتمل أن يكون مستأنفاً من كلامه ﷻ، والأول أظهر»(٣٢٩)، «والمعنى: أنَّ من قدر على خلقكم وإنشائكم ابتداءً قدر على إعادتكم ورجعكم إليه»(٣٣٠).

---

(٣٢٦) لسان العرب ج٨ ص١١٤.

(٣٢٧) جامع البيان ج٢١ ص٦٨.

(٣٢٨) معالم التنزيل ج٤ ص١٠٠.

(٣٢٩) روح المعاني ج٢٤ ص١١٦.

(٣٣٠) فتح القدير ج٤ ص٧١٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿تُرْجَعُونَ﴾ على البناء للمفعول أنَّ الرجوع يوم القيامة يكون على غير إرادتهم إلى الله تعالى قسراً وبأيسر أمرٍ، وهم كارهون بقوةٍ خارجةٍ عن الإرادة تدفعهم بالرجوع إلى الله تعالى. وأمَّا قراءة (تَرْجِعون) على البناء للفاعل، فقد أفادت وقوع الرجوع منهم وبذاتهم أنهم يرجعون إلى الله يوم القيامة ليحاسبهم سواء كرهوا أم رضوا ذلك. قال ابن عاشور: «والقراءة الأولى - قراءة الضم - على اعتبار أنّ الله أرجعهم، وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث، والقراءة الثانية - قراءة الفتح - باعتبار وقوع الرجوع منهم بغض النظر عن الاختيار أو الجبر[٣٣١]. هذا على اعتبار أنَّ الكلام في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ من تتمة كلام الجلود. وأمَّا على معنى أن الكلام مستأنفٌ من كلام الله تعالى فربما تفيد معنىً آخر، وهو أنَّ قراءة (تَرْجِعُون) بالفتح المقصود بها المؤمنون، لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله تعالى، كذلك جاءت بصيغة الرغبة والإرادة، والقراءة الأخرى ﴿تُرْجَعُونَ﴾ على المبني للمفعول المقصود بها الكفار لأنَّهم يتمنون عدم الرجوع إلى الله تعالى، ولذلك جاءت بصيغة الإجبار[٣٣٢].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن المعنى أن الجميع راجعٌ إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب سواءً أحب لقاء الله تعالى واختار الرجوع أم كره لقاءه وأُجبِر على الرجوع.

٥ - قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت: ٢٩].

---

(٣٣١) انظر التحرير والتنوير م١ ج١ ص٣٧٧ عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٣٣٢) انظر تفسير الشعراوي ج١ ص٢٣١، عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، والسوسي، وابن عامرٍ، وأبو بكرٍ، ويعقوب (أَرْنَا) بإسكان الراء.

٢ ـ قرأ الدوري باختلاس كسرة الراء.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿أَرِنَا﴾ بكسر الراء[٣٣٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرؤية: النظر بالعين وبالقلب، والرؤيا: ما يرى في النوم، وتراءوا: رأى بعضهم بعضاً[٣٣٤]، وارتأى الشيء: أبصره، وتراءى فلان: نظر إلى وجهه في المرآة ونحوها[٣٣٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن موقف الكفار يوم القيامة من اللذَيْن أضلاهم عن سبيل الله تعالى في الحياة الدنيا من الجنِّ والإنس، فيطلبون من الله تعالى أن يبصرهم باللّذَين أضلاهم من الجنِّ والإنس لينتقموا منهما ويدوسوهما بأقدامهم ليكونا أسفل منهم في نار جهنم تشفياً وانتقاماً منهما، وقد اختلف في معنى: ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ فقال بعض العلماء المراد هنا جنس الجنِّ والإنس من الكفار، الذين كانوا يسولون لهم ويحملونهم على المعاصي، وقيل: المراد إبليس وقابيل لأنهما سنَّا المعصية لبني آدم[٣٣٦]، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعدما أدخلوا جهنم يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك من جنهم وإنسهم، وقيل: إنَّ الذي هو من الجنِّ إبليس، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي

---

(٣٣٣) انظر المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٢، تحبير التيسير ص٢٠٠.

(٣٣٤) انظر القاموس المحيط ص١١٥٧.

(٣٣٥) انظر المعجم الوسيط ص٣٤٤.

(٣٣٦) انظر فتح القدير ج٤ ص٧٢١.

قتل أخاه... وقوله: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ يقول: نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعضٍ وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله، وعذاب أهله أغلظ ولذلك سألَ الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشدِّ العذاب في الدرك الأسفل من النار»(٣٣٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَرِنَا﴾ بكسر الراء أنَّ الكفار يسألون الله تعالى يوم القيامة وهم في النَّار أنْ يريهم ويبصرهم اللذين أضلاهم عن سبيل الله في الحياة الدنيا، ليتيسر لهم الانتقام منهم بسبب إضلالهما إيَّاهم.

وأما قراءة (أرْنا) بسكون الراء فقد أفادت معنىً آخر إضافياً إلى معنى الرؤيا والتبصير، حيث إنَّ معنى (أرْنا) أعطنا وهو التمكين فيكون المعنى: أنَّهم يسألون الله تعالى أن يمكنَّهم من اللذين أضلاهم حتى ينتقموا منهما شرَّ انتقامٍ بدوسهما تحت أقدامهم زيادةً في الإهانة والإذلال. «وعن الخليل (إذا قلتَ: أرني ثوبك بكسر الراء، فالمعنى: بصرنيه، وإذا قلته بسكون الراء فهو استعطاء، فمعناه أعطنيه)، وعلى هذا يكون معنى قراءة ابن كثيرٍ وابن عامرٍ ومن وافقهما: مَكنَّا من الَّذين أَضلانا كي نجعلهما تحت أقدامنا، أي: ائذنَ لنا بإهانتهما وخزيهما»(٣٣٨).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر أنَّ الكفَّار يسألون الله ﷻ يوم القيامة أن يمكنَّهم من اللَّذين أضلاهم، ولا يكون التمكين إلا بعد الرؤية والإبصار، وذلك من أجل الانتقام منهما ودوسهما بأقدامهم، وفي ذلك شدة انتقامٍ وإذلالٍ لهما لشدة عداوتهم لهما وبغضهم إياهما، ويؤيده قول الطبرسي:

---

(٣٣٧) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٧٢.

(٣٣٨) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٢٨١، وانظر: نظم الدرر ج٦ ص٥٧٠.

«تمنوا الشدة لشدة عداوتهم لهم وبغضهم إياهم بما أضلوهم وأغووهم أن يجعلوهما تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النار»(٣٣٩).

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ [فصلت: ٣٩].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (وربأت) بهمزة قبل التاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَرَبَتْ﴾ بدون همزة قبل التاء(٣٤٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

ربا الشيء، يربُو رُبُوّاً ورباءً: زاد ونما، وأربيتُه: نمَّيتُه، وقوله ﷻ في صفة الأرض ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾، قيل معناه: عَظُمت وانتفخت(٣٤١).

وربأت بالهمز، معناه: ارتفعت، وربأ لهم: اطَّلَعَ لهم على شرفٍ، أي: مكانٌ مرتفع والربيئة: الطليعة، أي: الذي ينظر القوم لئلا يدهم عدوٌ ولا يكون إلَّا على جبلٍ أو مرتفع، وأرتبأتُ الجبلَ: صَعدتُه، وَربَأت الأرض رباءً، زكت وارتفعت(٣٤٢).

التفسير:

في سياق الرَدَّ على المشركين منكري البعث والإحياء بعد الإماتة، تعرض الآية الكريمة لآيةٍ عظيمةٍ ودلالةٍ قويةٍ تدل على الوحدانية لله تعالى، وعظيم سلطانه، وكمال قدرته على إحياء الموتى والبعث يوم القيامة، يقول

(٣٣٩) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٢٠.

(٣٤٠) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٩، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥١.

(٣٤١) انظر لسان العرب ج١٤ ص٣٠٤.

(٣٤٢) انظر لسان العرب ج١ ص٨٣.

سعيد حوى: «﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ الدالة على توحيده وقدراته على إحياء الموتى والبعث ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ أي: هامدة لا نبات فيها بل هي ميتة يابسة مغبَّرة، والخشوع: التذلل فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ أي: المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾ أي: انتفخت»[٣٤٣].

قال الشوكاني: «ومعنى رَبَتْ: انتفخت وعلت قبل أن تنبت: قاله مجاهد وغيره، وعلى هذا ففي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: ربت واهتزت، وقيل: الاهتزاز والربو قد يكونان قبل خروج النبات وقد يكون بعده»[٣٤٤]. وقال ابن كثير: «أي: أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار»[٣٤٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: إنَّ الذي أحيا هذه الأرض الدارسة، فأخرج منها النبات، وجعلها تهتز بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها، لقادرٌ أن يحييَ أموات من بني آدم بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم»[٣٤٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿وَرَبَتْ﴾ بدون همزة أن هذه الأرض الميّتة اليابسة والمغبَّرة إذا ما نزل عليها المطر اهتزت بالنبات وانتفخت وعظمت.

وأمَّا قراءة (ربأت) بهمزة قبل التاء فقد أضافت معنى الارتفاع إلى الأرض بعد الانتفاخ، والمعنى واحدٌ لأن الأرض إذا ارتوت بالماء تحركت بالنبات، وإذا أراد النبات أن يظهر انتفخت الأرض وارتفعت.

قال الزمخشري: «والربو، وهو الانتفاخ: إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيِّه، وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال

(٣٤٣) الأساس في التفسير ج٩ ص٥٠٢٦.
(٣٤٤) فتح القدير ج٤ ص٧٢٧.
(٣٤٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٤.
(٣٤٦) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٧٨.

في الأطمار الرثة، وقُرِئ (وربأت) أي: ارتفعت لأن النبت إذا همَّ أن يظهر: ارتفعت له الأرض»[347]، وقال أبو حيان: «(وربت) أي: زادت وانتفخت، . . . (وربأت) بالهمز هنا وفي فصلت أي: ارتفعت وأشرقت، يقال: فلان يربأ بنفسه عن كذا: أي: يرتفع بها عنه»[348]، وقال ابن عطية: «ووجهها أن يكون من رَبأْتَ القوم إذا عَلَوْتَ شَرَفاً من الأرضِ طليعة، فكأن الأرض بالماء تتطاول وتعلو»[349].

وقال: «وربأت بألفٍ مهموزةٍ أيضاً بمعنى: علت وارتفعت، ومنه الربيئة، وهو الذي يرتفع حتى يرصد للقوم ثم ذكر تعالى الأمر الذي ينبغي أن يقاس على هذه الآية والعبرة، وذلك إحياء الموتى»[350].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن: أنَّ الأرض الميتة اليابسة، إذا ما أنزل عليها الماء دبّت بها الحياة فاهتزت بالنبات وانتفخت ثم ارتفعت بعد ذلك وعلت، حتى ظهر هذا التحول في الأرض للنَّاظرين، وفي ذلك دلالةٌ أقوى وزيادة عبرةٍ على إحياء الموتى.

٧ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٤٠].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة (يَلحَدون) بفتح الياء والحاء.

(٣٤٧) الكشاف ج٣ ص٤٥٥.

(٣٤٨) البحر المحيط ج٦ ص٣٢٨، عند تفسيره للآية (٥) من سورة الحج.

(٣٤٩) المحرر الوجيز ج٤ ص١٠٩، عند تفسيره للآية (٥) من سورة الحج.

(٣٥٠) المصدر السابق ج٥ ص١٨.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء[٣٥١].

المعنى اللغوي للقراءات:

اللَّحد: حفرة مائلة عن الوسط، يقال: لحد القبر وألحده: حفره، وألحد الميت: جعله في اللّحد، وألحد فلان: مال عن الحقِّ، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني: يوهن عراه ولا يبطله[٣٥٢].

وجاء في لسان العرب: أصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء، والمُلحِدُ العادِلُ عن الحق المُدخلُ فيه ما ليس فيه، يقال: قَد ألَحَد في الدين ولحَدَ أي: حادَ عنه[٣٥٣].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة يتوعد المولى ﷻ الذين يلحدون في آياته ويطعنون فيها بالتحريف والتكذيب والإنكار لها بعد ظهور الأدلة والبراهين على وجوده ووحدانيته، وكمال قدرته، وينتقصون منها، هؤلاء لا يغيب أمرهم عن الله تعالى ولا يخفى شرهم عليه، فالله تعالى لهم بالمرصاد، فلا يستطيعون أن يفلتوا من عذابه أو يتخلصوا من عقابه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ «قال ابن عباسٍ: الإلحاد، وضع الكلام على غير موضعه، وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد»[٣٥٤]. وقال السعدي: «الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجهٍ كان: إما بإنكارها، وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معانٍ لها ما أرادها الله منها، فتوعدَّ تعالى من ألحد

(٣٥١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٩، غيث النفع في القراءات السبع ص٤٦.
(٣٥٢) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٣٧.
(٣٥٣) انظر لسان العرب ج٣ ص٣٨٩.
(٣٥٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٤.

فيها بأنه لا يخفى عليه، بل هو مطلّع على ظاهره وباطنه، وسيجازيه على إلحاده بما كان يعمل»[٣٥٥].

وقال ابن كثير: «وقوله ﷻ: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فيه تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ آكدٌ أي: أنَّه تعالى عالمٌ بمن يلحد في آياته وأسمائه وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: أيستوي هذا وهذا؟ لا يستويان»[٣٥٦]. قال الرازي: «وهذا استفهامٌ بمعنى التقرير، والغرض التنبيه على أن الذين يلحدون في آياتنا يُلْقَوْنَ في النار، والذين يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة، ثم قال: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وهذا أيضاً تهديدٌ ثالثٌ، ونظيره ما يقوله الملك المهيب عند الغضب الشديد، إذا أخذ يعاتب بعض عبيده ثم يقول لهم: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ فإنَّ هذا ما يدل على الوعيد الشديد»[٣٥٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن معنى القراءتين واحدٌ، قال السمرقندي: «قرأ حمزة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بنصب الحاء، والياء، والباقون: بضم الياء، وكسر الحاء، ومعناهما واحدٌ، لحد وألحد بمعنىً واحدٍ»[٣٥٨]. وقال الزجاج: «(يَلحَدُون) بفتح الياء والحاء، وتفسير يَلحدون يجعلون الكلام على غير جهته، ومن هذا اللَّحد لأنه الحفر في جانب القبر، يقال لَحَدَ وألحَدَ، في معنىً واحدٍ»[٣٥٩].

إلَّا أنَّ للفرَّاء رأياً آخر ذكره ابن منظور في معجمه فقال: «قال الفراء: قرئ يَلْحَدون فمن قرأ يَلْحَدون أراد يميلون إليه، ويُلحدون

(٣٥٥) تفسير السعدي ص٦٢٢.

(٣٥٦) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٤.

(٣٥٧) التفسير الكبير م١١ ج٢٧ ص١٣٢.

(٣٥٨) بحر العلوم ج٣ ص١٨٥.

(٣٥٩) معاني القرآن وإعرابه ج٤ ص٣٨٨.

يعترضون، قال وقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٍ﴾ [الحج: ٢٥] أي: باعتراض»[٣٦٠].

وعلى هذا يكون معنى قراءة (يَلحدون) بفتح الياء: مجرد الميل عن الحق، بحرف الكلم عن مواضعه وتصريفه عن معناه الحقيقي، وربما يناسب هذا المعنى الفتحة حيث أنها أخف من الضم في النطق، مما لها أثر الخفة في الإلحاد على المعنى.

وأمّا قراءة ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضم الياء: فإنها تفيد الاعتراض، على آيات الله بالتكذيب والإنكار والمعاداة ويناسبها الضم لما في الضم من ثقل النطق إشارةً إلى ثقل حالة الإلحاد التي هم فيها[٣٦١]، ويحتمل أنهم يحملون غيرهم على الإلحاد في آيات الله، فيزداد بذلك إلحاداً إلى إلحاده، على معنى ألحد الميت، أي: جعله في القبر، وكما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٨] قال العلماء: أي: لِيُضِلَ غيره[٣٦٢].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنّ الله تعالى توعَدَّ كلَّ من يميل عن الحق إلى الباطل سواء كان بتحريف آيات الله عن مواضعها وصرفها عن معناها الحقيقي، أو بإنكارها وجحودها، وتكذيب ما جاء بها، والاعتراض عليها، كل بحسب عمله سيجازيه الله وينتقم منه يوم القيامة، ولذلك قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤].

(٣٦٠) لسان العرب ج٣ ص٣٨٩.

(٣٦١) انظر كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، موضوع الحركة غير الإعرابية ص١٠٢ ـ ١٠٨.

(٣٦٢) انظر ص٩ من هذا البحث.

القراءات:

١ ـ قرأ هشام (أعجميٌّ) بهمزة واحدة على الخبر.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ﴾ بهمزتين على الاستفهام.

وسهل الهمزتين من غير إدخال ألف الفصل: ورشٌ، وابن كثيرٍ، وابن ذكوان، وحفصٌ، ورُويسٌ، ولورش أيضاً إبدالها ألفاً مع المدِّ المشبع.

وقالون، وأبو عمرو، وأبو جعفر، بتسهيل الثانية مع إدخال ألف الفصل، وحققها الباقون(٣٦٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

العجمة: خلاف الإبانة، والإعجام: الإبهام، والعَجَم: خلاف العَرَب، والعجمي منسوب إليهم(٣٦٤)، «ورجلٌ أعجَميٌّ وأَعْجَمُ إذا كان في لسانه عُجمة، وإن أفصح بالعجمية، وكلامٌ عجَمٌ وأعجميٌّ بيِّنُ العُجمة»(٣٦٥).

وقال د. محمد حجازي: «الأعجمي وصف للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم الذي لا يفصح، سواء كان من العرب أو العجم»(٣٦٦).

التفسير:

قال ابن كثيرٍ: «لمَّا ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وإحكامه في لفظه ومعناه، ومع هذا لم يؤمن به المشركون، نبَّه على أن كفرهم به كفر عنادٍ وتعنتٍ، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الشعراء: ١٩٨ ـ ١٩٩] وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أي: لقالوا هلا أنزل مفصلاً بلغة العرب، ولأنكروا ذلك، فقالوا

(٣٦٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٨، تحبير التيسير ص٢٠١.

(٣٦٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٩.

(٣٦٥) لسان العرب ج١٢ ص٣٨٦.

(٣٦٦) التفسير الواضح م٣ ج٢٤ ص٧٠.

أأعجمي وعربي، أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه؟ هكذا رُويَ هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم، وقيل المراد بقولهم: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أي: هل أنزل بعضها بالأعجمي وبعضها بالعربي؟ هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعنت والعناد أبلغ، ثم قال ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ أي: قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدىً لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أي: لا يفهمون ما فيه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: لا يهتدون إلى ما فيه من البيان، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ قال مجاهد: يعني: بعيد من قلوبهم، قال ابن جرير: معناه: كأنَّ من يخاطبهم، يناديهم من مكانٍ بعيدٍ لا يفهمون ما يقول... وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم»[٣٦٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة هشام (أَعْجمِيٌّ) بهمزة واحدة بدون مد، أنَّ الكلام كله خبرٌ عنهم حكاية على قول الكفار «بأن القرآن أعجمي، والرسول أو المرسل إليه عربي»[٣٦٨]. «ويجوز أن يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم، وبعضها عربياً لإفهام العرب»[٣٦٩].

قال مكي بن أبي طالب: «قراءة هشام هنا بهمزة على الخبر فإنه جعل الكلام كله خبراً، حكاية عن قول الكفار أنهم قالوا: لولا فصلت آيات القرآن بعضه أعجمي وبعضه عربي، فيعرف العربي ما فيه من العربي ويعرف

(٣٦٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٥.

(٣٦٨) بحر العلوم ج٣ ص١٨٧، التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص١٣٤.

(٣٦٩) روح المعاني ج٢٤ ص١٣٠.

العجمي ما فيه من العجمي»[370].

وأمَّا قراءة ﴿ءَاعۡجَمِيٌّ﴾ فقد أفادت الاستفهام منهم على الإنكار لذلك، فالهمزة الأولى همزة إنكار وتوبيخ على لفظ الاستفهام، والثانية ألف القطع[371]، قال الرازي: «وأما القراءة بهمزتين: فالهمزة الأولى همزة إنكار، والمراد أنكروا، وقالوا قرآن أعجميٌّ ورسول عربي، أو مرسل إليه عربي»[372].

وقال مكي بن أبي طالب: «القراءة بالاستفهام أنه على الإنكار منهم لذلك، لأنه قال: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ﴾ منكرين: أقرآنٌ أعجميٌّ ونبيٌّ عربيٌّ، كيف يكون هذا، فأخبر: عمَّا لم يكن لو كان كيف يكون، فبيَّن أنه لو أنزل القرآن بلسان العجم لقالت قريشٌ: أقرآنٌ أعجميٌّ ونبيٌّ عربيٌّ: إنكاراً منهم لذلك»[373].

وأمَّا قراءة (ءاعجميٌّ) بهمزةٍ واحدةٍ مع المد على الاستفهام أفادت ما أفادته قراءة ﴿ءَاعۡجَمِيٌّ﴾ بهمزتين إلَّا أنَّ فيها المبالغة والشدة في الإنكار مع الاستهجان منهم لحدوث ذلك إن وقع، وحركة المد الطويلة في (ءاعجميٌّ) تدل على ذلك.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّن من المعنى: أنه تعالى، لو أنزل القرآن بلسان العجم، ففي كل الأحوال سيعترض المشركون ويمارون ويجادلون، سواءٌ كان القرآن عربياً أم أعجمياً، وأقلهم اعتراضاً سيطلبون تفصيل الآيات بعضها أعجمي حتى يفهمه العجم، وبعضها عربي حتى يفهمه العرب، وذلك على قراءة (أعجميٌّ) بهمزةٍ واحدةٍ، وستجد من هؤلاء المشركين من ينكر

---

(٣٧٠) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٨.
(٣٧١) انظر إعراب القراءات السبع وعللها ج٤ ص٢٧٨.
(٣٧٢) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص١٣٤.
(٣٧٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٨.

ذلك ويقول: أقرآنٌ أعجميٌّ ونبيٌّ عربيٌّ كيف يكون هذا، وذلك على قراءة ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ﴾ بهمزتين، ومنهم من يبالغ في الإنكار ويستهجن حدوث ذلك، وهذا على قراءة (ءاعجميٌّ) بهمزة المد، فالقراءات جميعها: تبيِّن أنهم في كل الأحوال سيعترضون، ويجادلون، مع اختلاف درجة اعتراضهم وإنكارهم.

قال السمرقندي: «والغرض أنهم لعنادهم لا ينفكون عن المراء والاعتراض سواء كان القرآن عربياً أو أعجمياً»(٣٧٤).

وقال ابن عطية: «أخبر الله تعالى عنهم، أنه لو كان على أيِّ وجهٍ تخيل لكان لهم قولٌ، واعتراضٌ فاسدٌ»(٣٧٥).

٩ - قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ [فصلت: ٤٧].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثيرٍ، والبصريان، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ، وأبو بكر (ثَمَرَةٍ) بغير ألف على التوحيد.

٢ - قرأ الباقون ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ بألفٍ على الجمع(٣٧٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الثمر: اسمٌ لكل ما يُتَطَعَّمْ من أحمال الشجر، الواحدة: ثمرةٌ، والجمع: ثمارٌ وثمراتٌ»(٣٧٧)، ويطلق أيضاً على أنواع المال، والأولاد، قال ابن منظورٍ: «الثمر: حَمْلُ الشجر، وأنواع المال، والولد: ثمرة القلب، وفي الحديث: إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ثمرة فؤاده،

(٣٧٤) بحر العلوم ج٣ ص١٨٦.
(٣٧٥) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٠.
(٣٧٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٧.
(٣٧٧) مفردات ألفاظ القرآن ص١٧٦.

فيقولون: نعم[٣٧٨]، قيل للولد ثمرة لأن الثمرة ما ينتجه الشجر والولد ينتجه الأب»[٣٧٩].

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن بعض علوم الغيب التي تفرَّدَ الله تعالى بها عمَّن سواه، وقصرها على نفسه، ولم يطلع عليها أحداً حتى أحبَّ الخلق إليه، وهذه من جملة مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى، «وهي: موعد قيام الساعة، وخروج الثمرات من أكمامها، أي: أغلفتها وحملُ الأنثيات وَوَضعُهُنَّ»[٣٨٠]، قال ابن كثير: «﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: لا يعلم ذلك أحدٌ سواه كما قال محمدٌ ﷺ وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»**[٣٨١]»[٣٨٢].

وقال الرازي: «﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وهذه الكلمة تفيد الحصر، أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله، وكما أن هذا العلم ليس إلا عند الله فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلية في أوقاتها المعيَّنة ليس إلا عند الله ﷻ، ثم ذكر من أمثلة هذا الباب مثالين **أحدهما**: قوله: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾، **والثاني** قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ قال أبو عبيدة: أكمامها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها كم

(٣٧٨) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه: كتاب ما جاء في الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب فضل المصيبة إذا احتسبت ج٣ ص٣٤١، وقال الترمذي هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٣٧٩) لسان العرب ج٤ ص١٠٦.

(٣٨٠) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٤٨.

(٣٨١) جزء من حديث رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان، ج١ ص٢٧ ح٥٠، ومسلم: كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج١ ص٣٦ ح٨.

(٣٨٢) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٥.

وكمة»[٣٨٣]. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ «أي: يوم القيامة ينادي الله المشركين على رؤوس الخلائق، أين شركائي الذين عبدتموهم معي ﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أي: أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي: ليس أحدٌ منا يشهد اليوم أنَّ معك شريكاً»[٣٨٤]، قال المفسرون: لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام وتبرأت الأصنام منهم، وأعلنوا إيمانهم وتوحيدهم في وقتٍ لا ينفع فيه إيمانٌ[٣٨٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال العلماء: من قرأ ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ على الجمع، أراد جميع أنواع الثمرات، لاختلافها وتنوعها، والجمع يراد به الكثرة والتعدد.

ومن قرأ (ثَمَرَةٍ) على التوحيد أراد بها الجنس أي: جنس الثمرات، لأن الثمرة تؤدي عن الثمار، قال ابن زنجلة: «قرأ نافعٌ، وابن عامرٍ، وحفصٌ: ﴿مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ بالألف على الجمع، وحجتهم أنها مكتوبة في المصاحف بالتاء، وأخرى: وهي أنه ليس يراد ثمرة دون ثمرة، وإنَّما يراد جمع الثمرات ويقوي الجمع: «قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]. وقرأ الباقون: (من ثمرةٍ من أكمامها) على واحدة: لأنَّ الثمرة تؤدي عن الثمار لأنها الجنس، وحجتهم، قوله ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ قالوا: كما أفرد أنثى كذلك ينبغي أن يكون (من ثمرةٍ) مفردة، ويكون المراد أجناس الثمار»[٣٨٦].

وقال د. محمد سالم محيسن: «﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ قرأ نافع وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، بألف بعد الراء على الجمع، وذلك لاختلافها

---

(٣٨٣) التفسير الكبير م٤ ج٢٧ ص١٣٧.

(٣٨٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٦.

(٣٨٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣١٤، فتح القدير ج٤ ص٧٣١.

(٣٨٦) حجة القراءات ص٦٣٨.

وتنوعها، وقرأ الباقون بغير ألف على الإفراد لإرادة الجنس»(٣٨٧)، وذكر مكي بن أبي طالب أنَّ «الجمع لكثرة أنواع الثمرات الخارجة من غلافاتها، والأكمام: الغلافات التي تخرج منها الثمرات، وهو جمع كِمْ، وقرأ الباقون بالتوحيد، لأن دخول (من) على (ثمرةٍ) يدل على الكثرة»(٣٨٨).

الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ بالجمع مبيّنةٌ أن المقصود جميع أنواع الثمرات صغيرها وكبيرها، صالحها وفاسدها، من الفواكه والحبوب وغيرها، حتى لا يتوهم أحدٌ أن المقصود ثمرةٌ دون ثمرةٍ، أو نوعٌ مقصودٌ من الثمار، وفي ذلك إظهار لعظمة الله ﷻ، كما في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧].

قال البقاعي: «﴿مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ أي: صغيرةً أو كبيرةً صالحةً أو فاسدةً من الفواكه والحبوب وغيرها، والإفراد في قراءة الجماعة للجنس الصالح للقليل والكثير، نبَّهت قراء نافع وابن عامرٍ وحفصٍ عن عاصمٍ بالجمع على كثرة الأنواع»(٣٨٩).

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٥١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن ذكوان، وأبو جعفر (وَنَاء) بألف ممدودة بعد النون وبعدها همزةٌ مفتوحةٌ.

٢ ـ قرأ الباقون (وَنأَى) بهمزةٍ مفتوحةٍ ممدودةٍ بعد النون(٣٩٠).

---

(٣٨٧) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٤٧.
(٣٨٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٩.
(٣٨٩) نظم الدرر ج٦ ص٥٨٥.
(٣٩٠) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٤٨، النشر ج٢ ص٢٣١.

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ناء: ناء بحمله ينوء نَوْءاً وتَنْوَاءً نهض بجهدٍ ومشقةٍ، وقيل: أثقل فسقط، ويقال: ناء بالحمل إذا نهض به مثقلاً، وناءَ به الحملُ إذا أثقله، وقوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] المعنى: إنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أي تُميلهم من ثقلها[٣٩١].

٢ ـ «نأى: النَّأيُ: البُعد، ينأى: بَعدُ، بوزن نَعى يَنْعَى، ونأوتُ، لغةٌ في نأيتُ، والنَّأيُ: المفارقة»[٣٩٢] وجاء في الصحاح: «نأيته ونأيتُ عنه نأياً بمعنىً، أي: بعدت، وأَنْأَيتُه فَانْتَأَى، أي: أبعدته فبَعُدَ، وتناءَوا، أي: تباعَدُوا، والمُنْتَأى: الموضع البعيد»[٣٩٣].

التفسير:

«أشارت هذه الآية إلى بعض الغرائز والصفات الكامنة في الإنسان، فمن بني الإنسان الذين إن أنعم الله عليهم في الدنيا استكبروا، وتجبروا وأعرضوا عن الإيمان بالله تعالى، وتركوا فعل الخير، وإن أصابهم الله بشرٌ رجعوا إليه وأكثروا من الدعاء تضرعاً إليه، وسألوا الله أن يكشف عنهم ما حلَّ بهم، فهؤلاء لا يعرفون ربهم وخالقهم إلَّا في حالات الشدة والبلاء، أما في حالات السعة والهناء، فإنهم يكونون بعيدين عن الله تعالى»[٣٩٤].

قال ابن جريرٍ الطبري: «يقول تعالى ذكره: وإذا نحن أنعمنا على الكافر فكشفنا ما به من ضُرٍّ ورزقناه غنىً وسعةً، ووهبنا له صحة جسم وعافيةً أعرض عمَّا دعوناه إليه من طاعتنا وصدَّ عنه، ونأى بجانبه، يقولَ وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه، ويعني بجانبه: بناحيته... وقوله:

(٣٩١) انظر لسان العرب ج١ ص١٧٤ مادة (نوأ).

(٣٩٢) لسان العرب ج١٥ ص٣٠٠ مادة (نأى).

(٣٩٣) الصحاح ج٦ ص٢٤٩٩.

(٣٩٤) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٤٩.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ يعني بالعريض: الكثير»[٣٩٥]، وقال البقاعي: ومعنى: ﴿عَرِيضٍ﴾ «أي: مديد العرض جداً، وأما طوله فلا تسأل عنه، وهذا كنايةٌ عن النهاية في الكثرة»[٣٩٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ونأى) أن هذا الإنسان الكافر إذا ما أنعم الله تعالى عليه وكشف ما به من ضرٍّ استكبر عن شكر الله تعالى وأعرض عن عبادته والإيمان به وأبعد نفسه عن إجابة دعوة الله تعالى له بالإيمان، وجاء في لسان العرب: «يقال للرجل إذا تكبر وأعرض بوجهه: نأى جانبه، ومعناه أنه نأى جانبه من وراء أي نحاه، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، أي: أنأى جانبه عن خالقه متغانياً معرضاً عن عبادته ودعائه، وقيل: نأى بجانبه أي: تباعد عن القبول»[٣٩٧]. وقال القرطبي: «ومعنى ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي: ترفع عن الانقياد إلى الحق وتكبر على أنبياء الله، وقيل: (نأى) تباعد»[٣٩٨]، وبنحو ذلك قال الشوكاني[٣٩٩].

وأمَّا قراءة (ناء) فإنها أفادت أن هذا الإنسان الكافر إذا ما أنعم الله عليه تثاقل عن أداء الشكر لله تعالى على هذه النعم ومال بجانبه استكباراً وتثاقلاً عن عبادة الله تعالى كمن يحمل ثقلاً كبيراً يمنعه من القيام والنهوض، قال ابن عاشور: «وقيل: ناء في هذه القراءة بمعنى ثقل، أي: عن الشكر، أي: في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾» [الأعراف: ١٧٦][٤٠٠]، وقال النيسابوري: «ومن قرأ (ناء) فإما من النوء بمعنى

(٣٩٥) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٤.

(٣٩٦) نظم الدرر ج٦ ص٥٨٩.

(٣٩٧) لسان العرب ج١٥ ص٣٠٠.

(٣٩٨) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣١٥.

(٣٩٩) انظر فتح القدير ج٤ ص٧٣٢.

(٤٠٠) التحرير والتنوير م٧ ج١٥ ص١٩٢ عند تفسيره للآية (٨٣) من سورة الإسراء.

النهوض مستثقلاً، وإما مقلوبٌ كقولهم: (راء) في رأي»[401]، وقال البقاعي: «(النوء) : الميل، قال الرازي والنوء: الكوكب مال عن العين عند الغروب، يقال: ناء بالحِمْلِ إذا نهض به مثقلاً، وناء به الحِمْلُ إذا أماله لثقله»[402].

وقال الألوسي: «وقرأ ابن عامرٍ برواية ابن ذكوان (وناء) هنا وفي فصلت فقيل ذلك من باب القلب، ووضع العين محل اللام كراء ووراء، وقيل لا قلب، و(ناء) بمعنى: نهض كما في قوله:

حتى إذا مَا التَأَمَتْ مَفَاصِلُهُ وَنَاءَ في شَقِّ الشِمالِ كَاهِلُهُ[403]

نهض متوكئاً على شماله، وفسر نهض هنا بأسرع، والكلام على تقدير مضافٍ، أي: أسرع بصرف جانبه، وقيل: معناه: تثاقل عن أداء الشكر فِعْلَ المعرض»[404].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيَّن من المعنى: أنَّ هذا الكافر إذا ما أنعم الله تعالى عليه أعرض عن عبادته وطاعته وأبعد نفسه عن إجابة دعوته مستكبراً، متثاقلاً عن أداء شكر هذه النعم لله تعالى، مستعلياً متفاخراً على غيره مدَّعياً أن هذه النعم من كسبه واجتهاده وفي ذلك دليلٌ على شدة انحرافه وطغيانه وتكبره، فالقراءتان ترسمان مشهداً دقيقاً للحالات التي يكون عليها هؤلاء الكفار من اغترارٍ بالسوء وجحودٍ للنعم وبطرانٍ للحق ونكرانٍ للجميل، ملازمٍ لهم في جميع أحوالهم في السراء والضراء مع تفاوت درجات جحودهم واستكبارهم تبعاً لتمكن الكفر من قلوبهم والله تعالى أعلم.

---

(٤٠١) تفسير النيسابوري ج٣ ص٢١٠٠ عند تفسيره للآية (٨٣) من سورة الإسراء.

(٤٠٢) نظم الدرر ج٥ ص٥١٧ عند تفسيره للآية (٧٦) من سورة القصص.

(٤٠٣) لم أقف عليه، والبيت ذكره الألوسي، وابن عطية.

(٤٠٤) روح المعاني ج١٥ ص١٤٧ عند تفسيره للآية (٨٣) من سورة الإسراء.

الفصـل الثانــي
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الشورى ـ الزخرف ـ الدخان

المبحث الأول: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الشورى المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الزخرف المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الدخان المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الأول
عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الشورى
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى: ٣].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ (يُوحَى) بفتح الحاء على التجهيل.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُوحِيٓ﴾ بكسر الحاء على التسمية[٤٠٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

الوحي: «الإشارة والكتابة والمكتوب، والرِّسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكلُّ ما ألقيتَه إلى غيرك، والصوت يكون في النَّاس وغيرهم، كالوحي والوحاة... وأوحَى إليه: بعثه، وألهمه»[٤٠٦]. وقال الأصفهاني: «أصل الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد على التركيب، وبإشارةٍ ببعض الجوارح، وبالكتابة،... ويقال: للكلمة الإلهية

(٤٠٥) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٧، تحبير التيسير ص٢٠٢.

(٤٠٦) القاموس المحيط ص١٢٠٧.

التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌ، وذلك أضرب حسبما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]»(٤٠٧).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قضية عقديةٍ لها أصالتها بين الأمم كانت محور جدلٍ بين الكفار وأنبيائهم على مدار التاريخ والأزمان، قضية الوحي وحقيقته، ووحدته، ووحدة مصدره، وهو الله العزيز الحكيم، ووحدة الرسالة التي بعث بها الرسل، المنبثقة عن هذا الوحي.

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: مثل ذلك، وعلى هذا النسق، وبهذه الطريقة يكون الوحي إليك وإلى الذين من قبلك، فهو كلماتٌ وألفاظٌ، وعباراتٌ مصوغةٌ من الأحرف التي يعرفها الناس، ويفهمونها ويدركون معانيها، ولكنهم لا يملكون أن يصوغوا مثلها ممَّا بين أيديهم من أحرفٍ يعرفونها. ومن الناحية الأخرى، تقرر وحدة الوحي ووحدة مصدره، فالمُوحِي هو الله العزيز الحكيم، والمُوحَى إليهم هم الرسل على مدار الزمان، والوحي واحدٌ في جوهره على اختلاف الرسل، واختلاف الزمان: ﴿إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ إنَّها قصةٌ بعيدة البداية، ضاربةٌ في أطواء الزمان، وسلسلةٌ كثيرةُ الحلقات، متشابكة الحلقات، ومنهجٌ ثابت الأصول على تعدد الفروع، وهذه الحقيقة ـ على هذا النحو ـ حين تستقر في ضمائر المؤمنين تشعرهم بأصالة ما هم عليه وثباته، ووحدة مصدره وطريقه، وتشدهم إلى مصدر هذا الوحي: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾»(٤٠٨). وقال الشوكاني: «هذا كلامٌ مستأنفٌ غير متعلقٍ بما قبله: أي مثل ذلك الإيحاء الذي أُوحِي إلى سائر الأنبياء من كتب الله المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة إلى التوحيد والبعث يوحي إليك يا محمد في هذه السورة، وقيل: إنَّ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾

---

(٤٠٧) مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٥٨.

(٤٠٨) في ظلال القرآن ج٥ ص٣١٣٩ ـ ٣١٤٠.

أُوْحِيَت إلى من قبله من الأنبياء، فتكون الإشارة بقوله: (كذلك) إليها»[٤٠٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُوحَى) على المبني للمفعول أنَّ جملة ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ بيانٌ للفاعل، كأنهم سألوا من يوحي إليك، فقيل: ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، و(كذلك) تكون مبتدأً على أنَّ الكاف اسم بمعنى: مثل، أي: مثل ذلك يوحى، و(يوحى) خبرها. قال البغوي: «قرأ ابن كثير (يُوْحَى) بفتح الحاء، وحجته قوله: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فعلى هذه القراءة قوله ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ تبيينٌ للفاعل لأنه قيل: من يوحي؟ فقيل: ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾»[٤١٠]. وفي هذه القراءة تأكيدٌ على حقيقة الوحي ووحدته ووحدة مصدره وهو الله العزيز الحكيم، وكأنهم شككوا في حقيقة الوحي وما جاء به النبي ﷺ، والموحي لهذا الرسول، ولذلك جاء الفعل (يُوحَى) بالمبني للمفعول للدلالة على أنَّ الموحي معلوم لدى الجميع، ولمَّا سألوا من الموحي أجابهم بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، قال البقاعي: «ولمَّا كان الاهتمام بالوحي لمعرفة أنَّه حقٌّ، كما أشارت إليه قراءة ابن كثيرٍ بالبناء للمفعول، والمُوحِي إليه، لمعرفة أنه رسولٌ حقاً وكان المراد بالمضارع مجرد إيقاع مدلوله لا يفيد الاستقبال صح أن يتعلق به قوله مقدماً على الفاعل: (وإلى الذين) والقائم مقام الفاعل في قراءة ابن كثيرٍ ضميرٌ يعود على (كذلك)»[٤١١].

وأمَّا قراءة (يُوحِي) بكسر الحاء على المبني للفاعل ففيها إسناد الفعل إلى الله تعالى مباشرة، فيكون «الفاعل (الله) و(العَزِيزُ الحَكِيمُ) نعتان، والكاف منصوبة المحل إما نعتاً لمصدرٍ، أو حالاً من ضميرٍ، أي: إيحاءً

(٤٠٩) فتح القدير ج٤ ص ٧٣٧.

(٤١٠) معالم التنزيل ج٤ ص١٠٦.

(٤١١) نظم الدرر ج٦ ص٥٧٩.

مثل ذلك الإيحاء»[٤١٢]، وفي هذه القراءة تأكيدٌ على وحدة الرسالة التي بعث الله بها إلى الرسل عن طريق الوحي، وكأن شَكَّ الكفارِ واقعٌ على القرآن أنَّه من عند الله، ولم يكن الشكُّ في المُوحِي وهو الله، لذلك جاء بالمبني للفاعل للإشارة إلى حقيقة ما جاء به النبي ﷺ هو مثل ما جاء به الأنبياء السابقون، أو أنَّ ما تضمنته هذه السورة من معانٍ هو مثل ما أوحاه الله إلى الأنبياء من قبله، ولذلك تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

وفي قراءة المبني للمفعول يوقف على (قبلك)، ويبتدأ: بـ ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وأمَّا في قراءة المبني للفاعل لا يوقف إلا على (الحكيم)، قال مكي ابن أبي طالب: «(كذلك يوحي) قرأه ابن كثيرٍ بفتح الحاء على ما لم يُسَمَّ فاعله، فيوقف في قراءته على (قبلك) ويبتدأ: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، على التبيان لما قبله، كأنه قيل من يوحيه؟ فيقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فالمعنى على هذه القراءة: (كذلك يُوحى إليك يا محمد مثل ما أوحي إلى الأنبياء قبلك)، وقيل معناه: (إنَّ الله جلَّ ذكره أعلمه أن هذه السورة أوحيت إلى الأنبياء قبل محمدٍ)، و(إليك) يقوم مقام الفاعل، أو يضمر المصدر يقوم مقام الفاعل، قرأ الباقون بكسر الحاء، فلا يوقف إلا على (الحكيم)، لأنهم أسندوا الفعل إلى الله جلَّ ذكره، فهو الفاعل، فلا يوقف على الفعل دون الفاعل، ولا على الفاعل دون نعته»[٤١٣].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين، يُكشَف لنا عن حقيقة هؤلاء الكفار وصدفهم وجدالهم الحق بالباطل، فهم لم يقفوا إلى حد إنكار مصدر هذا القرآن الكريم، وإنما تعدوه إلى إنكار حقيقة الوحي، والموحي وهو الله تعالى، لذلك حملت القراءتان الردَّ على كل هؤلاء المجادلين المشككين في حقيقة

(٤١٢) اللباب ج١٧ ص١٦٢.

(٤١٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص ٢٥٠.

الوحي والرسالة والقرآن المنزل من عند الله تعالى، يقول الإمام سيد قطب: «ومن الناحية الأخرى تقرر هذه الآية وحدة الوحي، ووحدة مصدره، فالموحي هو الله العزيز الحكيم، والمُوحَى إليهم هم الرسل على مدار الزمان، والوحي واحدٌ في جوهره على اختلاف الرسل، واختلاف الزمان»(٤١٤).

٢ ـ قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الشورى: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ والكسائي (يَكادُ) بالياء على التذكير.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء على التأنيث(٤١٥).

٣ ـ قرأ أبو عمرو، وشعبة، ويعقوب (يَنفَطِرْنَ) بالنون والتخفيف.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالتاء والتشديد(٤١٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ «تكاد: وضع كاد لمقاربة الفعل، يقال: كاد يفعل: إذا لم يكن قد فعل، وإذا كان معه حرف نفي يكون لما قد وقع، ويكون قريباً من أن لا يكون»(٤١٧)، «كاد يفعل كذا، يكاد كوداً أو مكادةً، أي قارب ولم يفعل»(٤١٨).

---

(٤١٤) في ظلال القرآن ج٥ ص٣١٣٩، بتصرف قليل.

(٤١٥) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩١، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٠.

(٤١٦) انظر الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥١، إتحاف فضلاء البشر ص٤٩١.

(٤١٧) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٢٩.

(٤١٨) الصحاح ج٢ ص٥٣٢.

٢ - يتفطرن: «أصل الفطر: الشق طولاً»[٤١٩] «فطر الشيء يفطرُه فطراً وفطرَه: شقَّه، وتفطَّر الشيء: تشقق»[٤٢٠].

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن حال المخلوقات وحركتها عند سماع كلمة الكفر، ووصف الله بما لا يليق به من صفات النقص، فهذه السموات تقارب أن تتشقق واحدة فوق الأخرى من فظاعة وهول قول المشركين، بأن لله ولداً، أو أن الملائكة بنات الله، وأمَّا الملائكة فإنهم ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ولا يجوز في وصفه، ويتعجبون من جرأة المشركين على خالقهم، ويستغفرون لمن في الأرض، فيدعون للكافرين بالتوبة والهداية، وللمؤمنين بأن يتجاوز ربهم عمَّا فَرَط منهم من سيئاتٍ.

يقول د. محمد محيسن: «لفظاعة قول المشركين: إنَّ لله ولداً، واتخاذهم آلهةً يعبدونها من دونه تعالى مع قيام الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على أنه هو الله الواحد القهار الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، لفظاعة ذلك القول، وشدة هوله تكاد السموات يتشققن من فوق بعضهن»[٤٢١]، «وهؤلاء الملائكة الذين هم خلقٌ من خلقه يسبحون حامدين ربهم شاكرين له نعمه التي لا تحصى، ويستغفرون لمن في الأرض إما للكافرين فيدعون لهم بالتوفيق والهداية، وإما للمؤمنين فيدعون لهم بأن يتجاوز ربهم عمَّا فَرَط منهم من سيئاتٍ»[٤٢٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال بعض العلماء: إنَّ قراءة (تكاد) بالتذكير والتأنيث لأن الفاعل

(٤١٩) مفردات ألفاظ القرآن ص٣٥٣.

(٤٢٠) لسان العرب ج٥ ص٥٥.

(٤٢١) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٥١.

(٤٢٢) التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص١٠.

(السموات) مؤنث غير حقيقي فيكون التذكير لأن التأنيث غير حقيقي، والتأنيث حملاً على لفظه[٤٢٣].

ولكن يجوز عند العرب تذكير فعل المؤنث للقلة والتأنيث للكثرة، قال ابن زنجلة: «قرأ نافعٌ، والكسائي: (يكادُ السَّمواتُ) بالياء، لأن السموات جمع قليل، والعرب تذكر فعل المؤنث إذا كان قليلاً كقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥]، ولم يقل: انسلخت، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠] ولم يقل: وقالت»[٤٢٤].

تعرضت الباحثة أمال حماد لهذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم: ٩٠] فقالت: «قراءة (يكادُ السَّمواتُ) هي إشارة إلى مجموع السموات وإن كان قليلاً مقابل كلمة الكفر التي قالها الكافرون في حق الله استخفافاً بها، وهم لا يدرون عظمها.

أمّا قراءة ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ فهي إشارةٌ إلى عظم هذه السموات مقابل عظم قول المشركين على الله جل جلاله»[٤٢٥].

وقراءة (ينْفَطِرْنَ) بالنون والتخفيف أفادت أن السموات تقارب أن تنشق تغيظاً من فظاعة وهول قول المشركين، بادعاء الشريك والولد له ﷻ.

وأمّا قراءة ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ فقد أضافت معنى المبالغة والتكثير والتكرير في الإنشقاق مرة بعد مرةٍ استعظاماً لقول المشركين إنَّ لله ولداً، قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من قرأ بالتاء مشدداً أنه جعله مضارع: فطَرَ، وفطَّرَ من التكثير، والتكثير أليق بهذا المعنى، لأنه موضع مبالغةٍ واستعظامٍ لما قالوا: إنَّ لله ولداً»[٤٢٦] وقال ابن زنجلة: «﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالتاء، أي: يتشققن،

(٤٢٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٩٣ و٢٥٠.
(٤٢٤) حجة القراءات ص ٦٤٠.
(٤٢٥) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (الإسراء ـ الكهف ـ مريم) رسالة ماجستير للباحثة أمال حماد ص٣١٣.
(٤٢٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٩٠.

والأمر في التاء والنون يرجع إلى معنىً واحدٍ، إلَّا أن التاء للتكثير، وذلك أن (يَنْفَطِرْنَ) من (فُطِرت، فانفطرت) مثل (كُسِرَتْ، فانكسرت) و﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ من قولك (فُطِّرت فتفطَّرتْ) مثل (كُسِّرت فتكسَّرت) فهذا لا يكون إلا للتكثير»[٤٢٧].

وقال البقاعي: «﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ أيّ: يتشققن وينفطر أجزاؤهن مطلق انفطارٍ في قراءة من قرأ بالنون، وخفف، وتفطراً شديداً في قراءة الباقين بالتاء المثناة من فوق مفتوحةً، وتشديد الطاء»[٤٢٨].

الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً ترسمان صورةً دقيقةً للأثر المترتب على هذه الكلمات الشنيعة، التي يحسبها هؤلاء الجاهلون هيِّنَةً قليلةً وهي عند الله عظيمةٌ، فمن هولها وفظاعتها وشناعة كفرها، تتحرك هذه المخلوقات بدءاً بالسموات على عظم خلقهن ووثاقة إبداعهنَّ، تغيظاً واستنكاراً تقارب على التصدع والتشقق الشديد المتكرر، خضوعاً وخشيةً من سلطان الله تعالى وتعظيماً له وطاعةً[٤٢٩]. وأمَّا الملائكة فإنهم يُقبِلون على التسبيح لله تعالى فينزهونه عمَّا لا يليق به، ويقدسونه بإثبات الكمال له وحده ملتبسين بحمده ﷻ، «لأنَّ تسبيح الملائكة وتنزيههم له تعالى لمزيد عظمته تبارك وتعالى وعظيم جلاله جل وعلا، والاستغفار لغيرهم للخوف عليهم من سطوة جبروته ﷻ»[٤٣٠].

٣ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى: ٢٣].

(٤٢٧) حجة القراءات ص ٦٤٠.
(٤٢٨) نظم الدرر ج٦ ص٥٩٨.
(٤٢٩) انظر المحرر الوجيز ج٥ ص٢٦.
(٤٣٠) روح المعاني ج٢٥ ص١٢.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي (يَبْشُرُ) بفتح الياء وإسكان الباء، وضم الشين مخففة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُبَشِّرُ﴾ بضم الياء وفتح الباء، وكسر الشين مشددةً[٤٣١].

المعنى اللغوي للقراءات:

جاء في لسان العرب: البشارة: ما يعطاه المُبَشِّر بالأمر، والبشير: المُبَشِّر الذي يُبَشِّرُ القوم بأمر خيرٍ أو شرٍ، وبُشُراً جمع بَشُور، وبُشْراً مخففٌ منه وقوله ﷻ يُبَشِّرُك، وقرئ: يَبْشُرُك، قال الفراء: كأنَّ المشدد منه على بشارات البُشَرَاء، وكأن المخفف من وجه الإفراح والسُّرُور، وقال الزجاج: معنى يَبْشُرُك يَسُرُّك ويُفرحُكَ، وبَشَرْتُ الرَّجلَ أبشُرُه إذا أفرحته وبَشِرَ يَبشُرُ إذا فرح قال: ومعنى يَبْشُرك، ويُبَشِّرُك من البشارة، قال: وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور[٤٣٢].

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن: «وبشرته: أخبرته بسار بسط بشرة وجهه، وذلك أنَّ النفس إذا سُرَّت انتشر الدم. . .وأبشرت الرجل بشرته على التكثير»[٤٣٣].

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن فضلٍ كبيرٍ وإنعام كريمٍ، أعدهما الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين، يبشرهم بهما ليتعجلوا السرورَ، ويزدادوا شوقاً إلى لقائه، وليحفزهم ذلك على الجدِّ والإخلاص في العمل، لأنَّ الله تعالى لا

---

(٤٣١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٢، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٥٢.

(٤٣٢) انظر لسان العرب ج١ ص٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٤٣٣) مفردات ألفاظ القرآن ص١٢٥.

يتقبل إلَّا من المؤمنين المخلصين، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أنِّي أعددته للذين آمنوا، وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة، البشرى التي يبشرُ الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا وعملوا بطاعته فيها»(٤٣٤).

وقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بمعنى أي: قل لهم يا محمد لا أسألكم على تبليغ الرِّسالة وتعليم الشريعة أجراً من مالٍ أو غيره، إلَّا أن تحفظوا حقَّ قرابتي ولا تؤذوني حتى أبلغ رسالة ربي، قال ابن كثيرٍ: «أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريشٍ لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالاً تعطونيه، وإنَّما أطلب منكم أن تكفوا شرَّكم عني، وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة»(٤٣٥). وقوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: ومن يكتسب حسنةً واحدةً، ويفعل طاعةً من الطاعات يضاف له ثوابها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: كثير المغفرة للمذنبين، كثير الشكر للمطيعين، فلا يضيع عنده عمل العاملين(٤٣٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَبْشُرُ) بالتخفيف على رأي بعض العلماء، أنَّ الله تعالى يبشر المؤمنين الذين آمنوا به وعملوا الصالحات في الدنيا مطلق بشارةٍ لجميع المتقين بما أعدَّ الله للمؤمنين في الآخرة من روضات الجنات، والنعيم المقيم، قال البقاعي: «﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ﴾ أي: مطلق بشارةٍ عند من خفف، وبشارةً كثيرةً عند من ثقَّل»(٤٣٧).

وبعض العلماء قال: يَبْشُرُ بالتخفيف أي: يَبْشُرُ الله وجوههم، بمعنى:

---

(٤٣٤) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص١٥.

(٤٣٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١١٤.

(٤٣٦) انظر المصدر السابق ج٤ ص١١٤.

(٤٣٧) نظم الدرر ج٦ ص٦٦٣.

ينور الله وجوههم، أو ينضر الله وجوههم، فترى النضرة فيها[٤٣٨]. وجاء في تفسير ابن عطية: «وقال الجحدري[٤٣٩] في تفسيرها ترى النضرة في الوجوه»[٤٤٠].

ويؤيد هذا الرأي قول الفراء: «كأن المشدد منه على بشارات البُشراء، وكأن المخفف من وجه الإفراح والسرور»[٤٤١].

وعلى هذا يكون المعنى: الله تعالى يخبر المؤمنين بما أعدّ لهم من الكرامة في الآخرة، ليسعدوا في الدنيا وينضر وجوههم حتى ترى النضرة فيها، وهذا من قبيل ثواب الدنيا الذي يجعله الله لهم.

وأمّا قراءة ﴿يُبَشِّرُ﴾ بالتشديد فقد أفادت معنى التكثير والاستمرار في البشرى للمؤمنين على الاتساع والتجدد كلّما عملوا صالحاً، فيبشره مطلق بشارةٍ في البداية ثم يبشِّره بعد ذلك على الاتساع[٤٤٢]، وتزداد البشرى له كلّما زاد في طاعته لله تعالى وعمل صالحاً.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن: أنَّ الله تعالى يُبَشِّرُ هؤلاء المؤمنين الذين عملوا الصالحات وأكثروا من الطاعات مطلق بشارةٍ لجميعهم ليدخل الفرح والسرور إلى نفوسهم، فتنضر وجوههم وتنبسط سريرتهم وينور الله وجوههم، وبشرى أخرى متجددة، بشرى بعد بشرى كلّما عمل هذا الإنسان صالحاً وزاد في طاعته لله، زاد الله له في فضله وكرامته ونعيمه في الآخرة،

---

(٤٣٨) انظر حجة القراءات ص٦٤١.

(٤٣٩) هو: عاصم بن العجاج الجحدري، أبو المحتسر، من بني قيس بن ثعلبة، وهو من عبّاد أهل البصرة وقرائهم، توفي سنة ١٢٩هـ، (انظر مشاهير علماء الأمصار ج١ ص٩٤، الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٣٥).

(٤٤٠) المحرر الوجيز ج٥ ص٣٣.

(٤٤١) لسان العرب ج١ ص٢٨٧.

(٤٤٢) انظر اللباب ج١٧ ص١٨٧.

وذلك ليتعجلوا السرور، ويزدادوا حافزاً في طاعته ومرضاته، وشوقاً إلى لقائه، والله تعالى أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون (يَفْعَلون) بالغيب[٤٤٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

«الفعل: كنايةٌ عن كل عملٍ متعدٍّ أو غير متعدٍّ، فعَل، يَفْعَل، فعْلاً، وفعِلاً، فالاسم مكسور والمصدر مفتوح»[٤٤٤]، وجاء في المفردات «الفعل: التأثير من جهة مؤثرٍ، وهو عامٌّ لما كان بإجادةٍ أو غير إجادةٍ، ولما كان بعلمٍ أو غير علمٍ، وقصدٍ أو غير قصدٍ، ولما كان من الإنسان والحيوان والجَمادات والعملَ مثله»[٤٤٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن سعة رحمة الله تعالى بعباده، وعظيم فضله وكرمه، وامتنانه عليهم بقبول التوبة من عباده إذا ما تابوا إليه وأنابوا، وشعروا بالندم على ما فعلوا، ويعفو عن الذنوب صغيرها وكبيرها لمن يشاء، قال الشوكاني: «﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: يقبل من المذنبين من عباده توبتهم إليه مما عملوا من المعاصي، واقترفوا من السيئات، والتوبة الندم على المعصية والعزم على عدم المعاودة لها، وقيل:

(٤٤٣) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٧، تحبير التيسير ص٢٠٢.

(٤٤٤) لسان العرب ج١١ ص٥٢٨.

(٤٤٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٤٠.

التوبة عن أوليائه، وأهل طاعته، والأول أولى، فإن التوبة مقبولةٌ من جميع العباد مسلمهم، وكافرهم إذا كانت صحيحةً، صادرةً عن خلوص نيةٍ، وعزيمةٍ صحيحةٍ، ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ على العموم لمن تاب عن سيئةٍ، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَـلُونَ﴾ من خيرٍ وشرٍّ فيجازي كلاً بما يستحقه»[٤٤٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بعض العلماء اعتبر أنَّ العلاقة بين القراءتين علاقةٌ بلاغيةٌ باستخدام أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وعلى هذا يكون المقصود بالخطاب في كلتا القراءتين هم المشركون وفي الآية توعدٌ وتهديدٌ لهم، وقراءة ﴿تَفْعَـلُونَ﴾ بتاء الخطاب أبلغ في التهديد والتخويف من قراءة الغيب لأنَّ التهديد يكون موجهاً توجيهاً مباشراً لهم، قال ابن عاشور: «قرأ الجمهور (ما يفعلون) بياء الغيبة أي: ما يفعل عبادهُ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصمٍ وخلفٍ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات»[٤٤٧].

وقال صاحب زاد المسير: «قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالتاء، وقرأ الباقون، بالياء على الإخبار عن المشركين والتهديد لهم»[٤٤٨].

وقال البقاعي: «قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب بالخطاب لافتاً للقول عن غيب العباد لأنه أبلغ في التخويف، وقرأ الباقون بالغيب نسقاً على العباد وهو أعلم وأوضح في المراد فعفوه مع العلم عن سعة الحلم»[٤٤٩].

وبعض العلماء اعتبر أنَّ كل قراءةٍ تفيد معنىً: فقراءة (يفعلون) بالياء تفيد الإخبار عن المشركين بأن الله يعلم ما يفعل هؤلاء العباد من المشركين.

---

(٤٤٦) فتح القدير ج٤ ص٧٥٠.
(٤٤٧) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥، انظر روح المعاني ج٢٥ ص٣٦.
(٤٤٨) زاد المسير ص١٢٦٨.
(٤٤٩) نظم الدرر ج٦ ص٦٢٨.

وأمَّا قراءة ﴿تَفۡعَلُونَ﴾ فتفيد أنَّ الخطاب هنا لجميع العباد من مشركين وغيرهم قال أبو الحسن الفارسي: «حجة التاء: قبله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ أي: ما يفعل عباده، وحُجة التاء: أنَّ التاء تعمُّ المخاطبين والغيب، فتفعلون تقع على الجميع فهو في العموم مثل عباده»[٤٥٠].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الخطاب يعم الجميع من مؤمنٍ وعاصٍ وكافر، ففي حق الكفار والعصاة تهديدٌ ووعيدٌ لهم إن لم يتوبوا إلى ربهم، وربما كان الإخبار بالغيب للدلالة على أنهم غير حريين بالخطاب مباشرةً، تحقيراً لهم، وأمَّا في حق المؤمنين تحذيرٌ لهم من الوقوع في المعاصي ومخالفة أمره، وحثٌّ لهم على فعل الطاعات واجتناب أعمال العصاة والمشركين.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوب (يُنْزِلُ) بالتخفيف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد[٤٥١].

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (١٣) من سورة غافر[٤٥٢].

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِىُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

---

(٤٥٠) الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٦٢.
(٤٥١) انظر الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥١.
(٤٥٢) انظر ص٥٧ من هذا البحث.

القراءات:

١ - قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب وخلفٌ (يُنْزِل) بالتخفيف.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد[٤٥٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (١٣) من سورة غافر[٤٥٤].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم بإنزال المطر النافع عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه بعدما يئسوا من نزوله، وفي الآية تعدادٌ لنعم الله تعالى وتذكير بها، ليستدعي ذلك شكر الله تعالى وحمده على جميع أفعاله، قال الطبرسي: «﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ أي: ينزله عليهم من بعد ما يئسوا من نزوله، والغيث ما كان نافعاً في وقته، والمطر قد يكون نافعاً، وقد يكون ضاراً في وقته وغير وقته، ووجه إنزاله بعد القنوط أنه أدعى إلى شكر الآتي به، وتعظيمه، والمعرفة بموقع إحسانه، ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أي: ويفرق نعمته ويبسطها بإخراج النبات، والثمار التي يكون سببها المطر ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ الذي يتولى تدبير عباده وتقدير أمورهم، ومصالحهم المالك لهم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود على جميع أفعاله لكون جميعها إحساناً ومنافع»[٤٥٥].

---

(٤٥٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٢.

(٤٥٤) انظر ص٥٧ من هذا البحث.

(٤٥٥) مجمع البيان م٥ ج٢٤ ص٥٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُنْزِل) بالتخفيف أنَّ الله تعالى ينزل عليهم ما يغيثهم من مطر بعدما يئسوا من نزوله رحمةً بالناس، والفعل (ينزل) من الإنزال يفيد وقوع الحدث مرةً واحدةً ويحتمل الزيادة(٤٥٦).

أمَّا قراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد تفيد أنَّ الله تعالى ينزل عليهم ما يغيثهم من مطرٍ بشكلٍ دائم ومتكررٍ، فقراءة التشديد تفيد التدرج والتكرار والتكثير، ويحتمل أنَّ قراءة التشديد تفيد أهميةَ الغيث الذي ينزل في ذلك الوقت لحاجتهم وفقرهم إليه بعدما يئسوا من نزوله، فقراءة التشديد تستعمل أحياناً فيما هو أهم وأبلغ(٤٥٧).

الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد مبيِّنة لقراءة (يُنْزِل) بالتخفيف، حيث إنَّ قراءة التخفيف أفادت أن الله تعالى ينزل الغيث على الناس في وقت حاجتهم له رحمةً بهم ولينتفعوا به، أما قراءة التشديد فقد أضافت معنى استمرار هذه النعمة وكثرتها وتكرارها على الدوام، تذكيراً بكمال النعمة عليهم ليستدعي ذلك زيادة شكر المنعم وحمده.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفرٍ، ونافعٌ، وابن عامرٍ (بِمَا كَسَبت) بغير فاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ﴾ بالفاء(٤٥٨).

---

(٤٥٦) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦٠.
(٤٥٧) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦١.
(٤٥٨) انظر المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٣، تحبير التيسير ص٢٠٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

«الكسب: ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظ ككسب المال، وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة، ثم استجلب به مضرَّة، والكسب يقال: فيما أخذه لنفسه ولغيره»[٤٥٩].

وجاء في لسان العرب: الكسب: طلب الرزق، وأصله الجمع يقال: كسب يكسب كسباً، وتكسَّب واكتَسَب، وقيل: كَسَبَ: أَصَاب، واكتسب: تصرَّف واجتهد[٤٦٠].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينبِّه الله تعالى الناس إلى أن ما أصابهم من مصائب في النفس أو الأهل أو المال، وما أصابهم من بؤس إلا بسبب معاصيهم التي اكتسبوها وأصابوها بأيديهم، على الرغم من أنَّ الله تعالى برحمته يتجاوز عن كثيرٍ من الذنوب فلا يعاقبهم عليها.

يقول د. محمد حجازي: «وما أصابكم أيها الناس في الدنيا من مصيبةٍ فبما كسبته أيديكم، واقترفته جوارحكم حتى بعض الأمراض، والآفات الزراعية، ويظهر والله أعلم أن الذنوب نوعان، نوعٌ يعذب الله صاحبه في الدنيا لأنه هيِّن بسيطٌ فيصيبه بسببه مرضٌ أو ألمٌ، ونوع عذابه شديد فهو في الآخرة فقط، وإذا أحب الله عبداً عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا كرهه لسوء عمله تركه يقترف من السيئات ما شاء، ثم يأخذه أخذ عزيزٍ مقتدرٍ لحسابٍ عسيرٍ وعذابٍ شديدٍ، وقد ينال الإنسان منا بعض الألم تكفيراً له عن ذنوب أو زيادةً له في الثواب، والله يعفو عن كثير من الذنوب عفواً مع القدرة الكاملة»[٤٦١] فلا يعاقبهم عليها.

---

(٤٥٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧١٠.
(٤٦٠) انظر لسان العرب ج١ ص٧١٦.
(٤٦١) التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٢٤.

وقال القرطبي: «﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ أي يعفو عن كثيرٍ من المعاصي ألَّا يكون عليها حدودٌ، وهو مقتضى قول الحسن، وقيل: أي يعفو عن كثيرٍ من العصاة فلا يعجل عليهم بالعقوبة»[٤٦٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (بما كسبت) الإخبار من الله تعالى عن سبب المصائب التي تقع على الناس على سبيل الجواز والعموم بدون تعيين التسبب، و(ما) في (ما أصابكم) بمعنى: الذي، وهي مبتدأ وخبره (بما كسبت أيديكم) ولا تتضمن معنى الشرط، فالمعنى: والذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم[٤٦٣]، لأن ما الشرطية تدل على التسبب، أما الموصولية فتدل على الإيماء إلى جملة الخبر على الجواز، فقد يراد به واحدٌ بعينه أو غيره بالقرينة[٤٦٤].

قال أبو علي الحسن الفارسي: «إذا أثبت الفاء فدليل على أنَّ الأمر الثاني وجب بالأول، وذلك نحو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ٢٧٤] ثم قال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] فثبات الفاء يدل على أن وجوب الأجر إنما هو من أجل الإنفاق... فإذا لم يذكر الفاء جاز أن يكون الثاني وجب للأول، وجاز أن يكون لغيره»[٤٦٥].

وأمَّا قراءة ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ﴾ أخبرت عن سبب المصائب التي أصابتهم على وجه التعيين، لما جاء في الحجة للقراء السبعة وغيره من الكتب، فتكون ما شرطيةً أو متضمنةً معنى الشرط، والفاء رابطة لجواب الشرط (بما كسبت أيديكم) ويكون وقوع فعل الشرط ماضياً للدلالة على التحقق[٤٦٦]، «والمعنى:

---

(٤٦٢) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٥٢.
(٤٦٣) انظر حجة القراءات ص٤٦٢.
(٤٦٤) انظر التحرير والتنوير م١١ ج٢٥ ص٩٩.
(٤٦٥) الحجة للقراء السبعة ج٣ ص ٣٦٣.
(٤٦٦) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٩٩.

ما تصبكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم»[٤٦٧] قال الثعالبي: «معنى الكلام مع ثبوتها ـ أي ثبوت الفاء (فبما) ـ التلازم، أي: لولا كسبكم ما أصابتكم مصيبةٌ، والمصيبة: إنما هي بكسب الأيدي، ومعنى الكلام مع حذفها، يجوز أن يكون التلازم، ويجوز أن يعرى منه»[٤٦٨].

وقال البقاعي: «وإثبات الفاء في قراءة الباقين زيادةٌ في إيضاح السببية، فقرءوا (فبما) لتضمن المبتدأ الشرط أي: فهو بالَّذي»[٤٦٩].

الجمع بين القراءات:

بين القراءتين اتحادٌ في المعنى مع وضوح السبب وتعينه في القراءة الثانية (فبما) عن القراءة الأولى (بما)، فالقراءة الثانية مبيِّنةٌ ومخصصةٌ للقراءة الأولى، بتعيين سبب المصائب وهي أعمالهم التي ارتكبوها وفي ذلك قال ابن عاشور: «قراءة الجمهور (فبما) ـ معيِّنٌ معنى عموم التسبب لأفعالهم فيما يصيبهم من المصائب لأنَّ (ما) في هذه القراءة إما شرطية، والشرط دال على التسبب، وإما موصولةٌ مشبهةٌ بالشرطية، فالموصولية تفيد الإيماء إلى علة الخبر، وتشبيهها بالشرطية يفيد التسبب، وقراءة نافع وابن عامر ـ (بما) ـ لا تعيِّن التسبب بل تجوزه، لأن الموصول قد يراد به واحدٌ معينٌ بالوصف بالصلة، فتحمل على العموم بالقرينة، وبتأييد القراءة الأخرى، لأن الأصل في القراءات الصحيحة اتحاد المعاني، وكلتا القراءتين سواء في احتمال أن يكون المقصود بالخطاب فريقاً معيناً، وأن يكون المقصود به جميع الناس، وكذلك في أن يكون المراد مصائب معينَّة حصلت في الماضي، وأن يراد جميع المصائب التي حصلت والتي تحصل، ومعنى الآية على كلا التقديرين يفيد: أنَّ مما يصيب الناس من مصائب الدنيا ما هو إلا جزاء لهم على أعمالهم التي لا يرضاها الله تعالى كمثل المصيبة، أو المصائب التي أصابت

(٤٦٧) معاني القراءات ج٢ ص٣٥٦.
(٤٦٨) تفسير الثعالبي ج٣ ص١٣٢.
(٤٦٩) نظم الدرر ج٦ ص٦٣١.

المشركين لأجل تكذيبهم، وأذاهم للرسول»[٤٧٠].

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أنَّ ما أصاب الناس من مصيبةٍ فمنه ما هو بسبب معاصيهم وأعمالهم فيجازون عليها في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة، وهذا في حق المشركين والعصاة من المسلمين، ومنه ما هو بسببٍ آخر غير ذلك لخيرٍ أراده الله تعالى لهذا المصاب، ولأجل تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه، وهذا في حق المؤمنين، قال البيضاوي: «والآية مخصوصةٌ بالمجرمين، فإن ما أصاب غيرهم فلأسبابٍ أخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه»[٤٧١].

فالقراءة الثانية تخص المجرمين فقط، وأما القراءة الأولى فالآية تعمُّ جميع الناس مؤمنين وكافرين، والله تعالى أعلم.

قال ابن عاشور: «إن كانت (ما) موصولةً كانت دلالتها محتملةً للعموم وللخصوص، لأن الموصول يكون للعهد ويكون للجنس، وأيّاً ما كان فهو دال على أن من المصائب التي تصيب الناس في الدنيا ما سلطه الله عليهم جزاءً على سوء أعمالهم، وإذا كان ذلك ثابتاً بالنسبة لأناسٍ معينين كان فيه نذارةٌ وتحذيرٌ لغيرهم ممن يفعل من جنس أفعالهم أن تحلَ بهم مصائب في الدنيا جزاءً على أعمالهم زيادةً في التنكيل بهم إلَّا أنَّ هذا الجزاء لا يطرد، فقد يجازي الله قوماً على أعمالهم جزاءً في الدنيا مع جزاء الآخرة، وقد يترك قوماً إلى جزاء الآخرة، فجزاء الآخرة في الخير والشر هو المطرد الموعود به، والجزاء في الدنيا قد يحصل وقد لا يحصل»[٤٧٢].

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الشورى: ٣٢ ـ ٣٣].

(٤٧٠) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٩٩.

(٤٧١) تفسير البيضاوي ج٥ ص١٣١.

(٤٧٢) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١٠٠.

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر (الرِّياح) على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلرِّيحَ﴾ على الإفراد[٤٧٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرِّيح: الهواء إذا تحرك، وتطلق على الرحمة، والقوة، يقال ذهبت ريحه، وتطلق على النصر والغلبة[٤٧٤].

قال الأصفهاني: «عامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارةٌ عن العذاب، وكل موضعٍ ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارةٌ عن الرحمة»[٤٧٥]. وهذا فيه نظر، لأنَّ ما ذُكِرَ هو على وجه الغالب في القرآن وليس مطَّرداً.

التفسيـر:

تتحدث الآيتان الكريمتان عن دليلٍ آخر من دلائل قدرة الله تعالى، ووحدانيته وعظيم سلطانه، ورحمته بعباده، تذكيراً لهم بنعمه الجليلة التي لا تتوارى ولا تنقطع، يقول ابن كثيرٍ: «ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة، وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري في البحر كالأعلام أي: الجبال، ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ أي: التي تسير في البحر بالسفن لو شاء لسَكَّنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدةً لا تجيء ولا تذهب، بل واقفةً على ظهره أي: على وجه الماء. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ أي: في الشدائد ﴿شَكُورٍ﴾ أي: إنَّ في تسخيره البحر وإجرائه الهوى بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه، لكل

(٤٧٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٢، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥١.

(٤٧٤) انظر المعجم الوسيط ص٤٠٥.

(٤٧٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٠.

صبارٍ أي: في الشدائد، شكورٍ في الرخاء»[٤٧٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أنَّه لا فرق من حيث المعنى بين القراءتين، «فمن وحَّد الريح فلأنّه اسمٌ للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح»[٤٧٧].

إلَّا أنَّ بعض العلماء اعتبر أنَّ الريح إذا جاءت في القرآن مفردةً فإنه يراد بها ريح العذاب خاصةً، وإذا جاء بالجمع تأتي في الرحمة مستدلين على ذلك بقول النبي ﷺ: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[٤٧٨][٤٧٩]. إلَّا أن ما ذكره بعض العلماء من استعمال الرياح في الخير، والريح في الشر فهو على الغالب في القرآن، قال ابن عاشورٍ: «وفي قراءة الجمهور ما يدل على أنَّ الرِّيح قد تطلق بصيغة الإفراد على الرِّيح الخير، وما قيل إنَّ الرِّياح للخير، والرِّيح للعذاب في القرآن هو غالبٌ لا مطَّردٌ، وقد قرئ في آياتٍ أخرى الرِّياح، والرِّيح في سياق الخير دون العذاب»[٤٨٠].

وجاء في حاشية الكشاف: «وهم يقولون إنَّ الرِّيح لم ترد في القرآن إلا عذاباً بخلاف الرِّياح، وهذه الآية تخرم الإطلاق، فإن الرِّيح المذكورة هنا نعمةٌ ورحمةٌ، إذ بواسطتها يسيِّر الله السفن في البحر حتى لو سكنت

(٤٧٦) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١١٩.
(٤٧٧) الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٥٩٥.
(٤٧٨) مسند الإمام الشافعي باب ما هبت ريحٌ قط إلا جثا النبي ج١ ص٨١، والمعجم الكبير للطبراني: باب٣ ج١١ ص٤٦٤ ح١٣١٣، قال عنه الألباني ضعيف جداً، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج٩ ص٢٨٨ ح٤٢١٧، وضعيف الجامع الصغير ح٤٤٦١.
(٤٧٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٢٧١، مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٠.
(٤٨٠) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١٠٦.

لركدت السفن، ولا ينكر أنَّ الغالب من ورودها مفردةً ما ذكروه، وأما اطراده فلا، وما ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» فلأجل الغالب في الإطلاق، والله أعلم»[٤٨١]. وبمثله جاء في حاشية القونوي[٤٨٢].

وعلى هذا يكون المقصود من قراءة الإفراد في هذا الموضع اسماً للجنس كما قاله بعض المفسرين، فلا اختلاف في معنى القراءتين والله أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ [الشورى: ٣٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر والمدنيان (وَيعلمُ) بضم الميم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بفتح الميم[٤٨٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

العلم: نقيض الجهل، وعَلِمْتُ الشيء أي: عرفتُه[٤٨٤]. وقال الأصفهاني: العلم: إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيءٍ هو موجودٌ له، أو نفي شيءٍ هو منفيٌ عنه. والعلم: الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش[٤٨٥].

(٤٨١) الكشاف ج٣ ص ٤٧٢.
(٤٨٢) انظر حاشية القونوي ج١٧ ص٢٤٤.
(٤٨٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٧.
(٤٨٤) انظر لسان العرب م١٢ ج٢٥ ص٤١٧.
(٤٨٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٨٠.

التفسيـر:

قال القرطبي: «يعنى الكفار، أي: إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرِّياح من كل مكانٍ أو بقيت السفن رواكد، علموا أنْ لاَ ملجأ لهم سوى الله، ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة»[٤٨٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (ويعلمُ) بالرفع تفيد أن الجملة استئنافيةٌ بعد انقطاعٍ ليس لها ارتباطٌ بما قبلها، لأن الشرط والجزاء قد تم قبله[٤٨٧]، أو الجملة الفعلية تكون خبراً لمبتدأٍ محذوفٍ تقديره وهو يعلم الذين[٤٨٨].

«والرفع والاستئناف على أنَّ ذلك تهديدٌ للمشركين بأنهم لا محيص لهم من عذاب الله تعالى،... وحذف متعلق المحيص إبهاماً له تهويلاً للتهديد لتذهب النفس كل مذهب ممكنٍ فيكون قوله (وَيَعْلَمُ الذينَ يُجَادِلُونَ) خبراً مراداً به الإنشاء والطلب فهو في قوة: وَليعلمْ الذين يجادلون، أو اعلموا يا من يجادلون وليس خبراً عنهم لأنهم لا يؤمنون بذلك حتى يعلموه»[٤٨٩].

وأمَّا قراءة ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالنصب تفيد أن الجملة معطوفةٌ على تعليل محذوفٍ تقديره، لينتقم منهم ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾[٤٩٠]. وقيل: إنَّ الواو واو المعية التي يُنْصَب الفعل المضارع بعدها بـ (أنَّ) مضمرةً[٤٩١]، فيكون المعنى: أنَّ الله تعالى يرسل الرياح عاصفةً في البحر فيهلك من في السفينة بما كسبوا من الذنوب أو يعفو عن كثيرٍ من أهلها فينجيهم من الغرق، ليعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيصٍ.

---

(٤٨٦) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٥٧.
(٤٨٧) انظر حجة القراءات ص٦٤٣.
(٤٨٨) انظر الكشف ج٢ ص ٢٥١، الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٢٦٤.
(٤٨٩) التحرير والتنوير م ١٢ ج٢٥ ص١٠٣.
(٤٩٠) انظر الكشاف ج٣ ص٤٧٢، التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص١٧٧.
(٤٩١) انظر التحرير والتنوير م ١٢ ج٢٥ ص١٠٣.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أن الآية عامةٌ للجميع على معنى: إن يشأ الله يعصف الرِّيح فيغرق بعضاً من السفن، وينجي بعضاً آخر عفواً منه، ويحذِّر آخرين ليعلموا أن لا ملجأ لهم من الله تعالى، والله تعالى يعلم الذين يجادلون في آياته، فليحذروا أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من العذاب والإهلاك فليس لهم منجى من عقابه، وليتعظ غيرهم بذلك.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلفٌ (كَبِير) بكسر الباء من غير ألف ولا همزة على التوحيد.

٢ ـ قرأ الباقون بفتح الباء وألفٍ وهمزةٍ مكسورةٍ بعدها على الجمع[(٤٩٢)].

المعنى اللغوي للقراءات:

الكبيرة: هي كل ذنبٍ تعظم عقوبته، وجمعها كبائر، قيل: أريد به الشرك، وقيل: هي الشرك وسائر المعاصي الموبقة، كالزنا وقتل النفس المحرمة[(٤٩٣)]، وقال ابن منظورٍ: «هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً، العظيم أمرها كالقتل والزنا، والفرار من الزحف، وغير ذلك»[(٤٩٤)].

---

(٤٩٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٨، تحبير التيسير ص٢٠٢.

(٤٩٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٩٧.

(٤٩٤) لسان العرب ج٥ ص١٢٦.

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن بعض صفات المؤمنين الذين آمنوا بربهم وعليه يتوكلون، فالآية معطوفةٌ على الآية التي سبقتها في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشورى: ٣٦]، فبعد أن ذكر المولى ﷻ الذين يستحقون ثوابه، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا، بيَّن في هذه الآية الكريمة صفات هؤلاء المؤمنين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ قال السمرقندي: «وهذا نعتُ المؤمنين أيضاً، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش... والكبيرة: ما أوجب الله تعالى الحدَّ عليها في الدنيا أو العذاب في الآخرة، ثم قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يعني: إذا غضبوا على أحدٍ يتجاوزون، ويكظمون غيظهم»[٤٩٥]. وقال الشوكاني: «المراد بكبائر الإثم: الكبائر من الذنوب...، والفواحش من الكبائر ولكنها مع وصف كونها فاحشةً كأنّها فوقها، وذلك كالقتل، والزنا، ونحو ذلك وقال مقاتل: الفواحش موجبات الحدود، وقال السدي: هي الزنا»[٤٩٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أن القراءتين بمعنىً واحدٍ على اعتبار أن من أفرد فقد أراد الجمع لأنه اسم جنسٍ يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلأنه أراد العموم، وهي موافقة لرسم المصحف.

قال السمين الحلبي: «قرأ الأخوان هنا وفي النجم (كبير الإثم) بالإفراد، والباقون (كبائر) بالجمع في السورتين، والمفرد هنا في معنى الجمع، والرسم يحتمل القراءتين»[٤٩٧] وقال ابن عاشورٍ: «قرأ الجمهور (كبائر) بصيغة الجمع، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ (كبير) بالإفراد،

(٤٩٥) بحر العلوم ج٣ ص١٩٨.

(٤٩٦) فتح القدير ج٤ ص٧٥٧.

(٤٩٧) الدر المصون ج٩ ص٥٦١.

فكبائر الإثم: الفعلات الكبيرة من جنس الإثم وهي الآثام العظيمة التي نهى الشرع عنها نهياً جازماً، وتوعد فاعلها بعقاب الآخرة مثل القذف، والاعتداء، والبغي، وعلى قراءة (كبير الإثم) مرادٌ به معنى كبائر الإثم لأن المفرد لما أضيف إلى معرَّف بلام الجنس من إضافة الصفة إلى الموصوف كان له حكم ما أضيف هو إليه»(498).

واعتبر بعض العلماء أنَّ المقصود بـ (كبير) على التوحيد: الشرك بالله على قول ابن عباسٍ: كبير الإثم، هو الشرك(499)، وقال ابن خالويه: «﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ يقرأ بالتوحيد والجمع، فالحجة لمن وحَّدَ أنه أراد: به الشرك بالله فقط، لأن الله تعالى أوجب على نفسه غفران ما سواه من الذنوب، ولذلك سمَّاه ظُلماً عظيماً، والحجة لمن جمع: أنه أراد بذلك: الشرك، والقتل، والزنا، والقذف، وشرب الخمر، والفرارُ من الزَّحف، وعقوق الوالدين، فذلك سَبعٌ»(500).

وقال الفراء: «وفُسِّرَ عن ابن عباسٍ: أنَّ كبير الإثم هو الشرك، فهذا موافقٌ لمن قرأ (كبير الإثم) بالتوحيد وقرأ العوام ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ فيجعلون كبائر كأنه شيءٌ عامٌ، وهو في الأصل واحدٌ، وكأنِّي أستحب لمن قرأ: كبائر أن يخفض الفواحش، لتكون الكبائر مضافةً إلى مجموع إذ كانت جمعاً»(501).

الجمع بين القراءات:

يمكن الجمع بين القراءتين والمعاني بالتوفيق بينهما، وذلك أنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا والذين يجتنبون الشرك بالله تعالى والفواحش

(498) التحرير والتنوير م12 ج25 ص110.
(499) انظر تفسير أبي السعود ج5 ص70، الكشاف ج3 ص472، جامع البيان م11 ج25 ص23.
(500) الحجة في القراءات السبع ص319.
(501) معاني القرآن للفراء ج3 ص25.

الأخرى من زنىً وسرقةٍ وقتلٍ وغير ذلك من الكبائر، فقراءة التوحيد أشارت إلى الشرك بالله تعالى وأمّا قراءة الجمع فأشارت إلى الكبائر الأخرى إضافةً إلى كبيرة الشرك التي هي أكبر هذه الكبائر.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع (أو يُرْسِلُ ـ فَيوحِيْ) بضم اللام، وإسكان الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَوْ يُرْسِلَ ـ فَيُوحِيَ﴾ بفتح اللام والياء[٥٠٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل الرسل: الانبعاث على التؤدة، يقال إبلٌ مراسيل، أي: منبعثةٌ انبعاثاً سهلاً، ومنه: الرسول المنبعث، والرسول يقال: تارةً القول المتحمَّل، وتارةً لمُتَحمِّل القول والرِّسالة[٥٠٣].

وجاء في لسان العرب: الإرسال التوجيه، والاسم: الرِّسالة، والرَّسالة، والرَّسول، والرَّسول معناه في اللغة: الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم، وسمِّي الرَّسول رسولاً لأنه ذو رسولٍ، أي: ذو رسالةٍ، ويقال أرسلت فلاناً في رسالةٍ فهو مُرْسَلٌ ورسولٌ[٥٠٤].

التفسير:

تشير هذه الآية الكريمة إلى مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله

(٥٠٢) انظر المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٢، النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٨، تحبير التيسير ص٢٠٢.

(٥٠٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٥٣.

(٥٠٤) انظر لسان العرب ج١١ ص٢٨٣ ـ ٢٨٤.

ﷻ، والطرق التي يكلم الله تعالى بها أنبياءه ورسله[٥٠٥]. قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشرٍ من بني آدم أن يكلمه ربه إلَّا وحياً يوحي الله إليه كيف شاء أو إلهاماً وإما غيره، أو من وراء حجابٍ، يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلَّم موسى نبيّه ﷺ، أو يرسل رسولاً، يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولاً إما جبرائيل وإما غيره، فيوحي بإذنه ما يشاء، يقول: فيوحي ذلك الرَّسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمرٍ ونهيٍ وغير ذلك من الرِّسالة والوحي»[٥٠٦].

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية أنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلَّمه موسى ونظر إليه، فإنَّا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال النبي ﷺ: «إنَّ موسى لم ينظر إليه»، فنزلت الآية[٥٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ نَحْوِيةٌ مع اتفاقٍ بينهما في المعنى، قال ابن خالويه: «(أو يرسل رسولاً فيوحي) يقرآن بالرفع والنصب، فالحجة لمن رفع أنَّه استأنف بـ (أو) فخرج من النصب إلى الرفع، والحجة لمن نصب أنه عطفه على معنى قوله: (إلَّا وحياً)، لأنه بمعنى أن يوحي إليه أو يرسل رسولاً فيوحي، فيعطف بعضاً على بعضٍ بـ (أو) وبـ (الفاء)»[٥٠٨].

قال مكي بن أبي طالب: «حجة من رفع وأسكن الياء أنه استأنفه وقطعه مما قبله، أو رفعه على إضمار مبتدأٍ تقديره: أو هو يرسل رسولاً، ويجوز رفع (يرسل) على الحال، على أن يجعل (إلَّا وحياً) حالاً، ويعطف

---

(٥٠٥) انظر تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٢٣.

(٥٠٦) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٢٨.

(٥٠٧) انظر أسباب النزول ص٢٨١، بحثت عنه في كتب الحديث ولم أقف عليه.

(٥٠٨) الحجة في القراءات السبع ص٣١٩.

عليه (أو يرسل) ويعطف عليه (فيوحي).

وحجة من نصب أنَّه حمله على معنى المصدر، لأن قوله (إلا وحياً) معناه: إلَّا أنْ يوحي، فيعطف (أو يرسل) على (أن يوحي) فنصبه، تقديره: إلَّا أن يوحي أو يرسل رسولاً فيوحي، ولا يحسن عطفه على (أن يكلمه) لأنه يلزم منه تغير المعنى، لأنه يصير المعنى إلى نفي الرسل، أو إلى نفي المرسل إليهم الرسل، لأنه يصير التقدير: وما كان لبشرٍ أن يُرسل رسولاً، أي: أن يرسله الله رسولاً، فلا بد من حمله، إذا نصبه، على معنى وحي[509].

وقال أبو حيان: «قرأ الجمهور: بنصب الفعلين عطفاً، أو يرسل على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجابٍ تقديره: أو يكلمه من وراء حجاب، وهذا المضمر معطوفٌ على (وحياً)، والمعنى: إلا بوحي، أو سماع من وراء حجابٍ، أو إرسال رسولٍ فيوحي ذلك الرسول إلى النبي الذي أرسل عنه بإذن الله ما يشاء... وقال الزمخشري: ووحياً، وأن يرسل، مصدران واقعان موقع الحال، لأنَّ أنْ يُرسل في معنى: إرسالاً، ومن وراء حجاب ظرفٌ واقعٌ موقع الحال أيضاً، كقوله: (وعلى جنوبهم) والتقدير: وما صحَّ أن يكلم أحداً إلَّا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب، أو مرسلاً[510]. وقرأ نافعٌ وأهل المدينة، أو يرسل رسولاً فيوحي بالرفع فيهما، فخرج على إضمار هو يرسل، أو على ما يتعلق به من وراء، إذ تقديره: أو يسمع من وراء حجابٍ، ووحياً مصدرٌ في موضع الحال، عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه، (أو يرسلُ) والتقدير: إلَّا موحياً أو مسمعاً من وراء حجابٍ»[511].

القراءتان كلتاهما تقطعان أنَّ هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرتها الآية

(٥٠٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٤، انظر الدر المصون للسمين الحلبي ج٩ ص٥٦٧.

(٥١٠) انظر الكشاف ج٣ ص٤٧٥.

(٥١١) البحر المحيط ج٧ ص٥٠٤ بتصرف قليل.

(الإيحاء، وإسماع الكلام من وراء حجابٍ، وإرسال الرسل) هي من أنواع الكلام مع حصر التكليم فيها، وقراءة النصب ربما تزيل توهماً وقع عند البعض مفاده أن الرسالة ليست من أنواع التكليم على تقدير: (أو يرسل) بالرفع استئناف بعد انقطاعٍ، أو خبرٌ لمبتدأٍ تقديره (هو).

قال ابن عطية: «وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ الرسالة من أنواع التكليم، وأن الحالف المُرْسِل حانثٌ إذا حلف ألَّا يُكلِّمَ إنساناً»[512].

(512) المحرر الوجيز ج5 ص44، وانظر البحر المحيط ج7 ص504.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الزخرف
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾ [الزخرف: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ (إِنْ كُنتُمْ) بكسر الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَن كُنتُمْ﴾ بفتح الهمزة[٥١٣].

التفسير:

تشير الآية الكريمة إلى سنة الله تعالى في التعامل مع خلقه، بإرسال الرسل إليهم وتذكيرهم بالله تعالى رغم إعراض المشركين عن دعوته، وتكذيبهم الرسل، واستكبارهم في الأرض[٥١٤]. قال ابن كثير: «اختلف المفسرون في معناها، فقيل: معناها أتحسبون أن نصفح عنكم فلا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به. قاله: ابن عباسٍ رضي الله عنهما وأبو صالح، ومجاهد

(٥١٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٣٦٨، تحبير التيسير ص٢٠٣.

(٥١٤) انظر الجامع لأحكام القرآن م١١ ج٢٥ ص٣١.

والسدِّي، واختاره ابن جرير، وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ والله لو أنَّ هذا القرآن رُفِع حين ردَّته أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكنَّ الله تعالى عاد بعائدته، ورحمته فكرَّره عليهم، ودعاهم إليه عشرين سنةً أو ما شاء الله من ذلك، وقول قتادة لطيف المعنى جداً، وحاصله أنْ يقول في معناه: أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم، وهو القرآن، وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل يأمر به ليهتدي من قدَّرَ هدايته، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته»[٥١٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَن كُنتُمْ﴾ بفتح الهمزة على أنَّ (أنْ) تعليلية وأنَّ أمرَ الإسراف والتكذيب قد كان ومضى، وأنَّه صار طابعاً لهم[٥١٦]، والمعنى: أفنترك تذكيركم إعراضاً عنكم بسبب كونكم مسرفين في التكذيب والعصيان بل لا نزال نعيد التذكير رحمةً بكم[٥١٧]، والاستفهام الاستنكاري معناه: إنَّا لا نفعل ذلك[٥١٨].

وعلى المعنى الذي ذكره ابن عباسٍ وآخرون يكون المعنى: أفنضرب عنكم ذكر العذاب، لأنَّكم أسرفتم وكفرتم[٥١٩].

قال ابن الجوزي: «المراد بالذِّكر قولان: أحدهما: أنَّه ذِكرُ العذاب، فالمعنى: أفنمسكُ عن عذابكم ونترككم على كفركم؟ وهذا على قول ابن عباسٍ، ومجاهدٍ، والسدِّي. والثاني: أنَّه القرآن: فالمعنى: أفنمسك عن إنزالِ القرآن من أجل أنكم لا تؤمنون به؟ وهو معنى قول قتادة»[٥٢٠].

(٥١٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٢٥.
(٥١٦) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٥.
(٥١٧) انظر التحرير والتنوير م ١٢ ج٢٥ ص١٦٤.
(٥١٨) انظر مجمع البيان م ٥ ج٢٤ ص٧٠.
(٥١٩) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٠٣.
(٥٢٠) زاد المسير ص١٢٧٤.

وأمَّا قراءة (إنْ كُنتُمْ) بكسر الهمزة فتفيد أنَّ أمر الإسراف لم يقع بعد على أنَّ (إنْ) شرطية، وجواب الشرط ما قبله من جملة الكلام ونظير ذلك قوله: ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢](٥٢١).

قال ابن خالويه: «الحجة لمن كسر: أنه جعل (إنْ) حرف شرط، وجعل الفعل بمعنى المستقبل، وحذف الجواب علماً بالمراد»(٥٢٢)، على معنى: «إن تكونوا مسرفين أي: نضرب عنكم العذاب»(٥٢٣).

وقال ابن زنجلة: «ومن كسرها فعلى معنى الاستقبال، والمعنى: إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر، المراد - والله أعلم - من الكلام استقبال فعلهم، فأراد ﷻ تعريفهم أنَّهم غير متروكين من الإنذار والإعذار إليهم»(٥٢٤).

وبعض العلماء اعتبر أنَّ إسرافهم كان متحققاً أي: واقعاً بالفعل وهذا هو حالهم أي: أنهم متصفون بالإسراف، قال البقاعي: «وعلى قراءة نافع، وحمزة، والكسائي بكسر (إنْ) على كونها شرطيةً يكون الكلام مسبوقاً في غاية ما يكون من الإنصاف، فيكون المعنى: أنترككم مهملين فننحي عنكم الذكر والحال أنَّكم قومٌ يمكن أنْ تكونوا متصفين بالإسراف، يعني: أنَّ المسرف أهلٌ لأنْ يوعظ ويكلم بما يرده عن الإسراف، وأنتم وإن ادعيتم أنَّكم مصلحون لا تقدرون أن تدفعوا عنكم إمكان الإسراف فكيف يدفع عنكم إنزال الذكر الواعظ وأنتم بحيث يمكن أن تكونوا مسرفين فتحتاجوا إليه»(٥٢٥).

وقال النسفي: «(إنْ كُنتُم) مدنيٌّ وحمزة. وهو من الشرط الذي يصدر

---

(٥٢١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٥.

(٥٢٢) الحجة في القراءات السبع ص٣٢١.

(٥٢٣) معاني القراءات ج٢ ص٣٦١.

(٥٢٤) حجة القراءات ص ٦٤٥.

(٥٢٥) نظم الدرر ج٧ ص٧.

عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير: إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالمٌ بذلك»[٥٢٦].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر أنَّ الله تعالى: يعاتب هؤلاء المشركين المسرفين في التكذيب والعصيان موبخاً لهم ومحذراً من إمعانهم في الإعراض عنه قائلاً لهم على معنى: لا نترك تذكيركم ونعرض عنكم فلا نعظكم بالقرآن لأجل أنَّكم مسرفون في التكذيب والعصيان، بل لا نزال نذكِّرُكم، ونعظُكم به إلى أنْ ترجعوا إلى طريق الحقِّ رحمةً بكم، أو تقوم الحجة على من استمر في إسرافه وتكذيبه، ورفض الهداية، والله تعالى أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الزخرف: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ ﴿مَهْدًا﴾ بفتح الميم، وسكون الهاء.

٢ ـ قرأ الباقون (مِهاداً) بكسر الميم وفتح الهاء، وألفٍ بعدها[٥٢٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

المَهْد والمِهَاد: المكان المُمَهَّد المُوَطَّأ، ومَهَّدْت لك كذا: هيأته وسويته[٥٢٨].

(٥٢٦) تفسير النسفي ج٤ ص١٠٩.

(٥٢٧) انظر غيث النفع في القراءات السبع ص ٤٧١، إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٤.

(٥٢٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨٠.

وجاء في لسان العرب: المهاد: الفراش، وقد مهَّدْتُ الفراش مَهْداً: بسطته ووطأته، والجمع أمهده ومُهُد. وقيل المِهاد أجمع من المَهْد كالأرض جعلها الله مِهَاداً للعباد. وتمهيد الأمور: تسويتها وإصلاحها(٥٢٩). وجاء في المعجم الوسيط: المِهَاد: الفراش والأرض المنخفضة المستوية، وجمعها أمهده، ومُهُد، والمَهْد: السرير يهيأ للصبي ويوطأ لينام فيه والأرض السهلة المستوية وجمعها مُهُود(٥٣٠).

التفسيـر:

في سياق إقامة الدليل على وحدانية الله ﷻ، وتفرده بالربوبية والألوهية، وبعد إقرار المشركين لله بالخلق والإيجاد، تأتي هذه الآية الكريمة لتقيم الدليل على وحدانيته وكمال قدرته، وتذكرهم بعظيم نعمه عليهم التي تقتضي الشكر له، وإفراده بالعبودية والوحدانية قال القرطبي: «﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وصف نفسه سبحانه بكمال القدرة، وهذا ابتداء إخبار منه عن نفسه، ولو كان هذا إخباراً عن قول الكفار لقال الذي جعل لنا الأرض، ﴿مَهْدًا﴾ فراشاً وبساطاً. . .، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: معايش، وقيل طرقاً، لتسلكوا منها إلى حيث أردتم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فتستدلون بمقدوراته على قدرته، وقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ في أسفاركم، وقيل: لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم، وقيل: تهتدون إلى معايشكم»(٥٣١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اعتبر أكثر العلماء أنَّ القراءتين بمعنىً واحدٍ، قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من قرأ بألفٍ أنَّه جعله اسماً كالفراش، وهو اسم ما يمهد، كما قال: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾

---

(٥٢٩) انظر لسان العرب ج٣ ص٤١٠.

(٥٣٠) انظر المعجم الوسيط ص٩٢٧.

(٥٣١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٧٩ بتصرفٍ يسير.

[نوح: ١٩] ، فالفراش والبساط اسم ما يفرش وما يبسط كذلك المهاد اسم ما يمهد، ويجوز أن يكون جمع مهد، فجمع المصدر، جعله اسماً غير مصدرٍ كـ (بغلٍ وبغالٍ). وحجة من قرأ بغير ألف أنه جعله مصدراً كالفرش، لكن عمل فيه عاملٌ من غير لفظه، والتقدير: الذي مهد لكم الأرض مهداً، فـ (جعل) قام مقام (مهد) ويجوز أن يكون المعنى: ذات مهدٍ، أي: ذات فرشٍ، فيكون في المعنى كالمهاد، فالقراءتان على هذا بمعنىً»(٥٣٢). وقال د. محمد محيسن: «وهما مصدران بمعنىً واحدٍ، يقال مهدته مهداً، ومهاداً، والمهد والمهاد اسم لما يمهد كالفراش اسم لما يفرش»(٥٣٣).

وقال ابن عاشورٍ: «(وقرأ الجمهور (مهاداً) بكسر الميم وألفٍ بعد الهاء، وهو اسمٌ بمعنى الممهود مثل الفراش واللباس، ويجوز أن يكون جمع مهدٍ، وهو اسمٌ لما يمهد للصبي، أي يوضع عليه ويُحمل فيه، فيكون لوزن كعابٍ جمعاً لكعبٍ، ومعنى الجمع على اعتبار كثرة البقاع. وقرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ مهداً بفتح الميم وسكون الهاء، أي: كالمهد الذي يمهد للصبي، وهو اسمٌ بمصدرٍ مهده، على أن المصدر بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، ثم شاع ذلك فصار اسماً لما يمهد، ومعنى القراءتين واحدٌ»(٥٣٤).

الجمع بين القراءات:

إذا ما قسنا على المعنى اللغوي نجد أنَّ معنى القراءتين متقاربان على معنى أن المهاد: هي الأرض المنخفضة المستوية، ومعنى المهد: الأرض السهلة المستوية.

وعلى ذلك يكون المعنى: إنَّ الله تعالى جعل لكم الأرض ممهودةً

(٥٣٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٩٨.

(٥٣٣) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٥٦.

(٥٣٤) التحرير والتنوير م٨ ج١٦ ص٢٦٣ عند تفسيره للآية (٥٣) من سورة طه.

مسهَّلةً ومستويةً غير مرتفعةٍ للسير والجلوس والاضطجاع بحيث لا يكون فيها كثيرٌ من النتوء.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾ [الزخرف: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفرٍ (مَيِّتاً) مشددة الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿مَّيْتًا﴾ بتسكين الياء[٥٣٥].

٣ ـ قرأ ابن ذكوان، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ (تَخْرُجُون) بفتح التاء وضم الراء.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بضم التاء وفتح الراء[٥٣٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ الموت: ضد الحياة وهي من (مات يموت ويَمَات) ويقال: مَيِّتٌ ومَيْتٌ بالتشديد، والتخفيف والمعنى واحد على قول الزجاج[٥٣٧].

٢ ـ الخروج: نقيض الدخول، والمخرج: موضع الخروج[٥٣٨].

«خرج خروجاً: برز من مقره أو حاله، سواء كان مقره داراً، أو بلداً أو ثوباً، وسواءً كان حاله حالةً في نفسه، أو في أسبابه الخارجة»[٥٣٩].

(٥٣٥) انظر المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٤، إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٤.
(٥٣٦) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٤، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥٢.
(٥٣٧) انظر لسان العرب ج٢ ص٩١.
(٥٣٨) انظر لسان العرب ج٢ ص٢٣٩.
(٥٣٩) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨١.

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن دليلٍ آخر من دلائل وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، ونعمةً أخرى من نعم الله تعالى التي امتن بها على الناس رحمةً ولطفاً بهم تستوجب شكراً وحمداً خالِصَيْن لهذا المنعم، ومعنى قوله سبحانه وتعالى: «أي: إنَّ الله هو الذي جعل الأرض ذلولاً، وأنزل من السماء ماءً بقدرٍ على حسب احتياج الناس، وبقدر منافعهم، فأحيا بهذا الماء الأرض القاحلة المجدبة، فأنبتت وأينعت، وأخرجت الحب والزرع، والزهر، والثمر، (كذلك تخرجون) أي: كما بعث الحياة في الأرض المجدبة قادرٌ على أن يخرجكم من قبوركم، ويحييكم بعد موتكم»(٥٤٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة لغويةٌ بين القراءتين في (مَيْتاً) بالتخفيف و(ميِّتاً) بالتشديد، والمعنى واحدٌ على رأي بعض علماء التفسير واللغة، جاء في لسان العرب: القول في مَيْت كالقول في مَيِّت، لأنه مخفف منه، وقال الزجاج: المَيْت المَيِّت بالتشديد، إلَّا أنه يخفف، يقال: مَيْت ومَيِّت، والمعنى واحدٌ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث(٥٤١). وقال الرازي: «قال أهل اللغة: المَيْت مخففاً تخفيف مَيِّتٍ، ومعناهما واحدٌ ثقل أو خُفف»(٥٤٢).

وقال السمرقندي: «قرأ نافعٌ (مَيِّتاً) بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، ومعناهما واحدٌ»(٥٤٣).

ولكن لا يمنع ذلك أن تضيف قراءة التشديد معنىً زائداً على قراءة التخفيف، حيث إنَّ زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى في اللغة، وعليه

---

(٥٤٠) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٥٧.

(٥٤١) انظر لسان العرب ج٢ ص٩١.

(٥٤٢) التفسير الكبير م٧ ج١٣ ص١٧١ عند تفسيره للآية (١٢٢) من سورة الأنعام.

(٥٤٣) بحر العلوم بتصرف قليل ج١ ص٥١١ عند تفسيره للآية (١٢٢) من سورة الأنعام.

فإن قراءة التخفيف تدل على أن هذه الأرض تكون جافة يابسةً خاليةً عن النماء والنبات بالكلية فتكون الأرض ساكنةً والسكون موتٌ على قول أهل اللغة.

وأمَّا قراءة التشديد تعطي دلالةً على شدة موت الأرض ويباستها بحيث أن من يراها لا يظن مطلقاً أن هذه الأرض يمكن لها أن تحيا مرةً أخرى وتنبت بالزروع، ولكن بقدرة الله تعالى ومشيئته تصبح هذه الأرض حيةً مخضرَّةً بالزروع بعد أن ينزل الله عليها الماء، وفي ذلك دلالةٌ أبلغ على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى مرةً أخرى وإخراجهم من قبورهم بأيسر أمرٍ من أمره تعالى وأسهل شأنٍ[٥٤٤]. بما يدل عليه قراءة المبني للمجهول في (تُخْرَجون).

وأمَّا قراءة (تَخْرُجون) فقد أضاف الفعل إلى المخاطبين أي: هم الفاعلون على معنى أنكم تخرجون بأنفسكم، لأن الله تعالى إذا بعثهم من قبورهم يوم القيامة وأحياهم خرجوا بأمر من الله تعالى دون تلكؤٍ، مدفوعين بأنفسهم للخروج.

وأمَّا قراءة ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بالمبني للمفعول، فالمخاطبون مفعولٌ بهم قاموا مقام الفاعل، وفيه إشارة إلى أن خروجهم من الأرض يوم القيامة يكون على غير إرادتهم قسراً وبأيسر أمر وأسهل شأن، وهم كارهون للخروج خوفاً مما ينتظرهم، وعلى هذا يمكن اعتبار قراءة المبني للمفعول ﴿تُخْرَجُونَ﴾ المقصود بها الكفار لبيان حالهم فهم لا يتمنون الخروج ولا يرغبون بملاقاة الله ﷻ خوفا من عقابه، فيُخرَجون من قبورهم على الرَّغم منهم وعلى غير إرادتهم.

وعلى عكس ذلك قراءة (تَخْرُجُون) بالمبني للفاعل فيمكن اعتبارها بياناً لحال المؤمن المطمئن الراغب في لقاء الله تعالى الذي ينتظر أمر الله تعالى له بالخروج ليخرج مندفعاً بذاته من غير تلكؤٍ.

وعلى كلِّ حالٍ «فالقراءتان متداخلتان في المعنى لأنَّ الله تعالى إذا

(٥٤٤) انظر نظم الدرر ج٧ ص١٠.

أخرجهم خرجوا، وإذا خرجوا، فبإخراج الله خرجوا، فهم فاعلون مفعولون»[٥٤٥].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى أي: كما أحيا الله تعالى هذه الأرض المجدبة الميتة التي لا أمل لكم فيها بالحياة والانتفاع، قادرٌ على أن يبعثكم من قبوركم، ويخرجكم أحياءً بأيسر أمرٍ وأسهل شأنٍ سواء كنتم كارهين لذلك أم راغبين، والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: ١٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿يُنَشَّؤُا۟﴾ بضم الياء، وفتح النون، وتشديد الشين.

٢ ـ قرأ الباقون (يَنْشَأُ) بفتح الياء، وإسكان النون، وتخفيف الشين[٥٤٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

النشء، والنشأة: إحداث الشيء وتربيته، فيقال: نشأ فلانٌ، والإنشاء: إيجاد الشيء وتربيته[٥٤٧].

ويُقال: نشأ يَنْشأُ نَشْئاً ونُشُوءاً، ونَشَاءً، أي: ربا وشبَّ، والنشوء

(٥٤٥) حجة القراءات ص ٢٨٠ بتصرف قليل.

(٥٤٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٨، تحبير التيسير ص٢٠٣.

(٥٤٧) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٠٧.

التربية، وعليه قولهم: نَشَأتُ في بني فلان، نَشْئاً ونُشُوءاً، أي: شببتُ فيهم(٥٤٨).

التفسير:

في هذه الآية الكريمة يستنكر المولى ﷻ على هؤلاء المشركين الذين ينسبون إليه ما يكرهونه ولا يحبونه، وتسود وجوههم، ويحزنون إذا ما بشروا به، فينسبون له البنات اللاتي يَتَرَبَّيْنَ في الحلية والزينة، بما يتصفن من ضعف البنية والجسم وعدم القدرة على الكفاح، ولا يملكن الحجة في مواجهة الخصم.

قال الشوكاني: «والمعنى: أَوَجعلوا له سبحانه مَنْ شَأنُه أن يُربَّى في الزينة، وهو عاجزٌ عن أن يقوم بأمور نفسه، وإذا خوصم لا يقدر على إقامة حجته ودفع ما يجادل به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه»(٥٤٩)، قال القرطبي: «ومعنى الآية: أيُضاف إلى الله مَن هذا وصفه! أي: لا يجوز ذلك»(٥٥٠).

وقال المراغي: «وفي قوله: ﴿يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ إيماءٌ إلى ما فيهنَّ من الدِّعة والرخاوة والخلق بضعف المقاومة الجسمية واللسانية كما أنَّ فيه دلالةً على أن النشوء في الزينة ونعومة العيش من المعايب والمذام للرجال، وهو من محاسن ربات الحجال، فعليهم أن يجتنبوا ذلك ويأنفوا منه، ويربئوا بأنفسهم عنه»(٥٥١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان بمعنىً واحدٍ على رأي بعض أهل التفسير أو متقاربتا المعنى

---

(٥٤٨) انظر لسان العرب ج١ ص١٧٠.
(٥٤٩) فتح القدير ج٤ ص٧٧٠.
(٥٥٠) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٨٥.
(٥٥١) تفسير المراغي م٩ ج٢٥ ص٧٧.

على رأي الطبري[٥٥٢]، فكلتا القراءتين بمعنى التربية من نشأ وأنشأ، ولكن كل قراءةٍ لها دلالتها على المعنى، فقراءة يَنْشَأُ تفيد مطلق التربية على الطريقة التي جرت بها عوائدهم دون إفادة الاختلاف في طبيعة هذه التربية، مع نَسبِ فِعلِ النَّشأةِ لهم، أي هم الذين نشؤوا، لأن الله تعالى أنشأهم، فيكون المعنى: أتجعلون لله ما يَتربَّى في الزينة والحلية.

وأما قراءة ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ فتفيد اختلاف طبيعة كل نشأةٍ عن الأخرى بما تحتاج إليه من جهدٍ وعنايةٍ مستمرةٍ حسب متطلبات هذه النَشْأة ومن يقوم عليها، والفعل المبني للمجهول يدل على ذلك لما فيه من خصوصية كل نشأةٍ وعدم تقيدها بنشأةٍ معينةٍ، وقراءة التشديد فيها دلالةٌ على زيادة ضعف الإناث مما يتطلب مزيد عنايةٍ وجهدٍ في التربية شيئاً فشيئاً بالتدرج حتى تكبر، فقراءة التشديد تفيد مزيد إنكارٍ على هؤلاء الكفار، ومزيد توبيخٍ لهم على فعلتهم الشنيعة فيما ينسبون إلى الله تعالى ما هو أشدَّ ضعفاً وأقلَّ حيلةً في حين أنَّهم يرفضونه لأنفسهم.

قال ابن خالويه: «(أومَنْ يَنْشَأُ في الحِلْيَةِ) يقرأ بفتح الياء وإسكان النون والتخفيف، وبضم الياء، وفتح النون والتشديد فالحجة لمن خفف: أنه جعل الفعل من قولهم: نشأ الغلام فهو ناشئ، والحجة لمن شدَّد: أنه جعل الفعل المفعول به لم يُسمَّ فاعله، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ [الواقعة: ٣٥] فأنْشَأْتُ ونَشَّأْتُ بمعنىً واحدٍ»[٥٥٣].

وقال البقاعي: «واتخذ من (يَنْشَأ) أي: على ما جرت به عوائدكم على قراءة الجماعة، ومن تنشئونه وتحلونه بجهدكم على قراءة ضم الباء وتشديد الشين»[٥٥٤].

---

(٥٥٢) انظر جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٣٥.

(٥٥٣) الحجة في القراءات السبع ص٣٢٠.

(٥٥٤) نظم الدرر ج٧ ص١٥.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر أن القراءتين متداخلتان في المعنى كقوله تعالى: و(يُدْخلون) و(يَدْخُلون) لأنه إذا أنشئ في الحلية نشأ فيها، ومعلوم أنه لا يَنْشَأ فيها حتى يُنشَّأ[(555)].

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب (عِنْدَ الرَّحْمَنِ) بنون ساكنة، وفتح الدال، من غير ألف على أنه ظرف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ بالباء وألفٍ بعدها، ورفع الدال، جمع عبد.

٣ ـ قرأ المدنيان ﴿أَشَهِدُوا۟﴾ بهمزتين الأولى مفتوحةٌ، والثانية مضمومةٌ مسهلةٌ على أصلها مع إسكان الشين، وفصل بينهما بألفٍ، أبو جعفر، وقالون بخلافٍ على أصلهما في الهمزتين من كلمةٍ.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿أَشَهِدُوا۟﴾ بهمزةٍ واحدةٍ مفتوحةٍ، وفتح الشين[(556)].

المعنى اللغوي للقراءات:

الشهادة: خبرٌ قاطع، تقول: شَهِدَ الرَّجلُ على كذا، وربما قالوا شَهْدَ الرَّجُلُ، بسكون الهاء للتخفيف، وقولهم: اشهدْ بكذا: أي: احلفْ، والمشاهدة المعاينة، وشَهِدَهُ شُهوداً، أي: حضره فهو شاهدٌ[(557)].

قال الراغب: الشهادة: الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر، أو

---

(٥٥٥) انظر حجة القراءات ص ٦٤٧.

(٥٥٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩.

(٥٥٧) انظر الصحاح ج٢ ص٤٩٤.

البصيرة، وهي قولٌ صادرٌ عن علم حصل بمشاهدة بصيرةٍ أو بصرٍ، وقوله: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] يعني: مشاهدة البصر(٥٥٨).

التفسير:

تأتي هذه الآية الكريمة استكمالاً للآية السابقة، فيها إنكارٌ شديدٌ على هؤلاء المشركين وبيان حال كفرهم وما وصلوا إليه من افتراءٍ وتكذيبٍ في أن جعلوا الملائكة بنات الله، ومعنى الآية: «لقد جعل الكفار والمشركون الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، فمن قال لهم إنَّ الملائكة إناثٌ؟ هل أحضرهم الله يوم خلق الملائكة فعرفوا أنَّهم إناثٌ، وهل رأوهم وخالطوهم حتى يحكموا عليهم بالأنوثة أو الذكورة؟ إنَّ هذا الافتراء الواضح والسخف الفظيع سيسجَّلُ عليهم في اللوح المحفوظ وسيُسألون عنه يوم الحساب، وسيلقون جزاءهم على هذا الافتراء»(٥٥٩).

قال المراغي: «﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ أي: سمُّوهم وحكموا لهم بذلك، وفي هذا كفرٌ من وجوهٍ ثلاثةٍ:

١ - إنَّهم نسبوا إلى الله الولد.

٢ - إنَّهم أعطوه أحسن النصيبين.

٣ - إنَّهم استخفوا بالملائكة بجعلهم إناثاً.

وقد ردَّ الله عليهم فقال: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ أي: أحضروا خلق الله لهم، فشاهدوهم بنات حتى يحكموا بأنوثتهم؟ ونحو الآية قوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الصافات: ١٥٠] وفي هذا تجهيلٌ شديدٌ لهم، ورميٌ بهم بالسفه والحمق»(٥٦٠).

---

(٥٥٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١٤٠.

(٥٥٩) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٥٩.

(٥٦٠) تفسير المراغي م٩ ج٢٥ ص٧٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (عند الرحمن) على الظرفية فيها دلالةٌ على رفع منزلة الملائكة وتقريبهم من الله ﷻ كما قال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢] ، والقرب قرب كرامةٍ وليس قرب المسافة، «فمعناه الذين هم أقرب إلى الله منكم»[٥٦١].

وأمَّا قراءة ﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فعلى أنها جمع عبدٍ، وفيها دلالةٌ على تكذيب الكفار في ادعائهم أنَّ الملائكة إناثٌ بنات الله، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الصافات: ١٥٠] وفيها التسوية بين الملائكة وغيرهم في العبودية لله تعالى[٥٦٢].

قال مكي ابن أبي طالب: «قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قرأه الكوفيون وأبو عمرو (عباد) جمع (عبدٍ)، وقرأ الباقون (عند) على أنه ظرف، وحجة من جعله ظرفاً إجماعهم على قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، فهذا كله يراد به الملائكة، وفي هذه القراءة دلالةٌ على شرف منزلتهم وجلالة قدرهم، وفضلهم على الآدميين.

وحجة من جعله جمع (عبدٍ) قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] يعني الملائكة، وفيه التسوية بين الآدميين والملائكة في أن كلاً عباد الله، و(عند) في هذا ليس يُراد به قرب المسافة، لأن الله في كل مكان يعلمه، كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ولكن معنى (عند) الرفعة في الدرجة والشرف في الحال، ومن جعله جمع (عبدٍ) دلَّ بذلك على نفي قول من جعل الملائكة بنات الله، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، لأنَّه يخبر أنهم عباده، والولد لا يكون عبد أبيه، فهي قراءة تدل على تكذيب من

---

(٥٦١) المصدر السابق م٩ ج٢٥ ص٧٨.

(٥٦٢) انظر الحجة في القراءات السبع ص٣٢٠، حجة القراءات ص٦٤٧.

ادَّعى ذلك، وردّاً لقوله، فالقراءتان متكافئتان صحيحتا المعنى»[٥٦٣].

الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً تعطيان وصفاً دقيقاً للملائكة، أنهم عباد الرحمن تشريفاً لهم، وتنزيهاً عن أن يكونوا أبناء الله، وأنَّهم في منزلةٍ قريبةٍ ودرجةٍ عاليةٍ عند الله تعالى، دلالةً على إخلاصهم في الطاعة والعبودية، وقد جمع الله تعالى بين الوصفين في غير هذه الآية فقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦][٥٦٤]، وكلتا القراءتين فيها الإنكار على الكفار والتكذيب لهم في ادعائهم أن الملائكة بنات الله من حيث إنهم جعلوا له من عباده بناتٍ على القراءة الأولى ﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، وإذا كانوا عند الرحمن في منزلةٍ عاليةٍ وهم في السماء كيف علموا بحالهم وهم أبعد ما يكون للعلم بحالهم[٥٦٥] على القراءة الثانية (عِنْد الرحمن).

وأمَّا قراءة (أشهدوا) و(أأُشهدوا) فقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنىً واحدٍ على اعتبار أن الهمزة في كلتا القراءتين للاستفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ وهي تفيد النفي[٥٦٦]. ولكن لكل قراءةٍ دلالتها على المعنى.

فقراءة ﴿أَشَهِدُواْ﴾ تفيد أن الفعل لهم أي: أحضروا هم بأنفسهم خلق الملائكة حين خُلقوا، وهي من الفعل الثلاثي شَهِدَ يَشهد، وفيها الاستنكار، والتوبيخ لهم على أن قالوا ما لم يحضروا ممَّا حُكْمُه أن يُعْلَمَ بالمشاهدة[٥٦٧].

وقراءة (أَأُشْهِدُوا) بهمزتين، الأولى للاستفهام، وهي تفيد الإنكار

(٥٦٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٧.
(٥٦٤) انظر المحرر الوجيز ج٥ ص٤٩.
(٥٦٥) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٠٥.
(٥٦٦) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص٣٠، معاني القراءات ج٢ ص ٣٦٣.
(٥٦٧) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص ٣٧٣.

والتوبيخ مع التقرير، والثانية للتعدية إلى مفعولين، أحدهما يقوم مقام الفاعل[(٥٦٨)] «وجيء بصيغة النائب عن الفاعل دون صيغة الفاعل لأنَّ الفاعل معلومٌ أنَّه الله تعالى، لأن العالم العلوي الذي كان فيه خلق الملائكة لا يحضرهُ إلا من أمر الله بحضوره»[(٥٦٩)]، والمعنى: «أأشهدهم الله خلق الملائكة، وفيه نفي وقوع ذلك كقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١]»[(٥٧٠)] وهذه القراءة فيها تنبيهٌ بالمبني للمفعول على عجزهم عن شهود ذلك إلا بمن يشهدهم إياه، وهو الله رب العالمين، مما يزيد ذلك في توبيخهم وتقريعهم.

الجمع بين القراءتين:

تعقيباً على القراءتين قال البقاعي: «فقال تهكماً بهم وتوبيخاً لهم، وإنكاراً عليهم، إظهاراً لفساد عقولهم بأن دعاويهم مجردةٌ عن الأدلة: (أشهدوا) أي: أحضروا حضوراً هم فيه على تمام الخبرة ظاهراً، وباطناً هذا هو معنى قراءة الجماعة، وأدخل نافع همزة التوبيخ على أخرى مضمومةٍ ببناء الفعل للمفعول، تنبيهاً على عجزهم عن شهود ذلك إلَّا بمن يشهدهم إياه، وهو الخالق لا غيره، ومدها في إحدى الروايتين زيادةً في المادة عليهم بالفضيحة، وسهل الثانية بينهما، وبين الواو إشارةً إلى انحطاط أمرهم، وسفول آرائهم وأفعالهم، وجميع تقلباتهم، وأحوالهم كما سيكشف عنه الزمان، ونوازل الحدثان»[(٥٧١)].

٦ ـ قال تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف: ٢٤].

---

(٥٦٨) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٧.
(٥٦٩) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١٨٣.
(٥٧٠) المصدر السابق م١٢ ص٢٥ ص١٨٣.
(٥٧١) نظم الدرر ج٧ ص١٦.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامرٍ وحفصٌ ﴿قَٰلَ﴾ على الخبر.

٢ ـ قرأ الباقون (قُلْ) على الأمر.

٣ ـ قرأ أبو جعفر (جِئْنَاكُم) بنونٍ وألفٍ على الجمع.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿جِئۡتُكُم﴾ على التوحيد[٥٧٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ القول: هو الكلام، أو كلُّ لفظٍ مَذَلَ به اللِّسان، تامّاً، أو ناقصاً، وجمعها أقوالٌ، وأقاويل، والقول في الخير، والقال، والقيل، والقالة في الشَّر[٥٧٣].

٢ ـ جاء: قال الأصفهاني: «جاء يجيء ومجيئاً، والمجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولةٍ، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولِمَا يكون مجيئه بذاته وأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً»[٥٧٤].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن طبيعة الكفار في تعاملهم مع أنبيائهم ومواجهتهم دعوتهم إليهم بعبادة التوحيد وترك عبادة الأوثان، بالحجة الباطلة، وهي استئنافٌ للآية السابقة، والمعنى: «كان كل نبي يُرسل إلى قومه بعبادة التوحيد فيواجهونه بحجةٍ باطلةٍ وهي قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ هذا كان دأبهم وديدنهم فقد كانوا يرفضون

---

(٥٧٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩، تحبير التيسير ص٢٠٣.

(٥٧٣) انظر القاموس المحيط ص٩٤٧.

(٥٧٤) مفردات ألفاظ القرآن ص٢١٢.

التزحزح عن دين آبائهم علماً بأن الدين الجديد أهدى مما وجدوا آباءهم عليه»[٥٧٥]. قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمدٍ ﷺ، قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك القائلين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ أولو جئتكم أيها القوم من عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق، وأدلَّ لكم على سبيل الرَّشاد مما وجدتم أنتم عليه آباءكم من الدِّين والملة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ يقول: فقال ذلك لهم فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأنبيائها إنَّا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون، يعني: جاحدون منكرون»[٥٧٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (قال) على الماضي أنَّها إخبارٌ عن النذير أي: (نبيُّهم) أنه قال لهم ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾، ثم أخبر الله جل ذكره بجوابهم للنذير، فقال عنهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[٥٧٧].

وأمَّا قراءة (قُل) على الأمر، ذهب بعض العلماء إلى «أنَّهُ أمرٌ من الله تعالى للنذير ليقول لهم ذلك، فهو حكاية عن الحال التي جرت من أمر الله جلَّ ذكره فأخبرنا الله: (أنه أمرٌ للنذير، فقال له: قل لهم أولو جئتكم، وأخبرنا الله بما أجابوا به النذير في قوله: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾»[٥٧٨].

ولكن بعض العلماء ذهب إلى أن (قُل) هي أمرٌ للرسول محمدٍ ﷺ أن يقول ذلك جواباً على قول المشركين[٥٧٩]، قال أبو حيان: «والظاهر أنَّ

---

(٥٧٥) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٦٠.

(٥٧٦) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٣٨.

(٥٧٧) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٨، حجة القراءات ص٦٤٩.

(٥٧٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٨، انظر مجمع البيان للطبرسي ج٥، الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٧٥، المحرر الوجير ج٥ ص٢٤.

(٥٧٩) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١٨٩.

الضمير في قال، أو في قل، للرسول أي: قل يا محمد لقومك، أتتبعون آباءكم، ولو جئتكم بدينٍ أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم؟»(٥٨٠).

وأمّا قراءة (جئتكم) فالضمير فيها يعود على النذير على رأي من قال أن المقصود بـ (قال) أو (قل) هو النذير وليس الرسول محمد ﷺ، وعليه فإنّ قراءة (جئناكم) يعود ضمير المتكلم فيها على النذر جميعهم، لأن تكذيب أحدهم هو تكذيبٌ لهم جميعاً، قال البقاعي: «أولو (جئتكم) الضمير فيه للنذير، وفي قراءة أبي جعفر: (أولو جئناكم) للنذر كلهم»(٥٨١).

وأمّا على رأي من قال: المقصود بـ (قال) أو (قل) هو الرسول ﷺ فيكون الضمير في (جئتكم) يعود على النبي ﷺ و(جئناكم) يعود الضمير على الرسول ﷺ ومن قبله من الرسل عليهم السلام، قال ابن عاشورٍ: «وقرأ الجمهور (جئتكم) بضمير تاء المتكلم، وقرأ أبو جعفر (جئناكم) بنون ضمير المتكلم المشارك، وأبو جعفر من الذين قرءوا (قل) بصيغة الأمر فيكون ضمير (جئناكم) عائداً للنبي ﷺ المخاطب بفعل (قل) لتعظيمه ﷺ من جانب ربه تعالى الذي خاطبه بقوله: (قل)»(٥٨٢).

وقال د. محمد محيسن: «قرأ أبو جعفر (جئناكم) بنونٍ مفتوحةٍ مكان التاء المضمومة، وألفٍ بعدها على إسناد الفعل إلى ضمير الجمع، والمراد الرسول ﷺ وَمَنْ قبله مِنَ الرسل عليهم السلام، وقرأ الباقون (جئتكم) بتاءٍ مضمومةٍ على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم، والمراد الرسول ﷺ»(٥٨٣).

الجمع بين القراءات:

من خلال الجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ الله تعالى لقَّن جميع رسله

(٥٨٠) البحر المحيط ج٨ ص١٢، انظر حجة القراءات ص٦٤٩، معاني القراءات ج٢ ص٣٦٣.

(٥٨١) نظم الدرر ج٧ ص٢٠.

(٥٨٢) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١٨٩.

(٥٨٣) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٦٠.

عليهم السلام بما فيهم محمدٌ ﷺ، أن يجيبوا أقوامهم بهذا ويقولوا لهم (أولو جئتكم - أو جئناكم - بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم)، وأمّا الكفار فهذا هو دأبهم وديدنهم جميعاً عبر الأزمنة مع أنبيائهم، دائماً ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي: منكرون وجاحدون لكل ما أرسلتم به من التوحيد والإيمان والبعث والنشور، وفي هذا مواساةٌ للنبي ﷺ على ما يلاقيه من قومه من إعراضٍ عن دعوة الله ﷻ، وتكذيبٍ لرسالته.

٧ - قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣﴾ [الزخرف: ٣٣].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، وأبو جعفرٍ (سَقْفاً) بفتح السين وإسكان القاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿سُقُفًا﴾ بضم السين والقاف[٥٨٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن منظورٍ: «السقف: غماءُ البيت، والجمع سُقوفٌ وسُقفٌ، فأمّا قراءة من قرأ: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبُيوتهم سَقْفاً من فضةٍ فهو واحدٌ يدل على الجمع، أي: لجعلنا لبيت كل واحدٍ منها سقفاً من فضةٍ»[٥٨٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قيمة الحياة الدنيا وحقارتها في ميزان الله تعالى وهوانها عليه بحيث إنّه لولاَ أنْ يرغبَ كثيرٌ من الناس في الكفر، ويجتمعوا عليه، إذا رأو الكافر في سعةٍ من الرزق لخصَّ هذه الدنيا بالكفار

(٥٨٤) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٥.

(٥٨٥) لسان العرب ج٩ ص١٥٥.

وجعل لهم القصور الشاهقة سقفها من فضة، وجعل لهم مصاعد وسلالم من فضة عليها يعرجون ويصعدون.

قال القرطبي: «قال العلماء: ذكر حقارة الدنيا وقلة خطرها، وأنها عنده من الهوان بحيث كان يجعل بيوت الكفرة ودرجها ذهباً وفضةً لولا غلبة حب الدنيا على القلوب، فيحمل ذلك على الكفر، قال الحسن: المعنى لولا أن يكفر الناس جميعاً بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة، لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه، لهوان الدنيا عند الله ﷻ»[٥٨٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿سُقُفًا﴾ بضم السين والقاف أنها جمع سقفٍ على لفظ (البيوت) لأنَّ لكلِّ بيتٍ سقفاً فجُمع على اللفظ والمعنى، وأما قراءة (سَقْفاً) بفتح السين، وإسكان القاف أفادت أنها مفرد على التوحيد على معنى: أنَّ لكل بيتٍ سقفاً، لأن الواحد يدل على الجمع، ولأن لفظ (البيوت) يدل على أنَّ لكلِّ بيت سقفاً.

الجمع بين القراءات:

لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى باعتبار أن قراءة الإفراد (سَقْفاً) هي اسم جنس يشمل القليل والكثير، فتتفق مع قراءة الجمع ﴿سُقُفًا﴾ إذ المراد الكثير بقرينة (البيوت)[٥٨٧].

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٤ ـ ٣٥].

(٥٨٦) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٩٥، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٨، معاني القراءات ج٢ ص٣٦٤، حجة القراءات ص٦٤٩.

(٥٨٧) انظر حاشية القونوي ج١٧ ص٣١٧، التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٢١٢.

القراءات:

١ ـ قرأ عاصمٌ، وحمزة، وابن جماز، وهشامٌ بخلافٍ عنه ﴿لَمَّا مَتَٰعُ﴾ بتشديد الميم.

٢ ـ قرأ الباقون (لَمَا متاع) بتخفيف الميم(٥٨٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

«لمَّا: يستعمل على وجهين:

أحدهما: لنفي الماضي وتقريب الفعل نحو: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

والثاني: علماً للظرف نحو: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦] أي: في وقت مجيئه»(٥٨٩).

وجاء في لسان العرب أنَّ لمَّا مشددة الميم لها معانٍ في كلام العرب: أحدها أنها تكون بمعنى الحين إذا ابتدئ بها أو كانت معطوفةً بواوٍ أو فاءٍ وأجيبت بفعلٍ يكون جوابها مثل: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ﴾ [الصافات: ١٠٢] معناه: حين، وتكون لمَّا بمعنى: لم الجازمة مثل: ﴿لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: ٨]، أي: لم يذوقوه، وتكون بمعنى إلَّا مثل: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق: ٤] معناه: ما كل نفسٍ إلا عليها حافظٌ، وقد تكون انتظاراً لشيءٍ متوقع وقد تكون انقطاعاً لشيءٍ قد مضى(٥٩٠).

التفسير:

تأتي هذه الآية استكمالاً للآيات السابقة التي تكشف عن حقيقة الحياة الدنيا وحقارتها، وهوانها على الله تعالى وأنها لا تساوي في ملك الله جناح

(٥٨٨) انظر تحبير التيسير ص٢٠٣، إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٥.

(٥٨٩) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٤٦.

(٥٩٠) انظر لسان العرب ج١٢ ص٥٥٢.

بعوضةٍ، فتأتي هذه الآية لتبيِّن أنَّ ما ذكر من وصف لهذه الحياة الدنيا، وما فيها من زينة وزخارف، ما هو إلا ترفٌ زائلٌ لا قيمة له بجانب ما أعده الله تعالى من النعيم المقيم للمتقين أهل التقوى والآخرة.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره، وما كل هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج، والأبواب، والسرر من فضةٍ، والزخرف إلَّا متاعٌ يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا، ﴿وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥] يقول تعالى ذكره: وزيَّن الدَّار الآخرة، وبهاؤها عند ربك للمتقين الذين اتقوا الله فخافوا عقابه، فجَدُّوا في طاعته، وحذروا معاصيه خاصةً دون غيرهم من خلق الله»[٥٩١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لمَّا) بالتشديد أنَّ كل ما ذُكِرَ من البيوت المصفوفة من زخارف وفضةٍ وغيرها، وكل ذلك النَّعيم العاجل الذي يعطيه الله تعالى للكفار ما هو إلا شيءٌ يتمتع به في الحياة الدنيا الزائلة وفي هذه القراءة تكون (إنْ) بمعنى ما النافية، و(لمَّا) بمعنى إلَّا الاستثنائية، وفيها نفي ما يعتقده هؤلاء الكفَّار أنَّ هذه السعادة في الدنيا وامتلاكهم لهذا النعيم هي بسبب مرضاة الله عليهم، وأنَّ السعيد في الدنيا هو سعيدٌ في الآخرة، وهذا ما تفيده (إنْ) بمعنى (ما) النافية، وفيها قصر هذا السعادة وهذا النَّعيم على متاع الحياة الدنيا، وفي ذلك زيادة تحقيرٍ لهذه الدنيا ومتاعها. وأنَّ صاحبه لا يزال فقيراً وإن استوسقت له الدنيا مُلكاً ومَلِكاً، لأنه لا بد أن يبقى في نفسه شيءٌ لا تبلغه قدرته فهو لا يزال مغبوناً[٥٩٢]، وجاء في حاشية القونوي: «(إنْ) هي المخففة و(لمَّا) بالتشديد بمعنى إلَّا بقرينة (أنْ) النافية، وفي هذه القراءة مبالغةٌ لإفادة الكلام حينئذ القصر»[٥٩٣].

---

(٥٩١) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٤٢.
(٥٩٢) انظر نظم الدرر ج٧ ص٢٧.
(٥٩٣) حاشية القونوي ج١٧ ص ٣١٩.

وقال حقّي: «إنْ نافية ولـمَّا بالتشديد بمعنى إلَّا أي: وما كل ذلك المذكور من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة إلَّا شيءٌ يتمتع به في الحياة الدنيا، لا دوام له ولا حاصل إلَّا الندامة والغرامة»(٥٩٤).

وأمَّا قراءة (لمَا) بالتخفيف فقد أفادت العموم والشمول مع التأكيد على أنَّ كلَّ هذه الأشياء المذكورة التي يتمناها الإنسان والتي يتمتع بها الكافر هي متاع الحياة الدنيا، وفيها تأكيدٌ وإخبارٌ من الله تعالى على دناءة الحياة الدنيا ومتاعها، وأنَّ لها ضرَّةً هي الآخرة، وهي خيرٌ وأبقى عند الله للمتقين من هذا المتاع الزائل بالموت، وفي هذه القراءة تكون (إنْ) المخففة من إنَّ الثقيلة، واللّام هي الفارقة بين المخففة وغيرها والميم زائدةً للتأكيد(٥٩٥)، «أو موصولةً بتقدير (لما هو متاع)»(٥٩٦)، وعلى ذلك يكون المعنى: (وإنَّ كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا)(٥٩٧).

الجمع بين القراءات:

قراءة (لمَا) بالتخفيف أفادت العموم والشمول مع التأكيد أنَّ كل هذه الأشياء متاع الحياة الدنيا، دون أن يشير إلى نفي توهم الكفار أنَّ هذا النعيم سبب مرضاة الله تعالى، ولم تقصر هذا النعيم على الحياة الدنيا في اللفظ.

وأمَّا قراءة (لمَّا) بالتشديد فإضافة على التأكيد أن هذه الأشياء المذكورة وهذا النعيم هو متاع الحياة الدنيا فإنها قصرت هذه السعادة وهذا النعيم على الحياة الدنيا، ونفت كلَّ توهمٍ لهؤلاء الكفار أنَّ السعيد في الدنيا سعيدٌ في الآخرة، وأنَّ هذا النعيم سببَ مرضاة الله تعالى.

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ كل ذلك النعيم وهذه الزخارف التي

(٥٩٤) روح البيان ج٨ ص٤٠٧.

(٥٩٥) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٥، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٦١.

(٥٩٦) روح المعاني ج٢٥ ص٨٠.

(٥٩٧) انظر حجة القراءات ص٦٥٠، معاني القراءات ج٢ ص٣٦٤.

يعطيها الله للكفار وهي أقصى ما يتمناه الإنسان من الغنى في الدنيا ما هي إلَّا أشياءٌ يُتَمَتَّعُ بها في الدنيا وتنتهي بموت صاحبها وليس له نصيبٌ في الآخرة، وكل ذلك لا يساوي شيئاً عند ربك، فالآخرة هي الأَوْلَى للمتقين ويعطاها الإنسان بسبب تقوى الله ومرضاته.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (يُقَيِّضْ) بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿نُقَيِّضْ﴾ بالنون[٥٩٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

قيّض: بمعنى هيأ، وسبَّبَ، وقدَّر، فيقال: قَيَّضَ الله فلاناً لفلانٍ أي: جاءه به وأتاحه له، وقيَّض الله قريناً أي: هيأَهُ، وسبَّبَه من حيث لا يحتسبُه[٥٩٩]. وفي قوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ قال الزجاج: «أي: نُسَبِّبْ له شيطاناً يجعل الله له ذلك جزاءه»[٦٠٠]، وقال الأصفهاني: «أي: نتح، ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض، وهو القشر الأعلى»[٦٠١].

التفسير:

يُبَيِّن الله تعالى في هذه الآية أنَّ من يعرض ويتعام ويتغافل عن القرآن، وعن عبادة الرحمن فإنه يهيئ له شيطاناً يلازمه ولا يفارقه دائماً، فيتسلط عليه بالوسوسة والإغواء، ويدعوه دائماً إلى كلِّ ضلالٍ، ويزين له كلَّ شرٍّ،

(٥٩٨) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩، تحبير التيسير ص٢٠٣.

(٥٩٩) انظر لسان العرب ج٧ ص٢٢٥.

(٦٠٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٤١٢.

(٦٠١) مفردات ألفاظ القران ص٦٨٧.

وذلك لأنه آثر العمى على الهدى وأعرض عن النظر في القرآن(٦٠٢)، قال الألوسي: «﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ أي: نتح له شيطاناً ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض وهو القشر الأعلى، ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ دائماً لا يفارقه ولا يزال يوسوسه، ويغويه، وهذا عقابٌ على الكفر بالختم وعدم الفلاح، كما يقال: إنَّ الله تعالى يعاقب على المعصية بمزيد اكتساب السيئات»(٦٠٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان أنَّ الله ﷻ هو الفاعل أي: أنَّ التقيض من فعل الله تعالى سواء قرأته بالياء أو النون(٦٠٤)، إلَّا أن إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة، بيانٌ لعظم الرَّحمن، وقدرته الواسعة على الفعل والانتقام، ففي ذلك مزيدٌ من التهديد والوعيد بالعقاب والانتقام من الذين يُعرِضُون ويتعامون عن ذكر الرَّحمن وسماع قول الحقِّ، قال الطبرسي: «من قرأ يقيض بالياء فالضمير يعود على الرَّحمن، ومن قرأ بالنون، فالمعنى على ذلك لكنه سبحانه أخبر عن نفسه بنون العظمة»(٦٠٥).

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٧ ـ ٣٨].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر (جاءَانا) بألف بعد الهمزة على التثنية.

---

(٦٠٢) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٤٥.

(٦٠٣) روح المعاني ج٢٥ ص٨١.

(٦٠٤) انظر معاني القراءات ج٢ ص٣٦٤.

(٦٠٥) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٨٤.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿جَآءَنَا﴾ بغير ألف على المفرد[٦٠٦].

التفسير:

هاتان الآيتان استكمالٌ للآية السابقة، ويُبَيِّنُ الله ﷻ فيهما أن هؤلاء الشياطين الذين يتسلطون على الكفار يصدونهم عن سبيل الهدى، ومن جهل هؤلاء الكفار يحسبون أنَّ الشياطين مهتدون فيطيعونهم.

«ولا يزال الشيطان يُغري أتباعه فإذا ما جاء يوم القيامة وبعث الله كلٍ عاصٍ وشيطانه عندئذٍ يرى العصاة ما كانوا عليه من الضلال، فيقول كلٌ منهم حسرةً وندامةً لشيطانه: يا ليت الدنيا فرَّقت بيني وبينك، وباعدت بيننا بعد المشرقين، فبئس الصاحب أنت، لقد جلبت عليَّ الويلات، وأوقعتني في تلك المصائب والنكبات»[٦٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (جاءانا) على التثنية، الإخبار عن الكافر وشيطانه المصاحب له بالمجيء إلى المحشر يوم القيامة.

وأمَّا قراءة (جاءنا) على التوحيد أفادت الإخبار عن الكافر وحده بالمجيء إلى المحشر[٦٠٨]. وفي كلتا القراءتين يقول العاشي أي: (الكافر) لقرينه الشيطان (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) أي: قال في ذلك الوقت لقرينه الذي أغواه يا ليت بيني وبينك بعد ما بين المشرق والمغرب فلم أرك ولم أغتر بك فبئس القرين كنت لي في الدنيا حيث أضللتني وأوردتني النار وبئس القرين أنت لي اليوم، حيث إنهما يكونان

(٦٠٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩.

(٦٠٧) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٦٢، انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٤٥.

(٦٠٨) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٩.

مشدودين في سلسلة واحدةٍ زيادةَ عقوبةٍ وَغَمٍّ[٦٠٩].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتَبيَّن أنَّ كلاًّ من الكافر وقرينه الشيطان الذي أغواه سيحشران معاً في عذابٍ واحدٍ يوم القيامة، فقراءة ﴿جَآءَنَا﴾ بالإفراد أوضحت أن الكافر يجيء يوم القيامة إلى المحشر، ولا تصرح بمجيء الشيطان معه، ولكنَّه يُفهم ضمنيّاً من قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾، وأما قراءة (جاءانا) بالتثنية فصرَّحت بمجيء الاثنين معاً في سلسلةٍ واحدةٍ الكافر وقرينه الشيطان، فأوضحت ما أبهمته القراءة الأولى، قال ابن عاشورٍ: «والمعنى على القراءتين واحدٌ، لأن قراءة التثنية صريحةٌ في مجيء الشيطان مع قرينه الكافر، وأن المتندم هو الكافر، والقراءة بالإفراد متضمنةٌ مجيء الشيطان من قوله: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ إذ عُلِمَ أنَّ شيطانه القرين حاضرٌ من خطاب الآخر إياه بقوله: (وبينك)، وحرف (يا) أصله للنداء، ويستعمل للتلهف كثيراً كما في قوله: ﴿يَٰحَسْرَةً﴾ [يس: ٣٠] وهو هنا للتلهف والتندم»[٦١٠].

١١ ـ قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزخرف: ٤١ ـ ٤٢].

القراءات:

١ ـ قرأ رويسٌ (نَذْهَبَنْ ـ نُرِيَنْكَ) بتسكين النون فيهما.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ ـ ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ بفتح النون مع التشديد فيهما[٦١١].

---

(٦٠٩) انظر مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٨٦.

(٦١٠) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢١٣.

(٦١١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٦، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ نذهبنَّ: فعل مضارع من ذَهَبَ، ذَهاباً، وذُهُوباً، ومَذْهَباً: مرَّ ومضى ومات، ويقال: ذهبَ به الأثر: زال وامَّحى، ويقال: ذَهَبَتْ به الخُيَلاءُ: أزالته عن وقاره، وأذهبه: أزاله[٦١٢].

٢ ـ نُرِيَنَّكَ: فعل مضارع من رأى، والرؤية: النظر بالعين وبالقلب، والرؤيا: ما يرى في النوم، وتراءوا: رأى بعضهم بعضاً، وارتأى الشيء: أبصره، وتراءَى فلان: نظر إلى وجهه في المرآة ونحوها[٦١٣].

التفسيـر:

يخبر المولى ﷻ سيدنا محمداً ﷺ مطمئِناً إيَّاه ومواسياً له ـ بعد أن واجه الكثيرون من كفار مكة دعوته بالكفر والعناد والمعاداة ـ بأنَّ هؤلاء الكفار سينتقم الله منهم لا محالة إمَّا بعد أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وإمَّا في حياته. يقول الزحيلي: «أي: إنَّهم لا يفلتون من العقاب في العاجل أو الآجل، فإن قبضنا روحك وأمتناك أيها الرسول قبل نزول العذاب بهم، فنحن منتقمون منهم إمَّا في الدنيا أو في الآخرة، وإن أبصرناك الذي وعدناهم به من العذاب قبل موتك، فنحن قادرون أيضاً عليه، ومتى شئنا عذبناهم، وقد أقرَّ الله عينه في حال حياته، فقهرهم يوم بدرٍ، وأصبح المتحكم فيهم، والمالك لحصونهم وقلاعهم. والتعبير بالوعد دليلٌ على وقوعه حتماً، لأنَّ الله لا يخلف الميعاد»[٦١٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى: (نَذْهَبَنْ ـ نُرِيَنْكَ) بتسكين النون معنى الوعيد من الله تعالى لهؤلاء الكفار بالانتقام منهم إمَّا في الدنيا أو في الآخرة، ووعدٌ من الله لرسوله ﷺ بإظهار هذا الدِّين إن كان في حياته ﷺ أو بعد وفاته،

---

(٦١٢) انظر القاموس المحيط ص٨١، المعجم الوسيط ص٣٤٠.

(٦١٣) انظر القاموس المحيط ص١١٥٧، المعجم الوسيط ص٣٤٤.

(٦١٤) التفسير المنير ج٢٥ ص١٥٨.

والوعد مؤكدٌ منه ﷻ بدخول (ما) بعد (إنْ) الشرطية، وبالنون الخفيفة للتأكيد، والمعنى: إننا منتقمون منهم في الدنيا سواء كنت حيّاً أو بعد موتك.

وأمّا القراءة الثانية: ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ - ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ بفتح النون مع التشديد إضافةً إلى ما سبق فإنَّها تفيد زيادة التوكيد وتحقيق الانتقام من هؤلاء الكفار، للدلالة على أنَّ الانتقام واقعٌ لهم لا محالة في الدنيا والآخرة، لأنَّ زيادة المبنى تؤدي إلى زيادةٍ في المعنى، والأمر قد وقع لهم في الدنيا، وأرى الله رسوله ﷺ الانتقام من الكفار بقتل صناديدهم يوم بدرٍ وغيرها إلَّا من تحصَّن بالإيمان، وأراه النَّصر عليهم أيضاً وإظهار هذا الدِّين في حياته[٦١٥]، كما أنَّ قراءة التشديد تفيد التكثير والشدَّة في الفعل، ممَّا توحي بشدة الانتقام من الكفار.

الجمع بين القراءات:

القراءة الثانية بالتشديد مؤكدة للقراءة الأولى بالتخفيف، والقراءتان معاً تؤكدان أنَّ وعد الله تعالى لنبيِّه ﷺ بالنَّصر والتمكين لدينه، ووعيده للكفار بالانتقام الشديد منهم متحققٌ لا محالة في الدنيا والآخرة، في الحال والمستقبل، والله تعالى أعلم.

١٢ - قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الزخرف: ٥٣].

القراءات:

١ - قرأ يعقوب وحفصٌ ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ بإسكان السين من غير ألف.

٢ - قرأ الباقون (أساوِرَةٌ) بفتح السين وألف بعدها[٦١٦].

(٦١٥) انظر روح المعاني ج٢٥ ص٨٤، التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٠١.

(٦١٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩، تحبير التيسير ص٢٠٤.

المعنى اللغوي للقراءات:

الإِسْوَار: لغةٌ في السِّوار: للحلية التي تُلبَس في المعصم، جمعها أسورةٌ، وجمع الجمع أساوِرُ، وأساوِرَةٌ(٦١٧).

وقال الجوهري: «السِّوارُ: سَوارُ المرأة، والجمع أَسْوِرَةٌ، وجمع الجمعِ أساوِرُ، وقُرِئ: (فلولا أُلقيَ عليه أساوِرَةٌ من ذَهَبٍ)، وقد يكون جمع أَسَاوِرَ»(٦١٨).

التفسير:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عن موقف فرعون من دعوة موسى عليه السلام وجداله الحق بحججٍ باطلةٍ لا تستند إلى دليلٍ، مستهزئاً بموسى عليه السلام، ومشككاً الناس في نبوته، وصدق دعوته، فبعد أن أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه وجاءهم بالمعجزات الدالة على صدق نبوته، جمع فرعون قومه ونادى فيهم قائلاً: «إنّا إذا سودنا رجلاً، حلَّيناه بأوسمة الشرف، وألبسناه أسورةً من الذهب، فهذا موسى الذي يدَّعي أنه رسول من قبل ربِّ العالمين، وقد ألقيت عليه مقاليد الشرف والسيادة، هل رأيتم في يده أسورةً من ذهبٍ ألقيت عليه من قبل الإله الذي أرسله، ولماذا لم يرسل معه حاشيةً من الملائكة يمشون وراءه صفاً صفاً مقترناً بعضهم ببعض ليكونوا أتباعه وأعوانه، كما تمشي الحاشية خلف الملك المتوج؟ فلا هو مُحلًى بالذهب كما هو الحال في أشرافنا، ولا هو مصحوبٌ بحاشيةٍ من الملائكة حتى نصدقه، ونعرف أنه رسول رب العالمين كما يقول»(٦١٩).

(٦١٧) انظر المعجم الوسيط ص٤٨٧.
(٦١٨) الصحاح ج٢ ص٦٩٠.
(٦١٩) المستنير في تخريج القراءات العشر ج٣ ص٦٥، انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٥٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى، إلاّ أنَّ قراءة ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ تفيد أنها جمع السوار، وقراءة أساورة تفيد أنها جمع الجمع، ويقال أساور جمع سوار[٦٢٠].

قال البغوي: «قرأ حفصٌ ويعقوب ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ جمع سوار، وقرأ الآخرون (أساورة) على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع»[٦٢١].

وبعض العلماء اعتبر أن العلاقة لغويةٌ بين القراءتين على اعتبار أنه يجوز أن يقال (سوارٌ) و(أسوارٌ) وهي لغاتٌ، قال ابن عاشورٍ: «الأساورة: جمع أسوارٍ لغةٌ في سِوَارٍ، وأصل الجمع أساوير مخففٌ بحذف إشباع الكسرة ثم عوض الهاء عن المحذوف كما عوضت في زنادقة جمع زنديقٍ إذ حقه زناديق، وأمّا سوارٌ فيجمع على أسورة»[٦٢٢].

١٣ ـ قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥ ـ ٥٦].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي (سُلُفاً) بضم السين واللام.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿سَلَفًا﴾ بفتح السين واللام[٦٢٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

السَلَف: المتقدم، وفي قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٦] أي: معتبراً متقدماً[٦٢٤].

---

(٦٢٠) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٠٩.
(٦٢١) تفسير البغوي ج٤ ص١٢٧.
(٦٢٢) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٣٢، انظر حجة القراءات ص٦٥١.
(٦٢٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٥.
(٦٢٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٠.

قال ابن منظور: «والسَّالِفُ: المتقدم، والسَّلْفُ والسَّليفُ والسَّلْفَة: الجماعة المتقدمون، وقوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ۝٥٦﴾، ويُقرأ: سُلُفاً وسُلَفاً، قال الزجاج: سُلُفاً جمع سَليف، أي: جمعاً قد مضى، ومن قرأ سُلَفاً فهو جمع سُلْفَةٍ أي: عصبةً قد مضت، والتَّسليف: التقديم، وقال الفراء: يقول جعلناهم سَلَفاً متقدمين ليتعظ بهم الآخرون»[٦٢٥].

التفسير:

بعد أن أخبر الله جلَّ وعلا في آيةٍ سابقةٍ، عن موقف فرعون وقومه من دعوة موسى عليه السلام وصدِّهم عن دعوة الله تعالى، واستهزائهم بموسى عليه السلام، ومن آمن معه، يخبر سبحانه في هذه الآية عن مصير فرعون وقومه، وما حلَّ بهم من عذاب وانتقام شديدٍ بسبب كفرهم وعنادهم، فأغرقهم جميعاً وجعلهم قدوةً ومثلاً لمَن بعدهم من الكفار في استحقاق العذاب والدمار، يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك، قال البقاعي: «لمَّا كان إهلاكهم بسبب إغضابهم لله وبالكبر على رسله، كانوا سبباً لأن يتعظ بحالهم من يأتي بعدهم فلذلك قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: بأخذنا لهم على هذه الصورة من الإغراق وغيره مما تقدم (سلفاً) متقدماً لكل من يهلك بعدهم إهلاكاً في الدارين أو إحداهما عاقبتهم كما قال سبحانه عز من قائل وتبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١] (ومثلاً) أي: حديثاً عجيباً سائراً مسير المثل (للآخرين) الذين خلفوا بعدهم من زمنهم إلى آخر الدهر فيكون حالهم عظةً لناسٍ وإضلالاً للآخرين، فمن قضى أن يكون على مثل حالهم عمل مثل أعمالهم، ومن أراد النجاة ممَّا نالهم تجنب أفعالهم»[٦٢٦].

(٦٢٥) لسان العرب ج٩ ص١٥٨.

(٦٢٦) نظم الدرر ج٧ ص٣٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب العلماء إلى أن القراءتين بمعنىً واحدٍ على اعتبار أنَّ «من قرأ ﴿سَلَفًا﴾ فهو جمع سالفٍ وسَلَف، ومعناه: جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم من بعدهم، ومن قرأ (سُلفاً) فهو جمع سَليفٍ بالمعنى الأول، يقال سَلَفْت القوم أسْلفُهم، إذا تقدمتهم»[627].

قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من ضمَّ أنه جعله لسَلَفْ، كَأَسَدِ وَأُسُدِ، وَوَثَنٍ ووُثُنٍ، وهو كثير، وقيل: هو جمعٌ لسليفٍ، كرغيفٍ وَرُغُفٍ، وهو كثيرٌ أيضاً، و(السليف) المتقدم، والعرب تقول: مضى منّا سالِف وسَلَف وسليف، وقيل: السلف جمع سالفٍ، نادرٌ، وسلفٌ جمع سليفٍ، كرغيفٍ ورُغفٍ، فهو جمع الجمع.

وحجة من فتح أنَّه حمله على بناء يقع للكثرة في الجمع، وجعله جمع سالفٍ، كخادمٍ وَخَدَم، وغائبٍ وغَيَبٍ، فالقراءتان بمعنىً واحدٍ»[628]. وبمثله قال القرطبيَ، وذكرَ أنَّ معناهما واحدٌ أيضاً[629]. ويؤيده ما جاء في لسان العرب أنَّ السَّالف: المتقدم والسَّلف والسَّليف والسُّلفة: الجماعة المتقدمون، وقول الزجاج: سُلُفاً جمع سليفٍ أي جمعاً قد مضى[630]، وعلى هذا فالقراءتان بمعنىً واحدٍ.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٧].

(٦٢٧) معاني القراءات ج٢ ص٣٦٧، انظر زاد المسير ص١٢٨١.
(٦٢٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٠.
(٦٢٩) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤١٠.
(٦٣٠) انظر لسان العرب ج٩ ص١٥٨.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، والبصريان، وعاصمٌ، وحمزة ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد.

٢ ـ قرأ الباقون (يَصُدُّون) بضم الصاد[٦٣١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الصَّدُّ: الإعراضُ، وصَدَّ عنه صُدُوداً: أعرضَ، وصَدَّ فلاناً عن كذا صَدّاً: منعه وصَرَفَه[٦٣٢]، وَصَدَّ يَصُدُّ صَديداً: ضَجَّ، وفي التنزيل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٧]، أي: يَضِجُّون وَيعجَبُون، وقد قُرِئَ (يَصُدُّون) بالضم أي: يعرضون[٦٣٣].

وقال د. محمد حجازي: «صَدَّ يَصِدُّ بمعنى: يَضِجُّ ويضحك (جدلاً) أي: لأجل الجدل والمراء»[٦٣٤].

التفسير:

ذكر المفسرون: «أنه لَمَّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، قال عبدالله بن الزبعريّ: هذا خاصةٌ لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ: «بل لجميع الأمم» فقال: خصمتُك ورب الكعبة، ألست تزعم أنَّ عيسى بن مريم نبيٌّ وتثني عليه خيراً وعلى أمه، وقد علمت أنَّ النصارى يعبدونهما، واليهود يعبدون عزيراً، والملائكة يُعبَدُون، فإذا كان هؤلاء في النَّار فقد رضينا أنْ نكون نحن وآلهتنا

(٦٣١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩.

(٦٣٢) انظر الصحاح ج٢ ص٤٩٥.

(٦٣٣) انظر القاموس المحيط ص٢٦٥.

(٦٣٤) التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٥١.

معهم، فسكت النبي ﷺ، وفرح القوم وضحكوا، وَضَجُّوا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ونزلت هذه الآية أيضاً»[٦٣٥][٦٣٦].

في هذه الآية الكريمة يخبر المولى ﷻ عن تعنت كفار قريشٍ مع رسول الله ﷺ، وشدة كفرهم وعنادهم، وجدالهم الحقَّ بالباطل، ومعنى الآية: «ولمَّا ضَرَبَ ابن الزَبعريُّ عيسى ابنَ مريمَ مثلاً، وحاجَّك في عبادة النصارى له حيث قال: أليست النصارى تعبد المسيح وأنت يا محمد تقول: إنَّه كان نبيّاً وعبداً من عباد الله صالحاً، فإن كان في النَّار فقد رضينا أن نكون وآلهتنا مع عيسى بن مريم، وقد فرِحَتْ قريشُ بهذه المحَاجَّة وضحكوا وارتفعت أصواتُهم»[٦٣٧]، قال القرطبي: «ولو تأمل ابن الزبعريُّ الآية ما اعترض عليها لأنه قال: (وَمَا تَعْبُدُونَ) ولم يَقُل ومن تعبدون، وإنَّما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل، ولم يرد المسيح ولا الملائكة، وإن كانوا معبودين»[٦٣٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَصُدُّون) بضم الصاد أنَّ كفار قريش قد عدلوا وأعرضوا عمَّا جاء به النبي ﷺ، بعد ضرب ابن الزبعري عيسى ابنِ مريمَ مثلاً وحاجَّ النبيَّ ﷺ به، لأنَّ معنى: (يَصُدُّون) بضم الصاد، العدول والإعراض.

وأمَّا قراءة (يَصِدُّون) بكسر الصاد أفادت أنَّ كفار قريشٍ قد ضحكوا

(٦٣٥) انظر أسباب النزول للواحدي ص٢٨١ ـ ٢٨٢، قال السيوطي عنه: صحيح، ذكره الهيثمي في المجمع ج٧ ص١٠٤، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه عاصم بن بهدلة، وثقه أحمد وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر أسباب النزول للسيوطي ص٣٦١.

(٦٣٦) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٢٢٢، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤١١، أسباب النزول للواحدي ص٢٨٢.

(٦٣٧) التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٥٢.

(٦٣٨) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤١١.

وضجُّوا، وعلت أصواتُهم من احتجاج ابن الزبعريِّ بالمثل بعيسى عليه السلام، لأنَّ معنى ﴿يَصِدُّونَ﴾ بالكسر من الضجيج والصخب(٦٣٩).

قال ابن عاشورٍ: «(يَصُدُّون) بضم الصاد من الصُدُودِ، إمَّا بمعنى الإعراض والمعرض عنه محذوف لظهوره من المقام، أي: يُعرِضُون عن القرآن لأنَّهم أوهموا بجَدَلِهِمْ أنَّ في القرآن تناقضاً، وإما على أنَّ الضمَّ لغة في مضارع صدَّ بمعنى ضجَّ مثل لغة كسر الصاد، وهو قول الفراء والكسائي، وقرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، وحمزة، وحفصٌ عن عاصم، ويعقوب بكسر الصاد، وهو الصَدُّ بمعنى الضجيج والصَّخب، والمعنى إذا قريشٌ قومك يصخبون ويضُجُّون من احتجاج ابن الزبعريِّ بالمثل بعيسى»(٦٤٠).

وجاء في الجامع لأحكام القرآن: «من ضَمَّ فمعناه يعدلون، فيكون المعنى: من أجل الميل يعدلون، ولا يُعدَّى يصدون بمن، ومن كسر فمعناه يضجُّون فـ (من) متصلة بـ ﴿يَصِدُّونَ﴾، والمعنى: يضجُّون منه»(٦٤١).
«وقيل: إنهما لغتان بمعنى (يضجُّون)»(٦٤٢).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ كفار قريشٍ قد عدلوا وأعرضوا عمَّا جاء به النَّبي ﷺ من الحقِّ ولم يكتفوا بذلك الإعراض بل تعدَّوه إلى السخرية والضحك والضجيج فرحاً بمحاجَّةِ ابن الزبعريِّ ظنّاً منهم أنَّه غَلَبَ النَّبي ﷺ في محاجَّتِه.

---

(٦٣٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٠، معاني القراءات ج٢ ص٣٦٧، إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣٠١.

(٦٤٠) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣٣٨.

(٦٤١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤١١.

(٦٤٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٠، انظر جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٥٢.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون، ورَوْحٌ ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ﴾ بتحقيق الهمزتين، وألف بعدها.

٢ ـ قرأ الباقون (آلِهَتُنا خَيْرٌ) بهمزةٍ واحدةٍ بعدها مدَّةٌ أي: بالتسهيل(٦٤٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

الإله: هو الله ﷻ، وكلُّ ما اتُخِذَ من دونه معبوداً إلهٌ عند مُتَخِذِه، والجمع آلهةٌ، والآلهة: الأصنام، سَمُّوها بذلك لاعتقادهم أنَّ العبادة تُحَقُّ لها(٦٤٤).

والإلهيات: كل ما يتعلق بذات الإله وصفاته، والله: اسم علم على الإله المعبود بحقٍ، وأصله إله، دخلت عليه أل، ثم حذفت همزته وأدغم اللاَّمان(٦٤٥).

التفسير:

هذه الآية استكمالٌ للآية السابقة فبعد أن قرأ الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وجادلت قريشٌ رسول الله ﷺ في أمر هذه الآية وتَقدَّم ابن الزبعريِّ بمحاجَّتِه في عبادة النصارى لعيسى بن مريم، قال المشركون: ءألهتنا خير أم هو؟ ويقصدون بذلك: آلهتنا التي نعبدها خيرٌ أم المسيح عيسى بن مريم؟ فإن

(٦٤٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٠، تحبير التيسير ص٢٠٤.
(٦٤٤) انظر لسان العرب ج١٣ ص٤٦٧.
(٦٤٥) انظر المعجم الوسيط ص٤٥.

كان عيسى في النَّار فلتكن آلهتنا معه[٦٤٦]، وقيل: المقصود محمدٌ ﷺ على معنى أنَّهم قالوا: «يا محمد آلهتنا التي نعبدها خيرٌ أم محمدٌ فنعبدُ محمداً ونترك آلهتنا»[٦٤٧] وقوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما قالوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل والمكابرة في القول لا لطلب الحقِّ، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أي: شديدو الخصومة والجدال بالباطل[٦٤٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى، وإنما الاختلاف من حيث تحقيق الهمزة الثانية في كلمة (ءآلهتنا) أو تسهيلها، وأمَّا الهمزة الأولى، فالجميع متفقٌ على تحقيقها لأنَّها للاستفهام وعلى هذا يكون معنى القراءتين واحداً.

قال صاحب غيث النفع: «(ءآلهتنا) هذا ما اجتمع فيه ثلاث همزات لأنَّ أصله ءأألهة بهمزتين، الأولى مفتوحةٌ، والثانية ساكنةٌ، والثالثة همزة الاستفهام، وأجمعوا على إبدال الثالثة ألفاً لسكونها، وانفتاح ما قبلها، كما أبدلت في آدم وآمنوا، وأجمعوا، أيضاً على تحقيق الأولى التي للاستفهام واختلفوا في الثانية، فقرأ الكوفيون بتحقيقها، والباقون بالتسهيل، ولم يُدخل أحدٌ بينهما ألفاً، وكذلك لم يبدل أحدٌ ممن روى إبدال الثانية عن الأزرَق عن ورش في نحو ءأنذرتهم، بل اتفقوا على التسهيل، وورشٌ على أصلهِ من المدِّ والتوسط والقصر لأنَّه مما وقع فيه حرف المدِّ بعد الهمز، ولا يضرنا تغيره بالتسهيل إذ لا فرق في هذا الباب بين الهمز المُحَقَّق والمُغَيَّر»[٦٤٩].

---

(٦٤٦) انظر تفسير أبي السعود ج٥ ص٩٠.

(٦٤٧) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٥٣.

(٦٤٨) انظر التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٢٢٢.

(٦٤٩) غيث النفع في القراءات السبع ص٤٧٥، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٥٨.

وقال ابن عادل: «﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا﴾ قرأ أهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية، والباقون بتسهيلها بين بين، ولم يُدخل أحدٌ من القرَّاء الذين من قاعدتهم الفصل بين الهمزتين بألفٍ ألفاً كراهةً لتوالي أربع متشابهات، وأبدل الجميع الهمزة الثانية ألفاً، ولا بد من زيادة بيان، وذلك أنَّ آلهةً جمع إلهٍ كعمادٍ، وأعمدةٍ، فالأصل أألهةٌ، بهمزتين الأولى زائدة، والثانية فاء الكلمة، وقعت الثانية ساكنة بعد مفتوحة، فوجب قلبها ألفاً (كآمن وبابه) ثم دخلت همزة الاستفهام على الكل فالتقى همزتان في اللفظ، الأولى للاستفهام، والثانية همزة (أفعلة) فالكوفيون لم يعتدُّوا باجتماعهما، فأبقوهما على ما لهما، وغيرهم استثقل فخفف الثانية بالتسهيل بين بين، والثالثة ألفٌ محضَةٌ لم تغير البتَّة»[٦٥٠].

١٦ ـ قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٨].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (خَوْفَ) بالفتح بدون تنوين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿خَوْفٌ﴾ بالضَّم مع التنوين[٦٥١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الخوف: الفزع، يقال: خَافَ يَخَافُ خَوْفاً وخَيْفاً ومخافَةً وخِيفةً بالكسر، وهو: انفعالٌ في النَّفس يحدث لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب، والخوفُ أيضاً بمعنى: القتل، قيلَ: ومنه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ [البقرة: ١٥٥][٦٥٢].

---

(٦٥٠) اللباب ج١٧ ص٢٨٣.

(٦٥١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٧، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٢.

(٦٥٢) انظر القاموس المحيط ص٧٢٨، المعجم الوسيط ص٢٨٦.

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن حال المؤمنين الأخلاء المتحابِّين في الله يوم القيامة وخطاب الله تعالى المؤمنين تطميناً وتأنيساً لهم بنفي الخوف والحزن عنهم، فيقول: «يا عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم من عقابي فإنِّي قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا، فإنَّ الذي قد متم عليه خيرٌ لكم ممَّا فارقتموه منها»(٦٥٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (لا خوفَ) بالفتح دون تنوين تفيد نفي جنس الخوف مطلقاً عن المؤمنين بأيِّ حال من الأحوال، وبأيِّ وجهٍ من الوجوه بأن يقع بهم أي مكروهٍ أو عقابٍ من الله تعالى على غرار أهل الضلال في الآخرة، «لأنَّ (لا) إذا دخلت على النكرة دلت على نفي الجنس، وأنَّها إذا بُني الاسم بعدها على الفتح كان نفي الجنس نصاً، وإذا لم يبنَ الاسم على الفتح كان نفي الجنس ظاهراً مع احتمال أن يُراد نفي واحدٍ من ذلك الجنس إذا كان المقام صالحاً لهذا الاحتمال»(٦٥٤). وفي هذه القراءة (لا) نافية للجنس فهي تعمل عمل (إنَّ) من نصب المبتدأ ورفع الخبر، وهي تفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نصاً، أي نفياً عامّاً على سبيل الاستغراق، لا على سبيل الاحتمال(٦٥٥).

وأمَّا قراءة ﴿لَا خَوْفٌ﴾ بالضَّم مع التنوين فقد تفيد نفي الخوف الواحد، أو نفي المجموع عنهم احتمالاً لا نصاً، لأنَّ (لا) في هذه القراءة لا النافية العاملة عمل ليس، فهي تعمل عمل الأفعال الناسخة، واسمها (خوفٌ) نكرة مرفوعٌ، وهذا شرطٌ لعملها عمل ليس، وهي تفيد احتمال نفي

---

(٦٥٣) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٥٧.

(٦٥٤) التحرير والتنوير م٦ ج١١ ص٢١٦، عند تفسيره للآية (٦٢) من سورة يونس.

(٦٥٥) انظر موسوعة الحروف في اللغة العربية للدكتور إميل يعقوب ص٣٨٤.

الواحد أو نفي الجنس[٦٥٦]. وأمَّا ابن عاشورٍ فيعتبر أنَّ القراءتين برفع اسم (لا) أو بنائه على الفتح متساويتان في الدلالة في هذا الموضع، لأنَّ النفي وقع في أجناس المعاني لا في أجناس الذوات، فما ذكر سابقاً ينطبق على الأجناس التي لها أفراد من الذوات مثل رجلٍ[٦٥٧].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين تكون القراءة الأولى بالفتح مبيّنة للقراءة الثانية بالضَّم: أنَّ الله تعالى نفى مطلق الخوف عن المؤمنين، الواحد والمجموع، في الحال وفي المستقبل، فلا خوفٌ عليهم في أيِّ حالٍ من الأحوال وبأيِّ وجهٍ من الوجوه وفي أيِّ وقتٍ من الأوقات.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١﴾ [الزخرف: ٧١].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن عامر، وحفص ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ بزيادة هاء ضمير المذكر بعد الياء.

٢ ـ قرأ الباقون (تَشْتَهِي) بحذف الهاء[٦٥٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

«أصل الشَّهْوَة: نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان: صادقةٌ، وكاذبةٌ، فالصادقة: ما يختل البدن من دونه، كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة: ما لا يختل من دونه، وقد يسمى المشتهى شهوةً، وقد يقال للقوة التي تشتهي الشيء: شهوة»[٦٥٩].

---

(٦٥٦) انظر شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبدالحميد م١ ج٢ ص٥.
(٦٥٧) انظر التحرير والتنوير م٦ ج١١ ص٢١٦، عند تفسيره للآية (٦٢) من سورة يونس.
(٦٥٨) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٥.
(٦٥٩) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٦٨.

وشهيَ الشيء، وشهاهُ يشهاهُ شهوةً، واشتهاهُ، وتَشَهَّاهُ، أحبَّه ورَغب فيه، وقوله ﷻ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، أي: يرغبون فيه من الرجوع إلى الدنيا(٦٦٠).

التفسير:

تصف الآية الكريمة الحالة التي يكون عليها المؤمنون في الجنَّة، وما أعدَّ الله تعالى لهم من أنواع النعيم الدائم الذي لا ينقطع، ومنه: أنَّه يطوف عليهم ولدانٌ صباح الوجوه بآنيةٍ وأكوابٍ من ذهبٍ، وفيها كلُّ ما لذَّ وطاب، وما تشتهيه أنفسهم، ويخطر على بالهم، وما لا يخطر على بالهم، وتلذه أعينهم بالنظر إليه.

قال الطبرسي: «﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ أي: بقصاع ﴿مِّن ذَهَبٍ﴾ فيها ألوان الأطعمة ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أي: كيزان لا عرى لها، وقيل بآنيةٍ مستديرةِ الرأس، اكتفى سبحانه بذكر الصحاف والأكواب عن ذكر الطعام والشراب ﴿وَفِيهَا﴾ أي: وفي الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾ من أنواع النعيم المشروبة والمطعومة، والملبوسة، والمشمومة، وغيرها ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ أي: وما تلذه العيون بالنظر إليه، وإنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين، وإنما الملتذ على الحقيقة هو الإنسان لأنَّ المناظر الحسنة سببٌ من أسباب اللّذة فإضافة اللّذة إلى الموضع الذي يلذ الإنسان به أحسن، لما في ذلك من البيان مع الإيجاز، وقد جمع الله سبحانه بقوله ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ فلَو اجتمع الخلائق كلهم على أنْ يصفوا ما في الجنة من أنواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمته هاتان الصفتان ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة وأنواع من الملاذ ﴿خَالِدُونَ﴾ أي: دائمون مؤبدون»(٦٦١).

(٦٦٠) انظر لسان العرب ج١٤ ص٤٤٥.

(٦٦١) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٩٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

على قراءة ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ تكون هاء الضمير في محل نصب مفعول به عائدةً إلى (ما) الموصولة بمعنى الَّذي وحجة من قرأها قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ولم يقل يتخبط.

وأما قراءة (تشتهي) فقد حذفت الهاء للاختصار، ومثاله كثيرٌ في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، ولم يقل: بعثه الله(٦٦٢).

وعلى هذا فالقراءتان بمعنىً واحدٍ على رأي بعض أهل التفسير، قال الطبري: «واختلف القراء في قراءة قوله ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ فقرأته عامَّة قرَّاء العراق تشتهي بغير هاء، وكذلك هو في مصاحفهم، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان بمعنىً واحدٍ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ»(٦٦٣).

إلَّا أنَّ الباحث يرى أنَّ إلحاق هاء الضمير بالفعل (تَشْتَهِي) لها دلالاتٌ على المعنى، فالضمائر أعرف المعارف، تفيد التعريف، وعليه فإن الضمير في ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ تفيد حصر أنواع النعم المشتهاة في النفوس من الأشياء المعقولة والمسموعة والملموسة وغيرها من الأشياء المعروفة لديه.

قال البقاعي: «ولمَّا كانت اللذة محصورةً في المشتهى قال تعالى: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ من الأشياء المعقولة والمسموعة والملموسة وغيرها جزاءً لهم على ما منعوا أنفسهم من الشهوات في الدنيا»(٦٦٤). وقال الزمخشري: «وقرئ تشتهي، وتشتهيه وهذا حصر لأنواع النعم لأنَّها إمَّا مشتهاةٌ في القلوب وإمَّا مستلذةٌ في العيون»(٦٦٥).

(٦٦٢) انظر حجة القراءات ص٦٥٤.
(٦٦٣) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٥٨.
(٦٦٤) نظم الدرر ج٧ ص٥١.
(٦٦٥) الكشاف ج٣ ص٤٩٩، انظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ج٩ ص١٠٥.

ويُحتمل أنَّ هاء الضمير خصصت الشهوة بما لا يتعارض مع حكمة الله تعالى بحيث إنه لا يظن امرؤٌ بأن كل ما يخطر على باله في الدنيا وتشتهيه فهو مشتهىً له في الآخرة ومتحققٌ، فمثلاً لا يشتهي الإنسان في الآخرة شيئاً من مناهي الشريعة الإسلامية كفعل فاحشةٍ أو غيرها، قال حقّي: «﴿وَفِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾ من فنون الملاذ والمشتهيات النفسانية كالمطاعم والمشارب والمناكح والملابس والمراكب ونحو ذلك، قال في (الأسئلة المُقحَمة): أهل الجنَّة هل يعطيهم الله جميع ما يسألونه وتشتهي أنفسهم، ولو اشتهت نفوسهم شيئاً من مناهي الشريعة كيف يكون حاله، والجواب معنى الآية: أنَّ نعيم الجنة كله مما تشتهيه الأنفس، وليس فيها ما لا تشتهيه النفوس، ولا تصل إليه، وقد قيل يعصم الله أهل الجنة من شهوةٍ محالٍ أو منهي عنه، يقول الفقير: دل هذا على أنَّه ليس في الجنَّة اللُّواطة المحرمة في دبر امرأته فليس فيها اشتهاء اللُّواطة لكونها مخالفةً للحكمة الإلهية... وأمَّا الخمر فليست كاللُّواطة لكونها حلالاً على بعض الأمم، والحاصل أنه ليس في الجنة ما يخالف الحكمة كائناً ما كان، ولذا تستتر فيها الأزواج عن غير محارمهنَّ، وإنْ كان لا حل ولا حرمة هناك»[٦٦٦].

وممَّا يؤيد قصر الشهوة على ما لا ينافي حكمة الله تعالى، حديث رسول الله ﷺ الذي أورده ابن خالويه في كتابه: «سأل أعرابيٌّ رسول الله ﷺ فقال: إنِّي سمعتُ الله يقول: وفيها ما تشتهي الأنفس، وإنِّي رجلٌ أشتهي النوم فهل في الجنة نومٌ؟ فقال عليه السلام: إنَّ النَّوم أخو الموت، ولا موت في الجنَّة[٦٦٧]»[٦٦٨].

وفي هذا الحديث دليلٌ على أنَّه ليس كل ما يشتهيه الإنسان في الدنيا فهو مشتهىً له في الآخرة.

(٦٦٦) روح البيان في تفسير القرآن ج٨ ص٤٣٢ ـ ٤٣٣.

(٦٦٧) أخرجه أبو نعيم في مصنفه، باب صفة الجنة: ج٢ ص٥٧.

(٦٦٨) إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣٠٤.

وأمَّا قراءة (تشتهي) بدون هاء الضمير فإنها أفادت العموم بدون تخصيصٍ للشهوة ولا حصرٍ لأنواع النعم على معنى: أنَّ في الجنة كل ما تشتهي النفس من الأشياء المعلومة والمعروفة، وغير المعروفة فجاءت القراءة بهاء الضمير ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ لتفيد تخصيص العموم بما لا يتعارض مع الحكمة الإلهية.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر أنّ في الجنة كل ما تشتهي الأنفس من متاعٍ ونعم تخطر على بال الإنسان من الأشياء المعروفة لديه والمشتهيات في النفوس بدون انقطاعٍ على الدوام، يعطيه الله تعالى لمن سأله واشتهاه، وكل ذلك في حدود ما لا يخالف حكمة الله تعالى وفيما أجازه من شهوةٍ للإنسان، والله تعالى أعلم.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الزخرف: ٨١ ـ ٨٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي (وُلْدٌ) بضم الواو وإسكان اللاَّم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَلَدٌ﴾ بفتح الواو واللاَّم[٦٦٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

الوَلَد: كُلُّ ما وُلِدَ، ويُطلَقُ على الذكر والأنثى والمثنى والجمع، وتجمع على أولادٍ، وَوِلْدَة، وِإلْدَة، وَوُلْدِ بالضم[٦٧٠].

---

(٦٦٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٧، البدور الزاهرة ص٤٠٣.

(٦٧٠) انظر القاموس المحيط ص٢٩٥، المعجم الوسيط ص١٠٩٩.

التفسيـر:

يأمر الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ أنْ يخاطب الكفار الذين يعبدون الملائكة ويزعمون أنَّهم بنات الله، ويعبدون المسيح ويزعمون أنَّه ابن الله، وذلك على سبيل التهكم والتقريع، قائلاً لهم إن كان لله ولدٌ كما تزعمون في قولكم، فأنا أول من عَبَدَ الله وحده، لأن من عَبَدَ الله وحده فقد دفع أن يكون له ولدٌ، هذا على أحد الأقوال، والمعنى: ما كان للرحمن ولدٌ. وقيل: المعنى: قل يا محمد: إنْ ثبت لله ولدٌ فأنا أول من يعبد الولد الذي تزعمون ثبوته، لأنَّ تعظيم الولد تعظيمٌ للوالد، ولكنه يستحيل أن يكون له ولدٌ، وفيه نفيٌ للولد على أبلغ وجهٍ وأتمِّ عبارةٍ وأحسن أسلوبٍ، ولا سبيل إلى اعتقاد ذلك[٦٧١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (وَلَدٌ) بفتح الواو واللاَّم، تفيد الجنس لأنَّها تصلح للإفراد والجمع، لادعائهم في عيسى أنَّه ابن الله، وفي الملائكة أنَّها بنات الله.

وأمَّا قراءة (وُلْدٌ) بضم الواو وإسكان اللاَّم، فإنَّها تفيد إرادة الجمع على الكثرة، فتكون قد جمعت كل ما يدَّعون لله من ولد.

قال البقاعي: «قل إن كان للرحمن ولدٌ كما زعمتم، والمراد به الجنس لادعائهم في الملائكة، وغَيْرُهُم في غَيْرِهِم، وقراءة حمزة، والكسائي، بضم ثمَّ سكون على أنَّه جمعٌ على إرادة الكثرة»[٦٧٢].

وقال د. محمد محيسن: «قرأ حمزة، والكسائي، بضم الواو وسكون اللاَّم جمعُ (ولَدٍ) مثل (أَسَدٌ، وأُسْدٌ). وقرأ الباقون بفتحهما اسم مفردٍ قائمٌ مقام الجمع»[٦٧٣]. وقيل: إنَّ (الوَلَدَ) بالفتح الابن، والابنة، و(الوُلْدُ) بالضَّم

---

(٦٧١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٢٥، فتح القدير ج٤ ص٧٩٢.

(٦٧٢) نظم الدرر ج٧ ص٥٥ بتصرفٍ يسيرٍ.

(٦٧٣) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٦٩.

الأهل[٦٧٤].

الجمع بين القراءات:

القراءة الثانية (وُلْدٌ) جاءت لتبيِّنَ أنَّ المقصود هو إرادة الجمع وليس الإفراد على أنَّ ليس لله الابن كما يزعمون في عيسى عليه السلام، وليس له البنات كما يزعمون في الملائكة، وليس له الأهل كما يزعم غيرهم، فهو منزَّهٌ عمَّا يصفونه من الولد، والأهل.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الزخرف: ٨٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفرٍ (يَلْقَوا) بفتح الياء التحتية وإسكان اللأم بلا ألفٍ وفتح القاف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُلَـٰقُوا۟﴾ بضم الياء وإثبات الألف وضم القاف[٦٧٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

اللقاء: هو: «مقابلة الشيء ومصادفته معاً، وقد يُعَبَّرُ به عن كل واحدٍ منهما، يقال: لقيتُه، يلقاه لقاءً ولقياً ولقيه، ويقال: ذلك في الإدراك بالحس وبالبصر، والبصيرة»[٦٧٦].

وتقول: لاقيتُ بين طرفي قضيبٍ أي: حَنَيْتُه حتى تلاقيا والتقيا، وكلُ شيءٍ استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه من الأشياء كلها، واللَّقِيَّان: كل شيئين يلقى أحدهما صاحبه فهما لَقِيَّان[٦٧٧].

(٦٧٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٩٢.
(٦٧٥) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٧، تحبير التيسير ص٢٠٤.
(٦٧٦) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٤٥.
(٦٧٧) انظر لسان العرب ج١٥ ص٢٥٤.

التفسير:

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ بأن يترك كفار مكة حين كذَّبوا بعذاب الآخرة، يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم كما يشاءون ويحبون حتى يُلاقُوا يومهم الذي يوعدون، وهو يوم القيامة، بما فيه من عذاب شديد بسبب كفرهم وتكذيبهم نبيِّهم ﷺ(٦٧٨)، والمقصود من هذا الخطاب التهديد والوعيد لكفار قريش، كما قال المراغي: «ولا يخفى ما في هذا من شديد الوعيد والتهديد»(٦٧٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَلْقَوا) أنَّهم يلقون هذا اليوم الذي توعدهم الله تعالى به يوم القيامة وما فيه من عذابٍ ونكالٍ مدفوعين إليه بذاتهم ومن تلقاء أنفسهم منساقين إليه.

وأما قراءة ﴿يُلَٰقُوا۟﴾ أفادت أنهم يلاقون هذا اليوم بما فيه من عذابٍ شديدٍ مدفوعين إليه بغيرهم، أي: بقوة خارجية تدفعهم لذلك على غير إرادتهم، حيث إنَّ فعل (يُلاقوا) من صيغ المفاعلة التي تدل على اشتراك أكثر من طرف في الفعل، أو تدل على الملاقاة بين الطرفين بالقدر نفسه بحيث يكون الكفار مدفوعين للقاء العذاب، ويكون العذاب مدفوعاً إليهم، وفي هذا دلالةٌ على شدة العذاب الذي سيلاقونه يوم القيامة، وفي ذلك زيادة تهديدٍ ووعيدٍ لهم، «قال سيبويه: اعلم انك إذا قلت فاعلتُه فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته، وهذا يعني اشتراك طرفي الفعل في المفاعلة في معنى الفاعلية والمفعولية، فيكون البادئ فاعلاً صريحاً والثاني مفعولاً صريحاً، ويجيء العكس ضمناً أي: الغرض من ألف المفاعلة اقتسام الفاعلية والمفعولية في اللفظ والاشتراك فيهما من حيث المعنى»(٦٨٠).

---

(٦٧٨) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٢٦.
(٦٧٩) تفسير المراغي ج٩ ص١١٥.
(٦٨٠) أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية ص٥٤، دكتورة نجاة عبدالعظيم الكوفي.

وقال أ. د. حمد الحملاوي: «فَاعَلَ يكثر استعماله في معنيين، إحداهما: التشارك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً، فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية»(٦٨١).

ويحتمل إضافةً لما سبق ذكره، أنَّ قراءة (يَلْقَوا) تدل على سرعة لقاء العذاب لهؤلاء الكفار في الدنيا كما حصل معهم في غزوة بدرٍ.

وأمَّا قراءة ﴿يُلَٰقُوا۟﴾ تدل على طول فترة الإمهال لهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون في الآخرة، لأنَّ المد يدل على طول زمن الفعل، وفي ذلك زيادة تهديدٍ أيضاً لتذهب نفوسهم كل مذهبٍ ممكن.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَ الله تعالى يتوعد هؤلاء الكفار بملاقاة العذاب مدفوعين إليه منساقين بسهولةٍ ويسرٍ على غير إرادتهم، فمنهم من يلقى عذابه سريعاً في الدنيا والآخرة، ومنهم من يطيل الله في إمهاله حتى إذا أخذه لم يفلته فيلاقي أشدَّ العذاب في الآخرة والله تعالى أعلم.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف: ٨٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ، ورويسٌ (يُرْجَعُون) بياء الغيب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بتاء الخطاب(٦٨٢).

---

(٦٨١) شذا العرف في الصرف ص٤٠، للأستاذ الدكتور أحمد الحملاوي.

(٦٨٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٠، تحبير التيسير ص٢٠٤.

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٢١) من سورة فُصِّلت[٦٨٣].

التفسير:

يَرُدُّ الله تعالى في هذه الآية الكريمة على مَنْ ادَّعى لله تعالى الولدَ، ووصفه بما لا يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، فأثبت لنفسه ما لا ينبغي لغيره، ويُستحال لهم، ونَزَّه نفسه عن العيوب والنقائص، فهو خالق السموات والأرض، وصاحب الأمر فيهما، وهو وحده الذي يعلمُ متى تقوم الساعة، ويُبعثُ الناس من قبورهم ليُجازَى كلٌ بعمله الذي اكتسبه في الدنيا، فإنْ كان خيراً فخيرٌ، وإنْ كان شرّاً فشرٌ.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وتبارك الذي له سلطان السموات السبع، والأرض وما بينهما من الأشياء كلها، جارٍ على جميع ذلك حكمه، ماضٍ فيهم قضاؤه، يقول: فكيف يكون له شريكاً من كان في سلطانه، وحكمه فيه نافذٌ ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب، قوله ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: وإليه أيها النَّاس تُرَدُّون من بعد مماتكم، فتصيرون إليه، فيجازِي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته»[٦٨٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُرْجَعُون) بياء الغيب بالمبني للمفعول أنَّ الإخبار واقعٌ من الله تعالى عن هؤلاء المشركين، أنَّهم راجعون إلى الله تعالى يوم القيامة بأيسرِ أمرٍ وبدون كُلفةٍ ليُحَاسَبوا على أعمالهم في الدنيا[٦٨٥].

---

(٦٨٣) انظر ص٩٨ من هذا البحث.
(٦٨٤) جامع البيان م١١ ص٢٥ ص٦٢.
(٦٨٥) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢١٤.

وأمَّا قراءة ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بتاء الخطاب بالمبني للمفعول أفادت على رأي بعض أهل التفسير أنَّ الخطاب موجهٌ إلى الرسول ﷺ بأن يقول لهم ذلك، قال مكي بن أبي طالب: «وقرأ الباقون بالتاء على المخاطبة، على معنى: قل لهم يا محمد: إلى الله ترجعون»(٦٨٦).

واعتبر بعض العلماء القراءة الثانية هي للالتفات من الغيبة إلى الخطاب للتهديد وعليه فإن المخاطبين هم المجرمون المذكورون وفي هذه القراءة التهديد أشدُّ وأبلغُ لأنَّ العتاب بالمواجهة أشدُّ تأثيراً وأدَلُّ على شدة الغضب(٦٨٧).

قال البقاعي: «وقراءة الجماعة وهم من عدا ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وورش عن يعقوب بالخطاب أشدُّ تهديداً من قراءة الباقين، وأدلُّ على تناهي الغضب على من لا يقبل إليه بالمتاب بعد رفع كل ما يمكن أنْ يتسبب عنه ارتيابٌ»(٦٨٨)، وقال بعض العلماء: يجوز أن يراد به الغيب والمخاطبون فيغلب الخطاب على الغيبة فيكون الغيب مرادين مع غيرهم(٦٨٩).

وقال حقِّي: «الالتفات للتهديد، أي: تردُّون للجزاء فاهتموا بالاستعداد للقائه قال بعض الكبار وإليه تُرْجَعون بالاختيار والإضطرار فأهل السعادة يَرْجِعُون إليه بالاختيار على قدم الشوق والمحبة والعبودية، وأهل الشقاوة يَرْجِعُون إليه بالاضطرار بالموت بالسلاسل والأغلال يُسْحَبُون على وجوههم إلى النَّار»(٦٩٠).

(٦٨٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٢.
(٦٨٧) انظر حاشية القونوي ج١٧ ص٣٦٢، روح المعاني ج٢٥ ص١٠٧.
(٦٨٨) نظم الدرر ج٧ ص٥٨.
(٦٨٩) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٢، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٢.
(٦٩٠) روح البيان في تفسير القرآن ج٨ ص٤٤١.

الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين على المبني للمجهول تدلان على أن الجميع راجعٌ إلى الله تعالى على وجه التأكيد ليجازى كلٌ بعمله، وذلك يتم بأيسر أمرٍ وأسهل شأنٍ دون كلفةٍ على الله تعالى سواءً رغبوا بذلك أم لم يرغبوا، وبالجمع بين القراءتين فالخطاب يعمُّ الجميع من الحاضرين من كفار قريشٍ على وجه التهديد والوعيد، وغيرهم من الغائبين تحذيراً لهم من أن يبقوا على كفرهم أو أن يفعلوا مثلهم، أو إخباراً عمَّن قضى منهم، والله تعالى أعلم.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨﴾ [الزخرف: ٨٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، وعاصم ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بخفض اللام، وكسر الهاء.

٢ ـ قرأ الباقون (قِيلَهُ) بفتح اللَّام وضم الهاء[٦٩١].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لها عند تفسير الآية (٢٤) من هذه السورة[٦٩٢].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن علم الله تعالى بشكوى رسول الله ﷺ قومه إلى ربه بأنَّهم تخلفوا عن الإيمان بالله تعالى وحده وكذَّبوا به وبرسالته وبما أنزل عليه، وهذه الشكوى صدرت منه ﷺ بعد ما ضَجِر منهم وعرف إصرارهم على الكفر والعناد.

قال الزحيلي: «ثم أعلن الله تعالى علمه بشكوى النبي ﷺ من إعراض

(٦٩١) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٠، تحبير التيسير ص٢٠٤.

(٦٩٢) انظر ص١٦٨ من هذا البحث.

قومه قائلاً: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: ويعلم الله تعالى علم الساعة، وقول النبي ﷺ وشكواه إلى ربه من قومه الذين كذَّبوه: يا رب إنَّ هؤلاء القوم الذين أرسلتني إليهم قومٌ لا يؤمنون، ولا يصدقون بك، ولا برسالتي إليهم، كما أخبر تعالى في آية أخرى ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠][٦٩٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف علماء التفسير والقراءات فيما تفيده كل قراءة من القراءتين السابقتين على عدة أوجهٍ فذكر مكي بن أبي طالبٍ خمسة أوجهٍ لقراءة النصب وهي جميع ما ذكره العلماء ووجهاً واحداً لقراءة الكسر، وغيره زاد عليه في قراءة الكسر وجهاً آخر، فقال: «وحجة من قرأ بالنَّصب أنه يَنْصُب (قِيلَه) على أحد خمسة أوجهٍ: الوجه الأول: أنَّه معطوفٌ على مفعول (يكتبون) المحذوف، تقديره: ورُسُلنا لديهم يكتبون ذلك وقيله يا رب[٦٩٤]، والوجه الثاني: أنْ يكون معطوفاً على مفعول (تعلمون) المحذوف، تقديره: إلَّا من شهد بالحق وهم يعلمون الحق وقيلَه، أي: يعلمون قيلَه يا رب[٦٩٥]، والوجه الثالث: أنْ يكون معطوفاً على قوله ﴿سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾ أي: نسمع سِرَّهم ونَجْواهم ونسمع قيلَه يا رب[٦٩٦]. والوجه الرابع: أنْ يكون معطوفاً على موضع الساعة، في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، لأنَّ معناه: يعلمُ الساعة ويعلمُ قيلَه[٦٩٧]، والوجه الخامس: أنْ ينتصب على

---

(٦٩٣) التفسير المنير ج٢٥ ص١٩٨.

(٦٩٤) انظر البحر المحيط ج٨ ص٣٠، فتح القدير ج٤ ص٧٩٥.

(٦٩٥) انظر المرجعين السابقين ج٨ ص٣٠، ج٤ ص٧٩٥.

(٦٩٦) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٣، الكشاف ج٣ ص٤٩٨، زاد المسير ص١٢٨٦، الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٢٩.

(٦٩٧) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٢، الكشاف ج٣ ص٤٩٨، زاد المسير ص١٢٨٥، روح المعاني ج٢٥ ص١٠٨.

المصدر كأنّه قال: ويقول قيلَهُ[698].

«وحجة من خفضه أنّه على لفظ الساعة، أي: وعنده علمُ الساعة وعلمُ قيلِهِ يا ربِّ، أي: ويعلمُ وقت قيام الساعة، ويعلم قوله وتضرعه»[699]، وذكر ابن عاشور وجهاً آخر إلى قراءة الكسر فقال: «(قيله) يجوز في جرِّه وجهان: أحدهما أن يكون عطفاً على الساعة في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: وعلمُ قِيْل الرسول: يا ربِّ، وهو على هذا وعد للرسول بالنصر وتهديدٌ لهم بالانتقام، وثانيهما: أن تكون الواو للقسم ويكون جواب القسم جملة ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ على أنَّ الله أقسم بقول الرسول: يا رب تعظيماً للرسول ولِقِيلِه الذي هو تفويضٌ للرَّبِّ وثقةٌ به»[700].

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨٩].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان وابن عامرٍ (فَسَوفَ تَعْلَمُونَ) بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بياء الغيب[701].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٣٥) من سورة الشورى[702].

---

(٦٩٨) انظر معاني القراءات ج٢ ص٣٦٩، الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٢، التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٧٢.

(٦٩٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٢ ـ ٢٦٣، انظر فتح القدير ج٤ ص٧٩٥.

(٧٠٠) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٧٣، انظر البحر المحيط ج٨ ص٣٠.

(٧٠١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٠، تحبير التيسير ص٢٠٥.

(٧٠٢) انظر ص١٤٣ من هذا البحث.

التفسير:

بعد أن أخبر الله تعالى عن علمه بشكوى رسول الله ﷺ قومَه إليه بسبب كفرهم وإصرارهم على عداوته، أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالإعراض عنهم، ونبذ إشراكهم قائلاً: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٨٩﴾، أي: اصفح عن المشركين صفح المغاضب لا الموافق المجامل، وأعرض عمَّا يقولون، وما يرمونك به من السِّحر والكَهَانة، واصبر على دعوتهم إلى أنْ يأتي أمرُ الله، وقل: أمري معكم مسالمةٌ ومتاركةٌ إلى حين، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم، وهذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ من الله لهم، ووعدٌ ضمنيٌ بنصر الإسلام والمسلمين عليهم[٧٠٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: (فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ) بتاء الخطاب على رأي أهل التفسير أنَّ الخطاب موجهٌ إلى سيدنا محمدٍ ﷺ، على معنى قل لهم يا محمد: (سَلامٌ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ)، قال الطبري: «واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾، فقرأ ذلك عامَّةُ قرَّاء المدينة (فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ) بالتاء على وجه الخطاب بمعنى: أمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ أن يقول ذلك للمشركين مع قوله سلامٌ»[٧٠٤].

وفي قراءة (فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ) بالخطاب مبالغةٌ وشدةٌ في التهديد والوعيد لكفار قريشٍ لأنَّ التهديد بالمواجهة أشد تأثيراً وأدلُّ على تناهي الغضب وشدته[٧٠٥].

وأمَّا قراءة ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ بالغيب فإنَّها تفيد الإخبار من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بأنهم سوف يعلمون يوم يلاقون العذاب، عاقبة إجرامهم

---

(٧٠٣) انظر التفسير المنير ج٢٥ ص١٩٨.

(٧٠٤) جامع البيان م١٠ ج٢٥ ص٦٣، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٣، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ص٣٦٨.

(٧٠٥) انظر نظم الدرر ج٧ ص٦.

وكفرهم، وفي هذه القراءة تهديدٌ ووعيدٌ أيضاً للكافرين، قال الطبري: «وقرأته عامة قراء الكوفة، وبعض قراء مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء على وجه الخبر وأنه وعيدٌ من الله تعالى للمشركين، فتأويله على هذه القراءة فاصفح عنهم يا محمد وقل سلامٌ، ثم ابتدأ تعالى ذكره الوعيد لهم فقال فسوف يعلمون ما يلقون من البلاء، والنكال، والعذاب على كفرهم»(٧٠٦).

وقال ابن عاشورٍ: «وقرأه الجمهور بياءٍ تحتيةٍ على أنه وعدٌ من الله لرسوله ﷺ بأنه منتقمٌ من المكذبين»(٧٠٧).

الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان ثبوت التهديد والوعيد لكفَّار قريش، إلَّا أنَّ قراءة (تعلمون) بالخطاب أشدُّ تهديداً وأبلغ في التهويل من قراءة (يعلمون) بالغيب، لأنَّ العتاب بالمواجهة أشد تأثيراً وأدلُّ على شدة الغضب(٧٠٨).

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: قل يا محمد لكفار قريشٍ تهديداً لهم إنَّكم سوف تعلمون يوم القيامة عاقبة جرمكم وكفركم عندما تلاقون أشد العذاب كما سيعلم غَيْرُهم من الكفَّار والظالمين عاقبة ظلمهم وكفرهم يوم القيامة.

(٧٠٦) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٦٣، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٣٠.

(٧٠٧) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٧٤.

(٧٠٨) انظر حاشية القونوي ج١٧ ص٣٦٢، عند تفسيره للآية (٨٥) من هذه السورة.

المبحث الثالث
عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الدخان
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ⑦﴾ [الدخان: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بخفض الباء.

٢ ـ قرأ الباقون (رَبُّ السَّمَواتِ) برفع الباء[٧٠٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرَّبُّ: اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال الرَّبُّ في غير الله تعالىإلَّابالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك، وتقول: الله رَبُّ كلِّ شيءٍ أي: مالكه ومستحقُه وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو ربُّ الأرباب، ومالكُ الملوك.

ويُقال لكلِّ من مَلَك شيئاً، هو ربُّه، فيقال: هو رَبُّ الدَّابة، وربُّ الدَّار، وربُّ البيت.

(٧٠٩) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، تحبير التيسير ص٢٠٥.

والرَّبُّ في اللغة يطلق على المالك، والسَّيِّد، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم[710].

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن حقيقة مصدر القرآن الكريم الذي لا ينبغي إلَّا لله العظيم الذي له أجلُّ الصفات وأعظمها وهو مالك هذا الكون كله وهو ربُّ السموات والأرض وما بينهما من الأشياء كلِّها، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: الذي أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمةً من ربك مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلِّها، وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أنَّ ربَّكم ربُّ السموات والأرض، فإنَّ الذي أخبرتكم أنَّ الله هو الذي هذه الصفات صفاته وأن هذا القرآن تنزيله ومحمداً ﷺ رسولُه حقٌّ يقينٌ فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء وغيرِه»[711].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ نَحْوِيةٌ والمعنى متقاربٌ بينهما، حيث إنَّ كل قراءة كان لها أثرها في الإعراب، فعلى قراءة (رَبُّ) بالرفع يكون إعرابها على أحد ثلاثة أمورٍ:

- إمَّا أن يكون خبراً لمبتدأٍ محذوفٍ، والمعنى: (هُوَ ربُّ السموات والأرض).

- وإمَّا أن يكون مبتدأً وخبره جملة (لا إلهَ إلَّا هُوَ).

- وإمَّا أن يكون بدلاً من (السَّميعُ العَليمُ) والمعنى: (الذي أَنْزَلَ القُرْآنَ هُو السَّمِيعُ العَلِيمُ، وهو ربُّ السموات والأرض).

(٧١٠) انظر لسان العرب ج١ ص٣٩٩، مفردات ألفاظ القرآن ص٣٣٦.

(٧١١) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٦٦.

وأمّا على قراءة (ربِّ) بالكسر يكون إعرابها على أحد أمرين:

- إمّا بدلاً من (ربِّكَ) والمعنى: (رحمةً من ربِّ السموات والأرض)[٧١٢].

- وإمّا نعتاً من (ربِّكَ) أيضاً والمعنى: (رحمةً من ربك، ربِّ السموات والأرض)[٧١٣].

قال مكي ابن أبي طالب: «قوله: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قرأه الكوفيون بخفض (رَبِّ) على البدل من (رَبِّكَ) المتقدم، وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء، قطعوه ممّا قبله، وخبره الجملة التي بعده، قوله: (لا إله إلا هو)، ويجوز رفعه على إضمار مبتدإٍ، أي: هو ربُّ السموات»[٧١٤].

٢ - قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٦].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر (يومَ نَبْطُشُ) بضم الطاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿نَبْطِشُ﴾ بكسر الطاء[٧١٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

البَطْشُ: أخذُ الشيء بقوةٍ وعنفٍ[٧١٦]، «ويقال: بَطَشَ به بَطْشاً: أخذه بالعنف، وفي التنزيل ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، ويُقال:

(٧١٢) انظر فتح القدير ج٤ ص٧٩٩، التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٨٣، مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١٠٦.

(٧١٣) انظر فتح القدير ج٤ ص٧٩٩.

(٧١٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٤.

(٧١٥) المبسوط ص٢٤٦، انظر البدور الزاهرة ص٤٠٤.

(٧١٦) انظر القاموس المحيط ص٥٢٦.

بَطَشَتْ به الدنيا، وبالشيء: أمسكه بقوةٍ»[٧١٧].

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن توعد الله تعالى للمشركين بأن يأخذهم أخذاً عنيفاً وقاسياً، وينتقم منهم انتقاماً شديداً بسبب عنادهم وإصرارهم على كفرهم وتكذيبهم نبيَّه ﷺ، واختلف علماء التفسير في المراد بيوم البطشة على قولين:

الأول: أنَّه يوم القيامة وهو قول ابن عباسٍ والحسن.

والثاني: أنَّه يوم بدرٍ، وهو قول ابن مسعود وأبي بن كعبٍ[٧١٨].

قال الزحيلي: «﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي: إنَّكم مؤجلون إلى عذابٍ شديدٍ هو عذاب النَّار في يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يكون فيه البأس الأكبر، والأخذ الأشد، وفيه ننتقم أشدَّ الانتقام، أي: نعاقب هؤلاء الكفار، وقيل كما رُوِيَ عن ابن مسعودٍ: إنه يوم بدر لمَّا عادوا إلى التكذيب والكفر بعد رفع العذاب عنهم، انتقم الله منهم بوقعة بدرٍ، قال ابن مسعود: البطشة الكبرى يوم بدرٍ»[٧١٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين لُغَويةٌ، ومعناهما واحدٌ، قال الشوكاني: «قرأ الجمهور (نَبْطِشُ) بفتح النون وكسر الطاء: أي نَبطِش بهم، وقرأ الحسن، وأبو جعفر بضم الطاء وهي لغةٌ»[٧٢٠]، وقال أبو السعود: «وقُرِئ (نَبَطِشُ) بضم الطاء وهي لغةٌ»[٧٢١].

(٧١٧) المعجم الوسيط ص٨١.
(٧١٨) انظر زاد المسير ص١٢٨٩.
(٧١٩) التفسير المنير ج٢٥ ص٢١٤.
(٧٢٠) فتح القدير ج٤ ص٨٠١.
(٧٢١) تفسير أبي السعود ج٥ ص١٠٢.

وقال د. محمد محيسن: «(نَبْطُشُ) قرأ أبو جعفر بضم الطاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان بمعنىً واحدٍ»[722].

ويمكن أنْ يُحمل معنى كل قراءةٍ على الحركة غير الإعرابية في كل قراءةٍ من القراءتين المذكورتين «حيث إنَّ النطق بالضم أثقل ويحتاج إلى جهدٍ عضليٍّ أكثر من الكسر»[723]، ممَّا يجعل لذلك أثراً في المعنى، وعلى ذلك فإنَّ قراءة (نَبْطُشُ) بالضم تدل على ثقل حالة البطش الحاصلة للكفار فهي أثقل وأشقُّ وأعظم أنواع البَطْشِ عليهم من حالة البَطْشِ الناتجة عن قراءة (نبْطِشُ) بالكسر فالبطش في هذه القراءة يكون شديداً ولكنَّه أخفُّ ممَّا عليه حالة البطش في القراءة السابقة.

وعلى ذلك يمكن حمل المعنيين اللَّذَين ذكرهما كلٌّ من ابن عباسٍ، وابن مسعودٍ على القراءتين السابقتين، فيمكن حمل المعنى الذي ذكره ابن مسعودٍ وهو أنَّ المقصود بيوم البطش: هو يوم بدرٍ، على قراءة (نَبْطِشُ) بالكسر، لأنَّه مَهْمَا بلغت شدة البَطْشِ في الدنيا لا تبلغ درجة البَطْشِ في الآخرة يوم القيامة، ويمكن حمل المعنى الذي ذكره ابن عباسٍ، وهو أنَّ المقصود بيوم البَطْشِ: هو يوم القيامة على قراءة (نَبْطُشُ) بالضَّم، لأن أعظم أنواع البَطْشِ وأشدَّه لا يتحقق إلا في الآخرة، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى على ما ذكر سابقاً، أنَّ الله تعالى توَّعَدَ كفار مكَّة بأخذٍ شديدٍ وانتقامٍ عسيرٍ في الدنيا، وقد وقع لهم ذلك بقتل صناديدهم في معركة بدرٍ، وسينتقم منهم بأشدَّ من ذلك الانتقام وأعظمه في الآخرة يوم يلاقون أشدَّ العذاب في النَّار، فالانتقام والبطش بهم واقعٌ لهم في الدنيا والآخرة، والله تعالى أعلم.

---

(٧٢٢) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٧٤.

(٧٢٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص١٠٣ بتصرف قليل.

٣ ـ قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣﴾ [الدخان: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ، وابن كثيرٍ، وأبو جعفر (فاسْرِ) بهمزة وصلٍ.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَأَسْرِ﴾ بهمزة قطع(٧٢٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

«السُّرَى: سَيْر الليل، يقال: سُرَى وَأَسْرَى.

والسُّرَى: سَيْر الليل عامَّته، وقيل: السُّرَى سيُر الليل كله، وسَرَيْتَ سُرىً ومَسْرىً، وأَسْرَيتُ بمعنى إذا سِرْتُ ليلاً، وبالألف لغة أهل الحجار، وجاء القرآن بهما جميعاً، ويقال: قد سَرَى به، وأسرى، وسَرَيتُ باللَّيل، وأَسْرَيتُ، إذا سرتُ ليلاً»(٧٢٥)، ومعنى سرى أي: مضى، وفي التنزيل: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ [الفجر: ٤] أي: يمضي(٧٢٦).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ استجابةً لطلبه بعد أن اشتدَّ الحال بمن آمن مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من بني إسرائيل، وتآمر فرعونُ وقومُه على قتله، بأن يأخذ من آمَن معه ويسير بهم ليلاً حتى لا يدركه فرعون وقومُه، إذا ما علموا بخروجه لأنهم سيتبعونه بحثاً عنهم.

قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ أي: فأجبنا دعاءه وأوحينا إليه أن أَسْرِ بعبادي بمن آمن بالله من بني إسرائيل (ليلاً) أي: قبل الصباح»(٧٢٧) ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ قال ابن عاشورٍ: «تفيد تعليلاً للآخر

---

(٧٢٤) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٩، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٣.

(٧٢٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٠٨.

(٧٢٦) انظر لسان العرب ج١٤ ص٣٨٢.

(٧٢٧) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٤٠.

بالإسراء ليلاً لأنه مما يستغرب، أي: إِنَّكم مُتَّبعون، فأردنا أن تقطعوا مسافةً يتعذر على فرعون لحاقكم»(٧٢٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين هي من قبيل اللُّغات والمعنى واحدٌ، قال الرازي: «قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ ﴿فَأَسْرِ﴾ موصولة الألف والباقون مقطوعة الألف، سَرَى وأَسْرَى لغتان»(٧٢٩).

وقال السمرقندي: «قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، (فاسْرِ) بجزم الألف، وقرأ الباقون: ﴿فَأَسْرِ﴾ ومعناهما واحدٌ يُقَال: سَرَيْت، وَأَسْرَيْت: إذا سِرْت بالليل»(٧٣٠).

إِلَّا أَنَّ بعض العلماء ذهبوا إلى أنَّ القراءتين بينهما اختلافٌ في المعنى، فقيل إنَّ: أَسْرَى لأول اللَّيل، وسَرَى لآخره، قال ابن عادل: القراءتان مأخوذتان من لُغَتَي هذا الفعل فإنَّه يقال: سَرَى، ومنه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الفجر: ٤]، وأسْرَى، ومنه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وهل هما بمعنىً واحدٍ أو بينهما فرقٌ؟ خلافٌ، فقيل: هما بمعنىً واحدٍ، وقيل: أَسْرَى لأول الليل، وسرى آخره(٧٣١).

ويؤيد ذلك ابن عطية بقوله: «قرأ نافعٌ وابن كثيرٍ (فاسْرِ) من سَرَى إذا سار في أثناء الليل، وقرأ الباقون ﴿فَأَسْرِ﴾ إذا سار في أول الليل»(٧٣٢). وبنحوه قال القرطبي(٧٣٣).

(٧٢٨) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٩٩.

(٧٢٩) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٢٤٧، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٥٣٥ عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣٠) بحر العلوم ج٢ ص١٣٧، انظر تفسير البغوي ج٢ ص٣٣٤. عند تفسيرهما للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣١) انظر اللباب ج١٠ ص٥٣٧، عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣٢) المحرر الوجيز ج٣ ص١٩٨، عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٧٤، عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسري بمن آمن معه من بني إسرائيل من أول الليل حتى يجاوز البلد الخارج منها وهي مصر ويكون قد وقع له النجاة والخروج آخر الليل بالسحر وعلى ذلك جاءت القراءتان لتوضِّحا بداية السري ونهايته مع النجاة - والله أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٧].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفرٍ (فَكِهِين) بحذف الألف بعد الفاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بإثبات الألف بعد الفاء[٧٣٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

«الفاكهة: قيل: هي الثمار كلها، وقيل: بل هي الثمار ما عدا العنب والرُّمان»[٧٣٥].

وأمَّا الفاكه: فقال ابن منظور: إنَّه الذي كثرت فاكهته، والفَكِه: الذي ينال من أعراض النَّاس، والفَكِه: الأشِر البَطِر، والفاكهة من التفكه، وقرئ: (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكِهِين)، أي: أشرين، وفاكهين أي: ناعمين، وأهل التفسير يختارون ما كان في وصف أهل الجنة فاكهين، وما كان في وصف أهل النار فكهين أي: أشرين على الحال[٧٣٦].

(٧٣٤) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٩، البدور الزاهرة ص٤٠٥.

(٧٣٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٤٣.

(٧٣٦) انظر لسان العرب ج١٣ ص٥٢٣.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تعداد النعم الكثيرة التي كان يتمتع بها فرعون وقومُه في حياتهم، كانوا فيها لاعبين لاهين ومسرورين، كانوا أصحاب فاكهةٍ متنوعةٍ متعددةٍ، ولكنَّهم كانوا بطِرين مستَخِفِّين لا يؤدون حقَّ الله تعالى في هذه النعم بالشكر والعبادة، فتركوها خلفهم بعد أن أهلكهم الله تعالى بالغرق، فلم تغن عنهم من الله شيئاً.

قال د. محمد حجازي: «يا ويلهم كم تركوا بمصر من جناتٍ وعيونٍ وزروعٍ ومقام كريم، وقصورٍ ومجالس للسمر والمتعة، وكم تركوا من نعمةٍ كانوا فيها أصحابَ فاكهةٍ، وكانوا أشرين بطِرين مستَخِفِّين مستهزئين لا يقومون بالشكر لصاحب تلك النعمة»(٧٣٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بالألف بعد الياء أنَّ فرعون وقومه كانوا أصحاب فاكهة متنوعةٍ ومتعددةٍ وكانوا متنعِّمين طيبي الأنفس.

وأمَّا قراءة (فكِهين) فقد أفادت أنَّهم كانوا يعيشون في نعمٍ كثيرةٍ ولكنهم كانوا أشرين بطرين لهذه النعم مستخِفِّين بشكرها.

قال ابن عادلٍ: «قوله: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ العامَّة على الألف، أي: طيبي الأنفُس، أو أصحاب فاكهةٍ كَلابِن، وتَامِر، وقيل: (فَكِهين): لاهين.

وقرأ الحسن، وأبو رجاء: (فَكِهين)، أي: مستخفين مستهزئين بنعمة الله»(٧٣٨).

وقال الشوكاني: «قرأ الجمهور ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بالألف، وقرأ أبو جعفرٍ (فكِهين) بغير ألفٍ، والمعنى على القراءة الأولى: متنعِّمين طيبةً أنفسهم،

---

(٧٣٧) التفسير الواضح ج٣ ص٦٥.

(٧٣٨) اللباب ج١٧ ص٣٢٢، انظر البحر المحيط ج٨ ص٣٦.

وعلى القراءة الثانية: أشرين بطرين»[٧٣٩].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح حال قوم فرعون قبل الإغراق، فقد كانوا ينعمون بأطيب أنواع الفاكهة والثمار وكان لهم الأنهار المتدفقة، والآبار المترعة بالماء وكان لهم المال والخير الوفير، وكانوا ينعمون بعيشةٍ هنيةٍ ويستمتعون بأنواع اللّذة، ومع كل ذلك فقد كانوا بطرين، مستهزئين ومستخفين بشكر النعمة التي كانوا فيها، والله تعالى أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وحفصٌ، وورشٌ ﴿يَغْلِي﴾ بالياء على التذكير.

٢ ـ قرأ الباقون (تَغْلِي) بالتاء على التأنيث[٧٤٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

الغُلُوُّ: تجاوز الحد، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاءٌ، وإذا كان في القَدَرِ، والمنزِلَة عُلُوٌّ، ويقال: غلا في القول والأمر والدين، أي: جاوز الحد، ومنه الغلي والغليان يقال: في القِدْرِ إذا طفحت، ومنه قوله تعالى: ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ الدخان [٤٤ ـ ٤٦][٧٤١]. وأغلى الماء: جعله يغلي، ويقال: أغلى القِدْرَ، وغَلَتِ القِدْرُ، أي: فارت، وطفحت بقوة الحرارة[٧٤٢].

---

(٧٣٩) فتح القدير ج٤ ص٨٠٥ بتصرفٍ يسير، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٤٣.

(٧٤٠) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، تحبير التيسير ص ٢٠٥.

(٧٤١) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦١٣.

(٧٤٢) انظر المعجم الوسيط ص٦٩٣.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن وعيد الله تعالى للكفار الجاحدين لقاءه المكذِّبين نبيَّهم، وما أنزل الله تعالى، فبعد أن أقام ربُّ العزة ﷻ الدليل على حقيقة البعث والقيامة في آيات سابقة أعقبه بذكر ما يتعرض له هذا الكافر الجاحد يوم القيامة من عذاب شديدٍ، وإذلالٍ مُهينٍ في نار جهنم على أيدي ملائكة العذاب.

قال الزحيلي: «وبعد إقامة الدليل على أنَّ القيامة حقٌّ، ووصف ذلك اليوم، أردفه تعالى بوعيد الفُجّار الكفّار الجاحدين لقاءه قائلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ أي: إنَّ الشجرة التي خلقها الله في جهنَّم وهي الشجرة الملعونة، يكون ثمرها طعام أهل النَّار الكثيري الإثم، قولاً وفعلاً، فإذا جاعوا أكلوا منها ويدخل معهم أبو جهل، و﴿ٱلْأَثِيمِ﴾: مبالغة الإثم، ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾، أي: وذلك الطعام يشبه دردي الزيت، وعكر القطران، والنُّحاس المذاب، يغلي في بطون الكفار كغلي الماء الشديد الحرارة، لحرارته ورداءته، شبَّه ما يصير في البطون منها بالمهل: وهو النُّحاس المذاب»[٧٤٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يَغْلِي﴾ بياء التذكير أنَّ الفعل (يغلي) يعود على الطعام أي: أنَّ الطعام يغلي فهو الفاعل، وأما قراءة (تغلي) بتاء التأنيث فقد أفادت أنَّ الفعل (تغلي) يعود على الشجرة أي: أنَّ الشجرة تغلي فهي الفاعل، قال الطبرسي: «من قرأ (تغلي) بالتاء فعلي الشجرة كأنَّ الشجرة تغلي، ومن قرأ بالياء حمله على الطعام وهو الشجرة في المعنى»[٧٤٤].

قال مكي بن أبي طالب: «والمعنى في القراءتين واحدٌ، لأنَّ (الشجرة)

---

(٧٤٣) التفسير المنير ج٢٥ ص٢٣٦.

(٧٤٤) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١١٧، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٥١، نظم الدرر ج٧ ص٨١.

هي (الطعام) فالطعام هو الشجرة، ولا يجوز حمل التذكير في (يغلي) على (المهل) لأنَّ (المهل) إنما ذكر للتشبيه، فليس هو الذي يغلي»[٧٤٥].

٦ ـ قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [الدخان: ٤٧].

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ، وابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، ويعقوب (فَاعْتُلُوهُ) بضم التاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَٱعۡتِلُوهُ﴾ بكسر التاء[٧٤٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

«العُتْلُ: الأخذ بمجامع الشيء وجرُّه بقهرٍ، كعَتَل البعير»[٧٤٧].

وقال ابن منظور: العُتُلُّ هو: الشديد الجافي، والفظ الغليظ من الناس، وقيل: هو الجافي الغليظ، وقيل هو الشديد من الرِّجال والدَّواب، ويقال: عَتلَه يَعْتِله، ويَعْتُله عَتْلاً، فانْعَتَل، أي: جَرَّه جَرّاً عنيفاً، وجذبه فحمله، وفي التنزيل: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧]. قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وأبو عمروٍ فاعْتِلوُه، بكسر التاء، وابن كثيرٍ، ونافعٌ، وابن عامرٍ، ويعقوب فاعْتُلوهُ، بضم التاء، قال الأزهري: وهما لغتان فصيحتان، والمعنى: خُذُوه فاقصِفوه كما يُقصَفُ الحطب، والعَتْل: الدفع والإرهاق بالسَّوق العنيف[٧٤٨].

التفسير:

في سياق الحديث عن وعيد الله تعالى للكافرين الجاحدين، وما

(٧٤٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٤ انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٧.

(٧٤٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، تحبير التيسير ص٢٠٥.

(٧٤٧) مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٦.

(٧٤٨) انظر لسان العرب ج١١ ص٤٢٣.

يتعرضون له من عذابٍ شديدٍ مُذِلٍّ ومُهينٍ يوم القيامة، تأتي هذه الآية الكريمة لتكشف عن مشهدٍ آخر من مشاهد العذاب، والإذلال يتعرض له هؤلاء الكفار المجرمون على أيدي ملائكة العذاب فيقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ والمعنى: أي: «يقال لزبانية جهنَّم: خذوه فجرُّوه جرّاً بعنفٍ وشدةٍ، خذوه فجُرُّوه إلى وسط جهنم، ثم صُبُّوا فوق رأسِه عذاباً وهو الحميم»[749] قال الطبرسي: «قال مقاتلٌ إنَّ خازن النَّار يمُر به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يُصَبُّ فيه ﴿مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ وهو الماء الذي قد انتهى حرُّه»[750].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين لغويةٌ ومعناهما واحدٌ، قال مكي بن أبي طالب: «قوله (فاعْتُلوه) قرأه الحرميان، وابن عامرٍ، بضم التاء، وقرأ الباقون بالكسر، وهما لغتان (عَتَلَ يَعتُل، ويَعتِلُ) مثل (عَكَفَ يَعْكُفُ، وَيَعْكِف، وحَشَر، يَحشُر، ويَحشِرُ) ومعناه: فرُدُّوه بعنف»[751].

وقال السمرقندي: «قرأ نافعٌ، وابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، (فاعتُلوه) بضم التاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان، معناهما واحدٌ، يعني: امضوا به بالعنف والشِّدة»[752].

إلَّا أنَّ قراءة الضمِّ لها دلالة المبالغة والشدة في جرِّ الكفَّار إلى العذاب وتعنيفهم أكثر منه في قراءة الكسر، لأنَّ الضمَّ أقوى الحركات مما يدل على ثقل حالة الفعل الحاصل للكفَّار من جرٍّ إلى نار جهنَّم، وقراءة

(٧٤٩) التفسير الواضح ج٣ ص٦٩.

(٧٥٠) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١١٨.

(٧٥١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٤، انظر معاني القراءات ج٢ ص٣٧٢.

(٧٥٢) بحر العلوم ج٣ ص٢٢٠.

الكسر تدل أيضا على شدة جرِّ الكفار وتعنيفهم إلَّا أنَّ قراءة الضم أشدُّ وأبلغ وأعنف.

قال البقاعي: «(فاعتُلوه) أي: جرُّوه بقهرٍ وعنفٍ وسرعةٍ إلى العذاب، والإهانة بحيث يكون كأنَّه محمولٌ، وقال الرازي في اللَّوامع: والعتل أن يأخذ بمجامع ثوبه عند صدره يجرُّه، وقراءة الضمِّ أدلُّ على تناهي الغلظة، والشدة من قراءة الكسر»(٧٥٣).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح لنا أنَّ الكفار والمكذبين يُجَرُّون جميعهم إلى نار جهنم بعنفٍ وشدةٍ وإذلالٍ، إلَّا أنَّ درجة العنف والشدة في تعامل الملائكة للكفار تتفاوت بما يتناسب ودرجة كفرهم وتكذيبهم وعداوتهم للمسلمين، فهي مع أرباب الكفر وزعمائه أشدُّ وأعنف وأبلغ من عامَّة المكذبين والكافرين، فكلَّما زادت درجة الكفر والتكذيب والعداء كلَّما اشتد الإذلال والقهر والإهانة لهم، والله تعالى أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩].

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (ذُقْ أَنَّكَ) بفتح الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ذُقۡ إِنَّكَ﴾ بكسر الهمزة(٧٥٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

إنَّ وأنَّ: معناهما التوكيد فتقول: إنَّ زيداً قائمٌ، كأنَّك قلتَ: زيدٌ قائم زيدٌ قائم(٧٥٥).

---

(٧٥٣) نظم الدرر ج٧ ص٨٢.

(٧٥٤) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٧.

(٧٥٥) انظر توجيه اللُّمع ص١٤٩.

وأما عن الفرق بينهما فيقول ابن الخبَّاز: «وأما فرقه بين إنَّ وأنَّ: فاعلم أنهما يتفقان عملاً وتركيباً ومعنىً، ويختلفان صيغةً وموضعاً، أما اتفاقهما في العمل: فإنَّهما ينصُبان الاسم ويرفعان الخبر، وأما اتفاقهما في التركيب: فلأن كلَّ واحدةٍ منهما من همزةٍ ونونين، وأمَّا اتفاقهما في المعنى: فلأنَّهما يؤكدان الجملة، وأما اختلافهما في الصيغة فلأنَّ أول إحداهما مكسورٌ، وأول الأخرى مفتوحٌ، وذلك للفرق. وإنَّما خصُّوا بالفتح المصدرية: لأنَّها واسمها وخبرها في موضع اسم مفردٍ، وأمَّا اختلافهما في الموضع: فلأنَّ إنَّ المكسورة وما بعدها في موضَع الجملة، وأنَّ المفتوحة وما بعدها في موضع المفرد»[٧٥٦].

التفسير:

بعد أنْ عرض الله تعالى في آياتٍ سابقةٍ لمشاهد العذاب الذي يتعرض له الكافر في عذاب جهنم يوم القيامة تأتي هذه الآية لتستكمل مشهداً آخر من الإذلال والقهر، فيقال: له على سبيل السخرية والاستهزاء والإهانة: ذُق هذا العذاب فإنَّك أنت العزيز الكريم.

قال الطبرسي: «وذلك أنَّه كان يقول: أنا أعزُّ أهل الوادي وأكرمهم، فيقول له المَلَك: ذق العذاب أيها المتعزز المتكرِّم في زعمك، وفيما كنت تقول، وقيل إنَّه على معنى النقيض، فكأنَّه قيل: إنَّك أنت الذليل المهين، إلَّا أنَّه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به، وقيل: معناه إنَّك أنت العزيز في قومك الكريم عليهم فما أغنى ذلك عنك»[٧٥٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

على قراءة (أَنَّك) بالفتح يكون المعنى: «ذق لأنَّك أنت العزيز الكريم

(٧٥٦) توجيه اللُّمع ص١٥٢ ـ ١٥٣.

(٧٥٧) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١١٨.

عند نفسك في دعواك، فأما عندنا فلست عزيزاً ولا كريماً»[٧٥٨]، وذلك على تقدير لام التعليل[٧٥٩]، وقيل: هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والتهكم[٧٦٠].

وأمَّا على قراءة (إِنَّكَ) بالكسر تكون (إِنَّك) ابتدائيةً على جهة الإخبار حكايةً عن هذا الكافر لما كان يقوله في الدنيا وقيل إنَّ المقصود بذلك هو أبو جهل حيث كان يقول: (ما بالوادي أعزُّ منِّي ولا أكرم) فنزلت هذه الآية[٧٦١]، «والمعنى: إِنَّك أنت العزيز الكريم في زعمك وفيما كنت تقوله في الدنيا، فجرى الخبر على ما كان يقول هو في الدنيا، ويصف نفسه به، أو على ما كان يوصف به في الدنيا»[٧٦٢].

الجمع بين القراءات:

القراءتان تتحدان في المعنى بحيث إنَّ الملائكة تقول لهذا الكافر (أبو جهل)، على رأي أهل التفسير الذي كان يعتبر نفسه أعزَّ النَّاس وأكرمهم ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ على زعمك كما كنت تدعي وتصف نفسك به في الدنيا عند قومك لذلك ذق مزيداً من العذاب، وهذا الكلام على سبيل التهكم والاستهزاء والتوبيخ والاستحقار.

٨ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: ٥١].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن عامرٍ (مُقَام) بضم الميم الأولى.

---

(٧٥٨) حجة القراءات ص٦٥٧، انظر تفسير البغوي ج٤ ص١٣٩.

(٧٥٩) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٧٦، غيث النفع في القراءات السبع ٤٧٨.

(٧٦٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٥٣، معاني القراءات ج٢ ص٣٧٢.

(٧٦١) انظر أسباب النزول للواحدي ص٢٨٢، لباب النقول للسيوطي ص٣٨٨.

(٧٦٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٥.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿مَقَامٍ﴾ بفتح الميم الأولى[٧٦٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

القيام: نقيض الجلوس، وهو بمعنى: الوقوف والثبات، فيقال: قاموا، أي: بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين[٧٦٤].

والمَقام: موضع القدمين، والمُقام والمُقامة: الموضع الذي تقيم فيه، والمُقامَة الإقامة، والمَقامةَ بالفتح: المجلس والجماعة من الناس، وقد يكون كلٌ منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام، وقوله تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١] أي: لا موضع لكم، وقُرِىءَ (لا مُقام لكم) بالضم: أي: لا إقامة لكم[٧٦٥].

التفسير:

بعد أن ذكر الله تعالى أحوال أهل النَّار، ووعيده للكافرين الجاحدين، وما يرونه من أهوال ذلك اليوم، أعقب ذلك بذكر أحوال أهل الجنة، ووعده ﷻ للمتقين بما يلاقونه في جنَّات النَّعيم من أنواع التكريم في الملبس والزوجات والمآكل، يتمتعون فيها بحياةٍ طيبةٍ رغيدةٍ، ويعيشون في منزلٍ كريم يليق بهم، يكونون فيه آمنين من كل شر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ أي: «إنّ المتقين الله في الدنيا الخائفين عقابه، المنتظرين فضله وثوابه، يكونون في الآخرة في مجالس يأمنون فيها من الموت ومن كلٍّ ما يحزنهم، ويصيبهم من الآفات والآلام»[٧٦٦].

---

(٧٦٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، تحبير التيسير ص٢٠٥.
(٧٦٤) انظر لسان العرب ج١٢ ص٤٩٦.
(٧٦٥) المصدر السابق ج١٢ ص٤٩٨.
(٧٦٦) تفسير المراغي ج٩ ص١٣٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (في مُقام) بالضمِّ أنَّ المقصود هو الإقامة، وأما قراءة (في مَقام) أفادت أن المقصود هو مكان القيام ويتناول المسكن وما يتبعه[767]، وهذه القراءة أعمُّ من حيث المعنى حيث إنها شملت الإقامة ومكان القيام وهو المجلس والمشهد معاً[768]، والعلاقة بينهما تكون من قبيل علاقة الخصوص بالعموم، فلا تكون الإقامة أمينةً إلَّا إذا كان المكان أميناً، وإذا كان المكان أميناً كانت الإقامة أمينةً.

ويحتمل أنَّه يراد بكلتا القراءتين المكان على المعنى اللغوي للقراءتين واستعمالاتهما وعلى هذا يكون معنى القراءتين واحداً[769].

قال الطبرسي: «من فتح الميم أراد به المجلس والمشهد، كما قال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ ووصفه بالأمن يقوي أنَّ المراد به المكان، ومن ضمَّ فإنَّه يحتمل أن يريد به المكان من أقام فيكون على هذا معنى القراءتين واحداً، ويجوز أن يجعله مصدراً ويقدر المضاف محذوفاً أي: موضع إقامة»[770].

(٧٦٧) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣١٧.
(٧٦٨) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٨.
(٧٦٩) انظر المصدر السابق ج٣ ص٣٨٨، روح المعاني ج٢٥ ص١٣٤.
(٧٧٠) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١١٩.



الفصل الثالث
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الجاثية ـ الأحقاف ـ محمد

المبحث الأول: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الجاثية المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الأحقاف المتضمنة للقراءات العشر.

البحث الثالث: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة محمد المتضمنة للقراءات العشر.



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الجاثية
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الجاثية: ٤].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب (آياتِ لقومٍ) بكسر التاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ﴾ بضم التاء[٧٧١]. في الآيتين (٤) و(٥) من هذه السورة.

المعنى اللغوي للقراءات:

الآية في اللّغة تطلق على عدة معانٍ منها:

١ ـ العلامة أو الدلالة أو الأمارة يقال: سُمّيَت الآية، من القرآن آيةً لأنّها علامة لانقطاع كلامٍ من كلامٍ.

٢ ـ الجماعة: يقال: خرج القوم بآيتهم أي: بجماعتهم. ويُقال: سمّيت الآيةُ آيةً لأنّها جماعةٌ من حروف القرآن.

(٧٧١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، تحبير التيسير ص٢٠٥.

٣ ـ المعجزة: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] أي: معجزةً.

٤ ـ العبرة: قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧] أي: أمور وعبرٌ مختلفة.

وجمع الآية: آيٌ، وآياتٌ، والفعل تأيًا، أي: توقف وتمكّث، تقديره تعيٌ، ويقال: قد تأيّيت على وزن تَفَعَّلت أي: تلبَّثت وتحَبَّسْتَ(٧٧٢).

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن دلائل قاطعةٍ على وجود الله ﷻ ووحدانيته، وعظيم قدرته، وكمال قيومته، وتنزيهه عن كل نقصٍ لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، فبعد أن ذكر في الآية السابقة دلائل واضحات من الكون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الجاثية: ٣] أتبعها بذكر دليلٍ آخر من الأنفس فقال: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ «أي: إنَّ في خلقكم دون وجودٍ سابقٍ، ومروركم في أطوارٍ مختلفةٍ من الخلق، من ترابٍ، ثم من علقةٍ ثم من مضغة إلى أن يصير الواحد منكم إنساناً كامل الذات والصفات البشرية، وفي خلق ما يفرّق وينشر من دابَّة في نواحي الأرض المختلفة وأقاليمها المتفاوتة حرارةً وبرودةً واعتدالاً، وأراضيها الرطبة والجافة، وأنواع حيواناتها الإنسية والوحشية، والبرية والبحرية والجوية، آياتٌ ودلائل أخرى شديدة الوضوح، تدل على قدرة الصانع العظيم وحكمته، التي يعتبر بها أهل اليقين، الذين آمنوا ثم قبلوا الحق... فأيقنوا يقيناً تامّاً لا يخالطه أي شكٍّ»(٧٧٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ نحويةٌ، فلكلّ قراءةٍ أثرها في الإعراب،

(٧٧٢) انظر لسان العرب ج١٤ ص٦٢.

(٧٧٣) التفسير المنير ج٢٥ ص٢٥١.

والمعنى متقاربٌ بينهما. فعلى قراءة (آياتٍ) بالنَّصب في الموضعين تحمل على نصب (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ فيكون المعنى: إنَّ (في خلقكم أياتٍ لقوم يوقنون)، فتكون (آياتٍ) معطوفة على اسم (إنَّ)، وخبرها (وفي خلقكم).

وأمَّا على قراءة (آياتٌ) بالرَّفع في الموضعين فلها وجهان: إمَّا أنها تحمل على العطف على موضع (إنَّ) وما عملت فيه، لأنَّ موضعها رفع بالابتداء، وإمَّا أنَّها تحمل على الاستئناف، بحيث يكون قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ﴾ مستأنفاً، ويكون الكلام جملةً معطوفةً على جملةٍ[774].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ [الجاثية: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ (الرِّيح) بالتوحيد.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ بالجمع[775].

سبق التعرض لهذه القراءة عند تفسير الآية (٣٣) من سورة الشورى[776].

٣ ـ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب (آياتٍ) بكسر التاء.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بضم التاء[777].

(٧٧٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٧، مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١٢٣، المحرر الوجيز ج٥ ص٨٠.

(٧٧٥) انظر البدور الزاهرة ص٤٠٦، تحبير التيسير ص٢٠٥.

(٧٧٦) انظر ص ١٤٠ من هذا البحث.

(٧٧٧) انظر البدور الزاهرة ص٤٠٦، النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١.

لقد تم الحديث عن هذه القراءة في الآية السابقة (٤) من هذه السورة[٧٧٨].

٣ ـ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٦].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن كثيرٍ، وأبو عمرو، ورَوحٌ، وحفصٌ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالغيب.

٢ ـ قرأ الباقون (تؤمنون) بالخطاب[٧٧٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل الأمن: طمأنينة النفس، وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، والأمانة ضد الخيانة[٧٨٠]، ومنه الإيمان: وهو ضد الكفر، ومعناه: التصديق والاعتقاد، وهو مصدر آمن يؤمن، إيماناً، وقيل: الإيمان: الثقة، آمن به أي: وثق به.

وعرَّف الزَّجَّاج الإيمان فقال هو: إظهار الخضوع وقبول الشريعة، ولِمَا أتى به النبي ﷺ واعتقاده وتصديقه بالقلب، وقيل: إنَّ الإيمان هو: أداء الأمانة التي ائتمن الله الإنسان عليها من فرائض وعباداتٍ، وقبول شريعته والعمل بها[٧٨١].

التفسيـر:

بعد أن عرض الله تعالى في الآيات السابقة آياته الباهرة الدالة على

(٧٧٨) انظر ص٢٣١ من هذا البحث.
(٧٧٩) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٧.
(٧٨٠) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٩٠.
(٧٨١) انظر لسان العرب ج١٣ ص٢١.

وحدانيته وعظيم قدرته، خاطب الله تعالى في هذه الآية نبيَّه محمداً ﷺ قائلاً له: «تلك آيات الله الكونية، وآياته نتلوها عليك يا رسول الله بالحقِّ لا شك فيها ولا لبس ولا تغير بل هي آياتٌ بيِّنَاتٌ وحججٌ واضحاتٌ، وما يعقلها إلَّا العالمون، وأمَّا أنتم يا أهل مكة، فبأي حديثٍ بعد هذا الحديث الذي أنزل الله، وبأية آيةٍ بعد هذه الآية تؤمنون»[782].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تؤمنون) بتاء الخطاب على رأي بعض المفسرين أنَّ الخطاب موجَّهٌ إلى النبي ﷺ أن يقول ذلك للكفار، «على معنى: قل لهم يا محمد فبأي حديثٍ بعد الله وآياته تؤمنون أيها الكافرون»[783].

وبعض المفسرين اعتبروا أنَّ المخاطبين هم المشركون، وهذا على وجه التهديد، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره للمشركين به، فبأي حديثٍ أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم، وبعد حججه عليكم، وأدلَّتِه التي دلَّكم بها على وحدانيته من أنَّه لا ربَّ لكم سواه تصدقون إنْ أنتم كذَّبْتُم لحديثه، وآياته، وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ (تؤمنون) على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين»[784].

وفي هذه القراءة يكون التهديد والتبكيت لهم أشدَّ وأبلغ، قال البقاعي: «من خاطب ـ وهم الجمهور ـ ردُّوه على قوله (وفيَ خلقكم) وهي أقوى تبكيتاً»[785].

وأمَّا قراءة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالغيب فإنها تفيد الإخبار من الله تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ عن المشركين، على معنى: فبأي حديثٍ يا محمد بعد حديث الله تعالى يؤمن هؤلاء المشركون، قال الطبري: «وأمَّا على قراءة من

---

(٧٨٢) التفسير الواضح ج٣ ص٧٣.

(٧٨٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٧، انظر معالم التنزيل ج٤ ص١٤٢.

(٧٨٤) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٨٥، انظر المحرر الوجيز ج٥ ص٨٢.

(٧٨٥) نظم الدرر ج٧ ص٩٢.

قرأه (يؤمنون) بالياء، فإن معناه: فبأي حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليك، وآياته هذه التي نبَّه هؤلاء المشركين عليها، وذكَّرهم بها يؤمن هؤلاء المشركون»[786] وقال القرطبي: «وقراءة العامة بالياء على الخبر»[787].

الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان التوبيخ والتقريع مع التهديد لكفَّار قريش، إلَّا أنَّ قراءة (تؤمنون) بالخطاب أشدُّ توبيخاً، وتقريعاً وأقوى تهديداً من قراءة (يؤمنون) الغيب.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذِّبُون الحُجج القاطعة والأدلَّة الباهرة على وحدانيته، موبخاً لهم ومهدداً إياهم، إن كنتم لا تؤمنون بها فبأي حديثٍ بعد حديث الله تعالى وآياته تؤمنون أيها المشركون.

٤ ـ قال تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الجاثية: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وحفص، ويعقوب ﴿مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ بضم الميم.

٢ ـ قرأ الباقون (مِنْ رِجزٍ أليمٍ) بخفض الميم[788].

المعنى اللغوي للقراءات:

الألم: الوَجع، والجمع آلام، والأليم: المؤلم المُوجع، والعذاب الأليم: الذي يبلغ إيجاعُه غاية البلوغ، وإذا قلت عذابٌ أليم فهو بمعنى

---

(٧٨٦) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٨٥.

(٧٨٧) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٥٩.

(٧٨٨) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٥٠١، البدور الزاهرة ص٤٠٦.

مؤلمٍ موجعٍ[٧٨٩].

التفسيـر:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية الكريمة عن حقيقة القرآن الذي أنزله ﷻ على سيدنا محمدٍ ﷺ، أنَّه هدىً للناس، ودليلٌ وبيانٌ على الحقِّ، يخرج الناس من الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وأنَّ الذين كفروا بالله تعالى وجحدوا آياته الدالة على الحقِّ لهم عذابٌ أليمٌ موجعٌ من أشدِّ أنواع العذاب يوم القيامة.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه على محمدٍ (هدىً)، يقول: بيانٌ ودليلٌ على الحقِّ يهدي إلى صراطٍ مستقيم من اتبعه وعمل بما فيه، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾، يقول: والذين جحَدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحق، ولم يصدِّقُوا بها ويعملوا بها، لهم عذابٌ أليمٌ يوم القيامة موجعٌ»[٧٩٠] وقال البقاعي: «(لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيم) أي: عقابٌ قذرٌ شديدٌ جداً عظيم القلقلة والاضطراب متتابع الحرَكات»[٧٩١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَلِيمٌ﴾ بالضم أنها نعتٌ لـ ﴿عَذَابٌ﴾ والمعنى: أنَّ لهم عذابٌ أليمٌ من جملة العذاب، على معنى: رجز هو العذاب[٧٩٢]، وعلى معنى: الرِّجز: أشدُّ العذاب وأسوؤه، يكون المعنى: «لهم عذابٌ أليمٌ من أسوأ أنواع العذاب وأشدِّه ألماً وإهانةً»[٧٩٣].

(٧٨٩) انظر لسان العرب ج١٢ ص٢٢.

(٧٩٠) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٨٥٦.

(٧٩١) نظم الدرر ج٧ ص٩٤.

(٧٩٢) انظر المحرر الوجيز ج٥ ص٨٢.

(٧٩٣) التفسير الوسيط م١١ ج٢٢ ص١٤٨، عند تفسيره للآية (٥) من سورة سبأ.

قال ابن عاشورٍ: «الرجز أشدُّ العذاب، ويجوز أن يكون حرف (من) للبيان فالعذاب هو الرِّجز ويجوز أن يكون للتبعيض، أي: عذابٌ ممَّا يسمى الرجز وهو أشدُّه»[794].

وعلى معنى الرجز: هو النَّجَس أي: النجاسة، يكون المعنى: «لهم عذابٌ من تجرُّع رجسٍ أو شرب رجسٍ، فيكنون تنبيهاً للعذاب»[795].

وأمَّا قراءة (أليمِ) بالكسر فإنَّها أفادت أنها نعتٌ لـ (رجزٍ) والمعنى يكون: «لهم عذابٌ مِّن عذابِ أليم، وذلك على معنى الرجز هو العذاب، فإذا كان عذابهم من عذابٍ أليمٍ كان عذابهم أليماً»[796]، ويحتمل أن يكون المعنى: لهم عذابٌ شديدُ القذَارة سيِّئٌ جداً ووصفه أنَّه مؤلمٌ، وفي إسناد الألم إلى الرجز مبالغةٌ في وصف العذاب[797].

الجمع بين القراءات:

القراءة الثانية فيها زيادة بيانٍ للقراءة الأولى، حيث إنَّ القراءة الأولى بيَّنَت أنَّ العذاب الذي يصيب هؤلاء المشركين أليمٌ، وأمَّا القراءة الثانية بيَّنَت أن هذا العذاب من أشدِّ أنواع العذاب وأقذره وأسوئِه، ممَّا تضيف مبالغة تهديدٍ وزيادة تهويلٍ ووعيدٍ لهؤلاء الكفَّار.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: إنَّ الذين كفروا بآيات الله تعالى وجحدوها، لهم عذابٌ أليمٌ، قذرٌ وشديدٌ، من أسوأ أنواع العذاب وأشدِّه.

٥ ـ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الجاثية: ١٤].

---

(٧٩٤) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣٣٥ بتصرف قليل.

(٧٩٥) اللباب ج١٧ ص٣٥٢.

(٧٩٦) المصدر السابق ج١٧ ص٣٥٢.

(٧٩٧) انظر تفسير أطفيش أباضي ـ المكتبة الإلكترونية ـ المكتبة الشاملة ج١٠ ص٣٩.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ، (لنَجْزِيَ) بالنون وكسر الزاي، وفتح الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لِيَجْزِىَ﴾ بالياء، وكسر الزاي، وفتح الياء.

٣ ـ قرأ أبو جعفر (لِيُجْزَى) بضم الياء وفتح الزاي مجهلا[٧٩٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

الجزاء: هو المكافأة على الشيء، ويقال: جَزاه به، وعليه جزاءً، وجازاه مجازاةً وجزاءً، والجزاء يكون ثواباً، ويكون عقاباً، وقيل: إنَّ (جَزيتُه) لا يكون إلَّا في الخير، أمَّا (جازيتُه) يكون في الخير والشر[٧٩٩].

التفسير:

يخاطب الله تعالى في هذه الآية سيدنا محمداً ﷺ قائلاً له: يا محمد قُلْ للذين آمنوا بربهم واهتدوا بنوره، اغفروا للذين لا يخشون لقاء الله تعالى ولا يخافون بأسه وعذابه لأنَّ الله تعالى سيجازي المؤمنين بما عملوا من الصالحات، ويجازي الكافرين بما اجترحوا من السيئات[٨٠٠]. قال الطبري: «﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ يقول: ليجزيَ الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدنيا يكسبون من الإثم ثمَّ بأذاهم أهل الإيمان بالله»[٨٠١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿لِيَجْزِىَ﴾ بالياء وكسر الزاي وفتح الياء، أنَّ الله تعالى

---

(٧٩٨) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٧.

(٧٩٩) انظر لسان العرب ج١٤ ص٢٤٧.

(٨٠٠) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٨٢.

(٨٠١) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٨٦.

يخبر عن نفسه أنه سيجزي كلاً بعمله وكسبه يوم القيامة وذلك على نسق قوله تعالى ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾، أو أنَّ الإخبار واقع من الرسول ﷺ عن ربه (أنه سيجزي) بتكليف من الله تعالى على معنى: «قل لهم يا محمد: ليجزيَ الله قوماً»[٨٠٢] قال ابن خالويه: «﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا﴾ يقرأ بالياء إخباراً من الرسول ﷺ عن ربه وبالنون إخباراً من الله ﷻ عن نفسه»[٨٠٣].

وأمَّا قراءة (لنَجزِي) بالنون وكسر الزاي، أفادت أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه أنه سيجزي كلاًّ بعمله يوم القيامة، على معنى: نحن نجزي، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾ [سبأ: ١٧][٨٠٤]، قال مكي بن أبي طالب: «قوله: ﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا﴾ قرأه ابن عامرٍ، وحمزة، والكسائي بالنون على معنى: الإخبار من الله جلَّ ذكره عن نفسه بالجزاء فهو المجازي كلاًّ بعمله»[٨٠٥]. وفي هذه القراءة التفاتٌ من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة تعظيماً لله تعالى.

كلتا القراءتين أفادتا أنَّ الله ﷻ هو الفاعل وهو المجازي سواءً قرأته بالياء أو النون إلَّا أنَّ إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة، بيانٌ لعظم الرَّحمن وقدرته الواسعة على المجازاة بالإحسان، أو بالعذاب والانتقام ففي ذلك مزيد ترغيبٍ للمؤمنين، ومزيد تهديدٍ ووعيدٍ بالعقاب والانتقام من الكافرين الذين يؤذون عباده المؤمنين.

وأمَّا قراءة (ليُجزى) بضم الياء وفتح الزاي على التجهيل للفاعل على معنى: (ليجزى الخير أو الشرَّ قوماً) فالخير أو الشر مفعولٌ أولٌ، أو أن يكون نائب فاعل بتقدير حرف الجر لجزائهم على اختلافٍ بين العلماء في إعرابها[٨٠٦]، أفادت الإبلاغ في تعظيم الفاعل لأنَّه معلوم لدى الجميع ولا

(٨٠٢) إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣١٣.
(٨٠٣) الحجة في القراءات السبع ص٣٢٥.
(٨٠٤) انظر حجة القراءات ص٦٦٠.
(٨٠٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٨.
(٨٠٦) انظر المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٨٢.

يحتاج إلى بيان أو دليل، وتعظيم ما أقيم مقام الفاعل، وهو الجزاء أيضاً لأنَّ عظمته على حسب ما أقيم مقامه(٨٠٧).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ الله تعالى أخبر عن نفسه أنه سيجازي كلًّا بعمله يوم القيامة، فالمؤمن يجازيه بإحسانه وإيمانه وصبره، إمعاناً وإكراماً عظيماً منه، والكافر سيجازيه بكفره ومعصيته وإيذائه للمؤمنين، انتقاماً شديداً منه يتناسب مع عظيم إثمهم ومعصيتهم لله تعالى.

٦ ـ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (تَرجِعُون) بفتح التاء، وكسر الجيم على المبني للفاعل.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء، وفتح الجيم على المبني للمفعول(٨٠٨).

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (٢١) من سورة فصلت(٨٠٩).

٧ ـ قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

(٨٠٧) انظر نظم الدرر ج٧ ص٩٧.

(٨٠٨) انظر البدور الزاهرة ص٤٠٧، إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٢.

(٨٠٩) انظر ص٩٨ من هذا البحث.

القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ، وحفصٌ ﴿سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ﴾ بالنصب.

٢ - قرأ الباقون (سواءٌ محياهُم) بالرفع[٨١٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

«المساواة: المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن، والكيل، يقال: هذا ثوب مساوٍ لذاك الثوب»[٨١١]، وساواهُ: ماثلهُ وعادلهُ، يقال ثوبٌ سواءٌ، ومكانٌ سواءٌ، أي: مستوٍ طوله وعَرضه[٨١٢].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن ميزان العدل عند الله تعالى في التعامل مع النَّاس والحكم بينهم، فلا يمكن أنْ يساوي المشرك الذي اكتسب الشرك والمعاصي، بالمؤمن الذي صدق الله تعالى ورسوله في المنزلة والجزاء سواء في محياهم أو مماتهم، وفي هذه الآية ردٌّ على المشركين وأصحاب المعاصي الذين يظنُّون أنَّهم أفضل حالاً من المؤمنين في الآخرة لكونهم أحسن حالاً في الدنيا لأنهم يملكون القصور والأموال والسلطان.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: أم ظنَّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذَّبوا رسل الله وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أنْ نجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله، وصدَّقُوا رسله، وعملوا الصالحات فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلَّا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميَّز بين الفريقين فجعل حزب الإيمان في الجنَّة، وحزب الكفر في السعير»[٨١٣]، «وهذا تهديدٌ عامٌّ لكل من خرج على الدين

---

(٨١٠) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، تحبير التيسير ص٢٠٧.
(٨١١) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٣٩.
(٨١٢) انظر المعجم الوسيط ص٤٩٢.
(٨١٣) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٨٩.

ولم يمتثل أمره، بأنَّه ليس من العدل أن يُسَوَّى بينه وبين من سار على الصراط المستقيم»[٨١٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين نحويةٌ وكل قراءةٍ لها أثرها في المعنى.

فقراءة (سواءٌ) بالرفع تفيد أنَّها خبرٌ مقدمٌ والمبتدأ (محياهُم ومماتُهم) والتقدير: محياهُم ومماتُهم سواءٌ، وعلى هذا يكون إخباراً من الله تعالى عنهم، أنَّ محياهم ومماتهم سواءٌ، والضمير في محياهم ومماتهم إمَّا يختص بالكفار، وإما يعود على الفريقين من الكفار والمؤمنين، فتكون الجملة إخباراً عن حال كلٍّ من الكفار والمؤمنين بأنَّ محيا الكفَّار ومماتهم سواءٌ وهو غير كريمٍ، ومحيا وممات المؤمنين سواءٌ وهو كريمٌ[٨١٥].

قال البغوي: «وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر، أي: محياهم ومماتهم سواءٌ، فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعاً، معناه: المؤمن مؤمنٌ محياه، ومماته أي: في الدنيا والآخرة، والكافر كافرٌ في الدنيا والآخرة»[٨١٦]، وفي هذا المعنى «قال مجاهدٌ: المؤمن يموت مؤمناً، ويُبْعَثُ مؤمناً، والكافر يموت كافراً ويُبْعَثُ كافراً»[٨١٧].

وأمَّا قراءة ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب تفيد أنها حالٌ من الضمير في (نجعلهم)، و(محياهُم) فاعلٌ، و(مماتُهم) معطوفٌ عليه[٨١٨]، وبعض العلماء ذكر وجوهاً أخرى لقراءة النصب: أحدها أنْ تجعل (محياهم ومماتهم) بدلاً من الضمير في (نجعلهم) فينصب (سواءً) على أنه مفعولٌ ثانٍ لـ (نجعل) على تقدير: أن نجعل محياهم ومماتهم سواءً، والثاني: أن تنصب (سواءً) على أنه مفعول

(٨١٤) التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٧٨.
(٨١٥) انظر المحرر الوجير ج٥ ص٨٥.
(٨١٦) معالم التنزيل ج٤ ص١٤٣.
(٨١٧) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٦٥.
(٨١٨) انظر المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٨٣.

ثانٍ لـ (جعل) وتجعل محياهم ومماتهم ظرفين، والتقدير: أن نجعلهم سواء في محياهم ومماتهم ولكن على الوجهين الآخرين يلزم نصب محياهم ومماتهم[819]، ولم يثبت أنَّ أحداً قرأ بها من القراء العشرة فيكون حمل قراءة النصب على الوجهين الآخرين مخالفاً للقراءة المتواترة لـ (محياهُم ومماتُهم بالرفع) فيبقى الوجه الأول لقراءة (سواءً) على أنَّها حالٌ من الضمير في (نجعلهم) هو المعتمد.

وعلى هذه القراءة يكون المعنى: «أحسبوا أنَّ حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواءً، كلاَّ»[820]. وفي ذلك إنكار حسبانهم، ونفي أن تكون حياة الكافرين وموتهم، كحياة المؤمنين وموتهم، ولذلك قال تعالى: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي بئس ما حكم به هؤلاء الذين ساووا بين الذين اجترحوا السيئات، والذين آمنوا وعلموا الصالحات.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يَتَبَيَّن أنَّ الله تعالى أنكر على هؤلاء المجرمين المجترحين للسيئات ادعاءهم أنَّهم في الآخرة في حالٍ أفضل من المؤمنين لكونهم أكثر منهم مالاً وجاهاً في الدنيا، أو أنَّهم في منزلة المؤمنين في الآخرة فلا يمكن أن يتساوى الفريقان في حياتهم ولا في مماتهم فمن كان مؤمناً في الدنيا يُبعثُ مؤمناً في الآخرة، ومن كان كافراً في الدنيا يُبعثُ كافراً في الآخرة.

٨ ـ قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

(٨١٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٨.
(٨٢٠) معالم التنزيل ج٤ ص١٤٣.

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ (غَشْوَةً) بفتح الغين، وإسكان الشين من غير ألفٍ.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿غِشَٰوَةً﴾ بكسر الغين، وفتح الشين، وألفٍ بعدها[٨٢١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الغشاء: هو الغطاء وجمعها أغشيةٌ ومنه الغَشاوة[٨٢٢]، ما يغطى به الشيء، والغاشية: كل ما يغطي الشيء كغاشية السرج، ويقال: غشيه غشاوةً وغشاءً أي: ستره[٨٢٣].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة يرسم ربُّ العزة ﷻ صورةً حقيقيةً لطبيعة النفس البشرية التي تجحد آيات الله تعالى، وتتبع الهوى المتقلب، فتتجاذبها الشهوات ويتلاعب بها الشيطان، فكلَّما هوت شيئاً، اتبعته وركبته حتى أصبحت عبداً له، حتى أضلَّ الله صاحبها، وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في آيات الله تعالى، وجعل على بصره غطاءً حتى لا يبصر الرشد ولا يرى الحجة التي تنير له الطريق.

فيخاطب الله تعالى رسوله محمداً ﷺ قائلاً له: «﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ يا محمد ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئاً إلا ركبه، لأنَّه لا يؤمن بالله ولا يخافه فاتبع هواه في أموره، ولا يحجزه تقوى، وقيل: معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلَّت الدلالة على أنَّ العبادة تحقُّ

---

(٨٢١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، تحبير التيسير ص٢٠٦.

(٨٢٢) انظر المعجم الوسيط ص٦٨٦.

(٨٢٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٠٧.

له، فإذا استحسن شيئاً وهواه اتخذه إلهاً، وكان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر، وقيل معناه: أفرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده، ويرتكب ما يدعوه إليه ولم يرد أنَّه يعبد هواه ويعتقد أنه تحقُّ له العبادة لأنَّ ذلك لا يعتقده أحدٌ، ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: خذله الله وخلاه وما اختاره جزاءً له على كفره وعناده وترك تدبره على علم منه باستحقاقه لذلك، وقيل: أضله الله أي: وجده ضالاً على حسب ما علِمه فخرج معلومه على وفق ما علمه، وقيل معناه: أنَّه ضَلَّ عن الله، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾، ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: من بعد هداية الله إيَّاه، والمعنى: إذا لم يهتدِ بهدى الله بعد ظهوره، ووضوحه، فلا طمع في اهتدائه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتعظون بهذه المواعظ»[٨٢٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ لُغويةٌ، ومعناهما واحدٌ على رأي أهل التفسير.

قال الشوكاني: «قرأ الجمهور ﴿غِشَٰوَةً﴾ بالألف مع كسر الغين، وقرأ حمزة، والكسائي (غَشْوةً) بغير ألفٍ مع فتح الغين، ومنه قول الشاعر:

لئن كنت ألبستني غَشْوةً ... لقد كنت أصغيتك الودَّ حيناً

وقرأ ابن مسعودٍ، والأعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين، وهي لغة ربيعة، وقرأ الحسن وعكرمة بضمها[٨٢٥]، وهي لغة عكل»[٨٢٦].

وقال السمرقندي: «قرأ حمزة، والكسائي، (غَشْوةً) بنصب الغين بغير ألفٍ، والباقون ﴿غِشَٰوَةً﴾ بكسر الغين، كما اختلفوا في سورة البقرة،

(٨٢٤) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١٣٥، بتصرف يسير.

(٨٢٥) هذه القراءة ذكرها الزمخشري في الكشاف ج٣ ص٥١٢، وهي غير متواترة.

(٨٢٦) فتح القدير ج٥ ص١٢، انظر المحرر الوجيز ج٥ ص٨٧.

ومعناهما واحدٌ»[(٨٢٧)].

وقال د. محيسن: «﴿غِشَٰوَةً﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ العاشر بفتح الغين وإسكان الشين وحذف الألف، والباقون بكسر الغين وفتح الشين، وإثبات الألف، وهما لغتان بمعنىً واحدٍ، وهو الغطاء»[(٨٢٨)].

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ بنصب اللام.

٢ ـ قرأ الباقون (كلُّ أمَّةٍ) برفع اللام[(٨٢٩)].

المعنى اللغوي للقراءات:

الكلُّ: اسم يجمع الأجزاء، يقال: كلُّهم مُنطلقٌ، وكلُّهُنَّ منطلقةٌ، ومنطلقٌ، الذكر والأنثى في ذلك سواءٌ، والكلُّ تدل على التناهي فتقول: العَالِمُ كلُّ العَالِم، يريد بذلك التناهي وأنَّه قد بلغ الغاية فيما يصفه به من الخصال، فالكل عبارةٌ عن أجزاء الشيء[(٨٣٠)].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بعض أهوال يوم القيامة، وترسم صورةً حقيقيةً لما يحدث مع الأمم من الناس في ذلك اليوم من هول ما يرون من شدة خوفهم ورعبهم.

---

(٨٢٧) بحر العلوم ج٣ ص٢٢٦، بتصرف قليل.

(٨٢٨) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٨٤.

(٨٢٩) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، تحبير التيسير ص٢٠٦.

(٨٣٠) انظر لسان العرب ج١١ ص٥٩٠.

يقول الزحيلي: «﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أي: وتنظر أصحاب كل ملةٍ ودين واحدٍ جاثيةً على الركب من شدة الخوف والرعب، فالنَّاس لشدة الأمر يجثون بين يدي الله عند الحساب ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي: (كلُّ أمَّة تُدعى إلى كتابها المنَّزل على رسلهم، أو إلى صحيفة أعمالهم)، كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩]، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: في يوم القيامة يجزيكم الله بما عملتم في الدنيا من خيرٍ وشرٍ، تجازون بها من غير زيادةٍ ولا نقصٍ»[٨٣١]، قيل: «إنَّ الجثو للكفار خاصةً، وقيل: هو عامٌّ للكفار والمؤمنين ينتظرون الحساب»[٨٣٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ نَحْوِيةٌ ولكل قراءةٍ أثرها في المعنى.

فقراءة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالرفع تفيد أنَّها مبتدأٌ وخبرها ﴿تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ والجملة استئنافٌ بيانيٌّ لتبيِّن أنَّ الجثو للحساب[٨٣٣]. أي: أنَّ بعد ذلك الجثو يكون الحساب.

وأمَّا قراءة ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ بالنصب تفيد أنها بدل من (كلَّ أمةٍ) الأولى، والمعنى: وترى كلَّ أمَّةٍ تُدْعَى إلَى كِتَابِهَا[٨٣٤]، وقراءة النصب فيها إيضاحُ لسبب الجثو أنَّ ذلك الجثو بسبب انتظار الحساب الذي يأتي بعد الجثو.

قال القرطبي: «قرأ يعقوب الحضرمي ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ بالنصب على البدل من (كل) الأولى لما في الثانية من الإيضاح الذي ليس في الأولى، إذ ليس في جثوها شيء من حال شرح الجثو كما في الثانية من ذكر السبب الداعي

---

(٨٣١) التفسير المنير ج٢٥ ص٢٨٦.

(٨٣٢) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١٣٨.

(٨٣٣) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٨٣٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٤٣٥، معاني القراءات ج٢ ص٣٧٧.

إليه، وهو استدعاؤها إلى كتابها»[٨٣٥].

وقال ابن عاشور: «قرأ يعقوب (كلَّ) بالنصب على البدل من قوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ وجملة (تدعى) حال من (كلَّ أمَّةٍ) فأعيدت كلمة (كلَّ أمَّةٍ) دون اكتفاء بقوله (تدعى) أو يدعون، للتهويل، والدعاء إلى الكتاب بالأمم، تجثو ثم تدعى كلُّ أمَّةٍ إلى كتابها فتذهب إليه للحساب، أي: يذهب أفرادها للحساب، ولو قيل: وترى كلَّ أمَّةٍ جاثيةً تدعى إلى كتابها لأوهم أنَّ الجثو والدعاء إلى الكتاب يحصلان معاً مع ما في إعادة الخبر مرة ثانية من التهويل»[٨٣٦].

الجمع بين القراءتين:

القراءتان معاً توضحان أنَّ جثو جميع الأمم يكون بسبب الحساب مع الترتيب بين الجثو والحساب، إذ الحساب يأتي بعد طول انتظارٍ من بعد الجثو، وفي ذلك زيادة تهويلٍ لتذهب أنفسهم كل مذهبٍ، حيث إنَّ انتظار الحساب أهول على النفس من الوقوع فيه، والله تعالى أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية: ٣٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة (الساعةَ) بالنصب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ بالرفع[٨٣٧].

---

(٨٣٥) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٧٢.

(٨٣٦) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣٦٨.

(٨٣٧) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، غيث النفع ص٤٨٠.

المعنى اللغوي للقراءات:

الساعة: جزءٌ من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامة، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧][٨٣٨].

التفسير:

يخبر الله تعالى عمّا بلغه هؤلاء الكفار من الاستكبار، والعناد، والإصرار على الكفر، حيث إنّهم إذا ذُكِّروا بآيات الله تعالى وبحقيقة البعث، وقيام الساعة، أنكروها واستبعدوا وقوعها استغراباً أنَّ ذلك قد يحدث، قال الزحيلي: «وإذا قيل لهؤلاء الكفار من طريق الرسول ﷺ والمؤمنين، إنَّ وعْدَ الله بالبعث والحساب، وبجميع الأمور المستقبلية في الآخرة حقٌّ ثابتٌ، وواقعٌ لا محالة، والقيامة لا شكَّ في وقوعها، فآمنوا بذلك، واعملوا لما ينجيكم من العذاب، قلتم: لا نعرف ما القيامة، وإن نتوهم وقوعها إلَّا توهُمّاً مرجوحاً أو ظنًّا لا يقين فيه ولا علم، وما نحن بمتحققين ولا موقنين أنَّ القيامة آتيةٌ»[٨٣٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين نَحْويةٌ والمعنى بينهما متقاربٌ على رأي الطبري[٨٤٠].

فقراءة (الساعةَ) بالنصب تفيد أنّها معطوفةٌ على قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ والمعنى: (وإذَا قِيلَ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وإنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا)[٨٤١]، على أنَّ الجملتين متصلتان، وهما من تمام جملة مقول القول،

(٨٣٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٣٤.
(٨٣٩) التفسير المنير ج٢٥ ص٢٩٢.
(٨٤٠) انظر جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٩٦.
(٨٤١) انظر حجة القراءات ص ٦٢٦، معاني القراءات ج٢ ص٣٧٧، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٤٣٥.

سواءً أكان من كلام النبي ﷺ أو من كلام المؤمنين.

وأما قراءة ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ بالرفع تفيد أنها متبدأً وخبرها ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، على أنها استئناف بيانٍ، أو أنَّها معطوفةٌ على موضع (إنَّ) وما عملت فيه، والمعنى: (وإذا قيل: إنَّ وعدَ الله حقٌ، وقيل والساعة لا ريب فيها)[842]، وعلى ذلك ليس بالضرورة أن تكون الجملتان متصلتين فيمكن أن يقول الرسول ﷺ، أو المؤمنون جملةً منها، أو أن يقول الجملتان متصلتان، وفي كلتا الحالتين هم يشككون في آيات الله تعالى، وفي حقيقة البعث.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن شدة الحالة التي عليها الكفار من الإنكار والجحود لآيات الله تعالى ولحقيقة البعث وقيام الساعة، فهم في كلِّ حالٍ منكرون سواءً ذُكِّروا بآيات الله تعالى، أو بحقيقة البعث والحساب، أو بكلتيهما معاً.

١١ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية: ٣٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ (يَخْرُجُون) بفتح الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُخْرَجُونَ﴾ بضم الياء[843].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (١١) من سورة الزخرف[844].

(٨٤٢) انظر حجة القراءات ص٦٦٢، بحر العلوم ج٣ ص٢٢٨.
(٨٤٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٢، البدور الزاهرة ص٤٠٧.
(٨٤٤) انظر ص١٥٨ من هذا البحث.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن سبب العقاب الذي يصيب هؤلاء المشركين يوم القيامة، ودخولهم النَّار، والمعنى: «أي: ذلكم العذاب الذي وقع بكم بسبب أنَّكم اتخذتم القرآن هُزواً ولعباً، وخدعتكم الدنيا بزخارفها وزينتها، فاطمأننتم إليها، وظننتم ألَّا دار غيرها، ولا بعث ولا نشور، فاليوم لا يخرجون من النَّار، ولا يطلب منهم العتبى بالرجوع إلى طاعة الله، واسترضائه، لأنَّه يوم لا تقبل منه التوبة، ولا تنفعُ المعذرة»(٨٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كلتا القراءتين بياء الغيبة، فيهما التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة، وكان مقتضى الظاهر أنْ يقال: لا تَخْرُجون، بأسلوب الخطاب على نسق الخطاب السابق، ولكن عدل عن الخطاب إلى الغيبة تحقيراً وإهانةً لهم، قال أبو السعود: «وقرئ يَخْرُجُون من الخروج، والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانةً أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة النّار»(٨٤٦) إلَّا أنَّ كلَّ قراءةٍ لها أثرها في المعنى.

ففي قراءة (يَخْرُجُون) بفتح الياء وضم الراء، أضاف الفعل لهم، أي: هم الفاعلون، على معنى أنهم يريدون أن يخرجوا من النَّار مندفعين بأنفسهم فلا يستطيعون الخروج لأنَّ الله تعالى يمنعهم من ذلك، وهذا فيه إشارة إلى شِدَّة ما يلاقونه من عذاب الآخرة مما يدفعهم للخروج دون تفكير ويؤيده قول الله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢](٨٤٧).

وأمَّا في قراءة ﴿يُخْرَجُونَ﴾ بضم الياء، وفتح الراء، بالمبني للمفعول،

---

(٨٤٥) التفسير المنير ج٢٥ ص٢٩٣، انظر تفسير المراغي م٩ ج٢٥ ص١٦٦.

(٨٤٦) تفسير أبي السعود ج٥ ص١١٩، انظر روح المعاني ج٢٦ ص٢، فتح القدير ج٥ ص١٦.

(٨٤٧) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣٧٦.

فالمحكي عنهم مفعولٌ به قاموا مقام الفاعل، وفيه إشارةٌ إلى أنَّهم لا يستطيعون الخروج بأنفسهم، فيسألون من يُخرجهم من النَّار، فلا يُخرجهم أحدٌ، «لأنَّ الله لا يُخرجهم، ولا يَقدر غيره على ذلك»(٨٤٨).

قال ابن عاشورٍ: «قرأ الجمهور ﴿يُخْرَجُونَ﴾ بضم الياء، وفتح الراء، فالمعنى: أنَّهم يسألون من يُخرجهم، فلا يخرجهم أحد كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وقوله: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

وقرأ حمزة، والكسائي (يَخرُجون) بفتح الياء، وضم الراء، فالمعنى: أنَّهم يفزعون إلى الخروج فلا يستطيعون لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]»(٨٤٩).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ هؤلاء الكفَّار من شدة ما يذوقون من عذاب جهنَّم يفزعون إلى الخروج من النَّار مندفعين فلا يستطيعون لأنَّ الله تعالى يمنعهم من الخروج ثم يعمدون إلى التوسل إلى الله تعالى ليخرجهم، أو إلى الملائكة فلا يخرجهم أحدٌ، لأنَّ الله تعالى كتب عليهم ذلك، فعلى القراءتين سواءً أرادوا الخروج بأنفسهم، أو اعتذروا إلى الله تعالى وتوسلوا إليه فلن يخرجوا منها، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر: ٥٢].

(٨٤٨) نظم الدرر ج٧ ص١١١.

(٨٤٩) التحرير والتنوير م١٢ج٢٥ ص٣٧٦.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الأحقاف
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف: ١٢].

القراءات:

١ - قرأ المدنيان، وابن عامر، ويعقوب (لِتُنْذِرَ) بالتاء.
٢ - قرأ الباقون ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء[٨٥٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

الإنْذَار: هو الإعلام مع التخويف، قال الأصفهاني: «الإنذار: إخبارٌ فيه تخويفٌ كما أنَّ التبشير إخبارٌ فيه سرور، قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤]»[٨٥١].

يقال: أنذره الشيء: أعلمه به، وخَوَّفه منه، ويقال: تناذر القومُ: أي: أنذر بعضهم بعضاً شرّاً، أو خوَّفَ بعضُهم بعضاً منه[٨٥٢].

(٨٥٠) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، تحبير التيسير ص٢٠٦.

(٨٥١) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩٧.

(٨٥٢) انظر المعجم الوسيط ص٩٥١.

التفسير:

في سياق محاجَّة النبيِّ ﷺ المشركين لكفرهم بالقرآن وتكذيبهم النبيَّ ﷺ، وفي سياق إقامة الأدلة على صدق الرسول ﷺ وصحة القرآن، وأنَّه من عند الله تعالى، تأتي هذه الآية لتقيم الدليل على صدق القرآن الكريم وصحته، ومعنى الآية: «وممَّا يدلُّ على أنَّ القرآن حقٌّ وصدقٌ، وأنَّه من عند الله: اعترافكم بإنزال الله التوراة على موسى، الذي هو إمامٌ، وقدوةٌ يقتدى به في الدين، وهو رحمةٌ لمن آمن به، وهذا القرآن الموافق للتوراة في أصول الشرائع، مصدِّقٌ لكتاب موسى، ولغيره من الكتب الإلهية المتقدمة، أنزله الله حال كونه بلغةٍ عربيةٍ، واضحةٍ فصيحةٍ يفهمونها، من أجل أن يُنْذِرَ به هذا النبيُّ من عذاب الله الذين ظلموا أنفسهم وهم مشركو مكة، ويبشر به المؤمنين الذين أحسنوا عملاً، فهو مشتمل على النذارة للكافرين، والبشارة للمؤمنين، وهو ليس إفكاً قديماً كما يزعمون، بدليل توافقه مع التوراة»[(٨٥٣)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لِتُنْذِرَ) بالتاء على معنى المخاطبة أنَّ المقصود بذلك هو النبيُّ ﷺ خاصَّةً، والمعنى: لتنذر أنت يا محمد[(٨٥٤)]، وعلى هذا يكون وصف النبي ﷺ بأنَّه منذر، ووصف الكتاب بأنَّه بشرى للمحسنين[(٨٥٥)]، أي: هذا الكتاب مصدقٌ، وبشرى.

وأمَّا قراءة ﴿لِّيُـنذِرَ﴾ بالياء على معنى الخبر عنه، فإنَّها تفيد أنَّ الإنذار أسند إمَّا إلى الكتاب، وعلى هذا يكون «(لِتُنْذِرَ) علةً للكتاب باعتبار صفته وحاله»[(٨٥٦)]، وإمَّا إلى الرسول ﷺ، والمعنى: ليخوف محمدٌ ﷺ

(٨٥٣) التفسير المنير ج٢٦ ص٢٧.

(٨٥٤) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٣٢.

(٨٥٥) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٢٦.

(٨٥٦) المصدر السابق م١٢ ج٢٦ ص٢٦.

بالقرآن الذين ظلموا[٨٥٧]، أو إلى الله تعالى، والمعنى: لينذر الله تعالى الذين ظلموا، ويحتمل أن يكون الإنذار أسند إلى القرآن، وإلى الله تعالى، وإلى الرسول ﷺ في آنٍ واحدٍ «فيكون المعنى: لينذر القرآن، ولينذرَ الله تعالى، ولينذر محمدٌ ﷺ»[٨٥٨].

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى أنزل القرآن بهذه الصفات لينذر به الذين ظلموا، ويبشِّرَ به المحسنين، وأمرَ النبيَّ ﷺ أن ينذر ويخوف به الذين ظلموا أنفسهم وأشركوا بالله تعالى، لأنَّ هذا القرآن مشتمل على النذارة للكافرين، والبشارة للمؤمنين وهو مع ذلك موافقٌ للكتب السماوية السابقة.

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (خَوْفَ) بالفتح بدون تنوين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿خَوْفٌ﴾ بالضم مع التنوين[٨٥٩].

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (٦٨) من سورة الزخرف[٨٦٠].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ

---

(٨٥٧) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٣٢.

(٨٥٨) إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣١٦.

(٨٥٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٧، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٢.

(٨٦٠) انظر ص١٩٢ من هذا البحث.

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون ﴿إِحْسَٰنًا﴾ بزيادة همزةٍ مكسورةٍ قبل الحاء، وإسكان الحاء، وألفٍ بعد السين.

٢ ـ قرأ الباقون (حُسْناً) بضم الحاء، وإسكان السين من غير همزةٍ ولا ألفٍ(٨٦١).

٣ ـ قرأ الكوفيون، وابن ذكوان، ويعقوب ﴿كُرْهًا﴾ بضم الكاف.

٤ ـ قرأ الباقون (كَرْهاً) بفتح الكاف(٨٦٢).

٥ ـ قرأ يعقوب (وفَصْلُهُ) بفتح الفاء، وإسكان الصاد من غير ألفٍ.

٦ ـ قرأ الباقون ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ بكسر الفاء، وفتح الصاد، وألفٍ بعدها(٨٦٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ الحُسن: عبارةٌ عن كلِّ مبهجٍ مرغوبٍ فيه، وذلك ثلاثة أضرب:

مستحسن من جهة العقل، ومستحسنٌ من جهة الهوى، ومستحسنٌ من جهة الحس.

والحسنة يعبر عنها عن كل ما يسرُّ من نعمةٍ تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، وعكسها السيئة، وأمَّا الإحسان يقال على وجهين: أحدهما الإنعام على الآخرين، يقال: أحسن إلى فلانٍ، والثاني: إحسان في فعله،

(٨٦١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٣.

(٨٦٢) انظر تحبير التيسير ص٢٠٦.

(٨٦٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٣، تحبير التيسير ص٢٠٦.

وذلك إذا عمل عملاً حسناً، والإحسان أعمُّ من الإنعام، وهو فوق العدل، إذ إنَّ العدل أن يعطي الإنسان ما عليه ويأخذ أقل مما له، وأما الإحسان فهو أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له[٨٦٤].

٢ ـ الكره: قيل إنَّ الكَرْه، والكُرْه واحدٌ بمعنى المشقة، وقيل الكَره بالفتح: المشقة التي تنال الإنسان من الخارج فيما يُحمل عليه بإكراهٍ، أي: ما أكرهك عليه غيرُك، والكُره بالضم: ما يناله الإنسان من ذاته، وهو يعافُه، أي: ما أكرهت نفسك عليه، وهو قول الفراء[٨٦٥].

٣ ـ «الفصل: إبانة أحد الشيئين من الآخر، حتى يكون بينهما فرجةٌ، ومنه قيل المفاصل، الواحد مفصل، وفُصِلَتْ الشاة: قُطِعَتْ مفاصلها»[٨٦٦].

والفصال: الفطام، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مدى حمل المرأة إلى منتهى الوقت الذي يُفْصَلُ فيه الولد عن رضاعها ثلاثون شهراً، وفَصَلت المرأة ولدها أي: فطمته[٨٦٧].

التفسيـر:

بعد أن ذكر الله تعالى في آياتٍ سابقاتٍ توحيده ﷻ، وإخلاص العبادة له، والاستقامة في العمل، وجزاء المؤمنين الموحدِّين المستقيمين على الشريعة، أمرَ وَوَصَّى بِبِرِّ الوالدين، وخصَّ بالذِّكر في هذه الآية البارَّ بوالديه بعد بلوغه الأربعين عاماً، وبشَّرَه بقبول أعماله الصالحة، والتجاوز عن سيئاته، وجعله في عداد أصحاب الجنَّة.

قال المراغي: «﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ أي: أمرناه بالإحسانِ إليهما والحنو عليهما والبرِّ بهما في حياتهما، وبعد مماتهما، وجعلنا البرَّ

(٨٦٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٥.

(٨٦٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٠٧، لسان العرب ج١٣ص٥٣٤.

(٨٦٦) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٣٨.

(٨٦٧) انظر لسان العرب ج١١ ص٥٢٢.

بهما من أفضل الأعمال، وعقوقهما من الكبائر، والآيات، والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ، ثم ذكر سبب التوصية، وخصَّ الكلام بالأم لأنَّها أضعف وأولى بالرعاية، وفضلها أعظم كما ورد في صحيح الأحاديث، ومن ثم كان لها ثلثا البر، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: إنَّها قاست في حمله مشقَّةً وتعباً من وحم وغثيانٍ، وثقلٍ إلى نحو أولئك مما ينال الحوامل، وقاست في وضعه مشقَّةً من تعبِ الطلق وألم الوضع، وكل هذا يستدعي البِرَّ بها واستحقاقها الكرامة وجميل الصحبة، ثمَّ بيَّن سبحانه مدة حمله وفصاله، فقال: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ أي: ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهراً تكابدُ الأمُّ فيها الآلام الجسمية والنفسية، فتسهر الليالي ذواتِ العدد إذا مرض، وتقوم بغذائه، وتنظيفه، وكل شئونه بلا ضجرٍ ولا ملالٍ، وتحزن إذا اعتلَّ جسمه، أو ناله مكروه يؤثر في نموه وحسن صحته»[٨٦٨].

قال الشوكاني: «وقد استدل بهذه الآية على أنَّ أقلَّ الحمل ستة أشهر، لأنَّ مدة الرِّضاع سنتان»[٨٦٩]، فذكر في هذه الآية أقلَّ مدة الحمل، وأكثر مدة الرِّضاع.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: إذا بلغ كمال قوته وعقله، قيل: الأشد: سنُّ الحلم، وقيل: إذا بلغ عمره ثماني عشرة سنة، وإذا بلغ أربعين سنة ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ أي: ألهمني ووفقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾، أي: ألهمني شكر نعمتك عليَّ بالهداية، وعلى والديَّ حتى ربياني صغيراً ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ أي: ووفقني أن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ أي: اجعل ذريتي صالحين متمكنين في الصلاح، ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: إنِّي يا رب تبتُ إليك من جميع الذنوب، وإنِّي لك من المنقادين لطاعتك المخلصين لتوحيدك[٨٧٠]. قال ابن كثيرٍ: «وفي الآية إرشادٌ لمن بلغ الأربعين

(٨٦٨) تفسير المراغي م٩ ج٢٦ ص١٧.

(٨٦٩) فتح القدير ج٥ ص٢٦.

(٨٧٠) انظر المصدر السابق ج٥ ص٢٦.

أن يجدِّد التوبة، والإنابة إلى الله ﷻ ويعزم عليها»[871].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ ذهب بعض العلماء إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين (حُسْناً، وإحْسَاناً) لغوية فقط ومعناهما واحدٌ، قال الفراء: «قرأها أهل الكوفة بالألف، وكذلك هي في مصاحفهم، وأهل المدينة، وأهل البصرة يقرءون: (حُسناً) وكذلك هي في مصاحفهم، ومعناهما واحدٌ والله أعلم»[872]، على معنى: ووصينا الإنسان، وأمرناه بأن يحسن إلى والديه إحساناً أو حسناً.

إلَّا أنَّ مكي بن أبي طالب قال: «قوله ﴿بِوَالِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ فقرأه الكوفيون (إحساناً) على وزن (إفعالاً) مثل (إكرام) وقرأه الباقون (حُسْناً) على وزن (فُعْلٍ) مثل (قُفْلٍ) وحجة من قرأ على وزنً (إفعالٍ) أنه جعله مصدراً لـ (أحسن) على تقدير: أن أحسن إليهما إحساناً. وحجة من قرأ على وزن (فُعْلٍ) أنَّه على تقدير حذف مضافٍ وحذف موصوفٍ، تقديره: ووصينا الإنسان بوالديه أمراً ذا حُسنٍ، أي: ليأت الحسن في أمرهما، فحذف المنعوت، وقام النعت مقامه وهو (ذا)، ثم حذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه، وهو حسنٌ»[873].

فما ذكره مكي بن أبي طالب لا يعني أنَّ القراءتين بمعنىً واحدٍ، حيث إنَّ قراءة (إحساناً) فيها زيادة الألف، وزيادة المبنى تدلُّ على زيادةٍ في المعنى، وما ورد في قواميس اللغة يثبت ذلك، وبناءً على ما تقدم فإنَّ قراءة (إحساناً) تضيف معنىً زائداً على قراءة (حُسْناً)، فالحسن هو: الوقوف عند حدِّ الواجب في التعامل مع الوالدين، فتكون هذه القراءة قد أشارت إلى أنَّ الإنسان ملزمٌ بأن يحسن إلى والديه ويعطيهما حقهما وواجبهما عليه، دون

(٨٧١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٦٠.

(٨٧٢) معاني القرآن للفراء ج٣ ص٥٢.

(٨٧٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٢، انظر القراءات وأثرها في علوم العربية ج١ ص٦٦٨.

أن تشير إلى الإكرام الزائد عليهما، ويحتمل أن تكون هذه القراءة في حقِّ الأبوين الكافرين، وأما قراءة (إحساناً) ففيها مبالغة الإحسان والإكرام إليهما بما يزيد على حدِّ الواجب فلا يقف عند حدِّ ما أوجبهُ الله عليه، بل لا بد أن يزيد في الإنعام والإكرام عليهما، ويحتمل أن تكون هذه القراءة في حق الأبوين المؤمنين.

ويؤيد ما سبق قول الشعراوي: «كلمة (الإحسان): تدل على المبالغة في العطاء الزائد. . .الَّذي نسميه مقام الإحسان»(٨٧٤). وقال: «الإحسان: هو أن تفعل فوق ما كلّفك الله مستشعراً أنَّه يراك، فان لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسان من أحسن، فيكون معناها أنَّه ارتضى التكاليف، وزاد على ما كلَّفه»(٨٧٥). وقال أيضاً: «كأنَّه يقول لك في الآية التي نحن بصددها: إيَّاك أن تعمل مع والديك القدر المفروض فقط، بل أَدخل في برِّهما، والإنعامِ عليهما، والتلَطُّفِ بهما، والرحمة لهما، وذلة الانكسار فوق ما يطلبَ منك»(٨٧٦).

٢ ـ ذهب بعض علماء التفسير إلى أن القراءتين (كُرْهاً) بالضم (وكَرْهاً) بالفتح بمعنىً واحدٍ، وهما لغتان مثل: الضُّعف والضَّعف، والشَّهد والشُّهْدِ(٨٧٧)، قال الشوكاني: «قرأ الجمهور (كُرْهاً) في الموضعين بضم الكاف، وقرأ أبو عمرو، وأهل الحجاز بفتحهما. قال الكسائي: وهما لغتان بمعنىً واحدٍ، قال أبو حاتم: (الكَرْه) بالفتح لا يُحسَن لأنَّه الغضب والغلبة»(٨٧٨).

إلَّا أنَّه لا ينبغي لأبي حاتمٍ أن يردَّ قراءةً منهما أو يفاضل بينهما لأنَّ القراءتين متواترتان، ولكلِّ قراءةٍ أثرها في المعنى، وعلى ذلك فإنَّ قراءة

(٨٧٤) تفسير الشعراوي ج٤ ص٢١٩ عند تفسيره للآية (٣٦) من سورة النساء.
(٨٧٥) المصدر السابق ج٤ ص٢٢١ عند تفسيره للآية (٣٦) من سورة النساء.
(٨٧٦) نفس المصدر السابق ج٤ ص٢٢١ عند تفسيره للآية (٣٦) من سورة النساء.
(٨٧٧) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٨٦، الكشف ج٢ ص٢٧.
(٨٧٨) فتح القدير ج٥ ص٢٥، انظر روح المعاني ج٢٦ ص١٧.

(كُرْهاً) بالضَّم أفادت معنى المشقة أي: حملته أمُّه على مشقَّةٍ وألمٍ، ووضعته على مشقةٍ وألمٍ.

وأمَّا قراءة (كَرْهاً) بالفتح، فقد أفادت معنى الغلبة والقهر، أي: حملته أمُّه على مشَقَّةٍ وهي كارهة لأحوال ذلك الحمل، ووضعته على مشقَّةٍ وألمٍ وهي كارهةٌ لوضعه[٨٧٩].

٣ ـ ذهب بعض العلماء إلى أنَّ قراءتي (فَصْلُه) و(فِصَالُه) لغتان بمعنىً واحدٍ، على أنَّهما مصدران كالفطم والفطام[٨٨٠]. وردَّ الطبري قراءة (فَصْلُه) بدون ألف، واعتبرها شاذةً فقال: «واختلف القراء في قراءة قوله: (وَفِصَالُه) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار، غير الحسن، (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُه) بمعنى فاصلته أمُّه فصالاً ومفاصلةً، وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (وَحَمْلُهُ وفَصْلُه) بفتح الفاء بغير ألفٍ بمعنى: وفصل أمُّه إياه، والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه، وشذوذ ما خالفه»[٨٨١].

والصحيح أنَّه لا يحق للإمام الطبري أنْ يطعن في قراءةٍ متواترةٍ أو يردَّها، لأنَّ القراءات المتواترة جميعها وحيٌ من الله تعالى، ولا تفاضل بينها، ويرى الباحث أنَّ كلَّ قراءةٍ من القراءتين أفادت معنىً، فقراءة (فَصْلُه) أفادت معنى الفطم إذا فطمته أمُّه مرةً واحدةً من طرفها أي أن الفعل يقع من طرف الأم.

وأمَّا قراءة (فِصَالُه) فقد أفادت معنى الفطام إذا فاصلته أمُّه مع وقوع الفعل على التراخي من طرفين لأن الفعل على صيغة (المفاعلة) التي تفيد المشاركة في الفعل، وعلى هذا يكون المعنى أنَّه فاصل أمَّه، وفاصلتهُ أمُّه،

---

(٨٧٩) انظر حجة القراءات ص٦٦٤، الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٨٦، التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦.

(٨٨٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٨٥ عند تفسيره للآية (١٤) من سورة لقمان.

(٨٨١) جامع البيان ج٢٦ ص١١.

وعلى هذا يتضح أن مدة الحمل مع نهاية الرضاع ثلاثون شهراً فإذا بلغ هذه المدة تفصله أمُّه أو أنه يفصل نفسه.

قال ابن عطية: «قرأ جمهور النَّاس: (وَفِصَالُه) وذلك أنَّها مفاعلةٌ من اثنين، كأنه فاصل أمّه وفاصلته، وقرئ (فَصْلُه) كأنَّ الأم هي التي فصلته»(٨٨٢).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتضح أنَّ الله تعالى وَصَّى الإنسان بأن يحسن إلى والديه سواء كانا كافرين، ـ فعليه أن يؤدي الواجب الذي فرضه الله عليه تجاههما ـ أو كانا مؤمنين فعليه أن يبالغ لهما في الإكرام والإنعام أكثر مما فرضه الله عليه لأنهما يستحقان أكثر من ذلك فأمُّه حملته على مشقَّةٍ وألم ووضعته على مشقةٍ وألم وهي كارهةٌ لأحوال الحمل، لشدة ما تعانيه من آلام، ولكنها احتملت ذلك على غلبةٍ وقهرٍ، وبَيَّنَت الآية أنَّ مدة الحمل مع الرَّضاع ثلاثون شهراً وعليه فإنه إذا بلغ الطفل نهاية مدة الرَّضاع فعلى الأم أن تفصله، فالطفل يكون مهيأً للفصل واستجابته لذلك تكون كبيرةً وهذا ما يتضح من قراءة (فِصَالُه) التي تدل على أنَّ الفصال يقع من الطفل ومن الأم أيضاً وهي نهاية ما يحتاج إليه الطفل من الرَّضاع، والله تعالى أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ، وحفصٌ ﴿نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ، وَنَتَجَاوَزُ﴾ بنون مفتوحة في الفعلين ونصب (أحسنَ).

٢ ـ قرأ الباقون (يُتَقَبلُ عنهم أحسنُ، ويُتَجَاوَزُ) بالياء المضمومة في

(٨٨٢) المحرر الوجيز ج٥ ص٩٧.

الفعلين، وبرفع (أحسنُ)[٨٨٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ تجاوز عن الشيء: أغضى وعفا عنه، ويُقال: تجاوز عن الذنب، أي: لم يؤاخذ به[٨٨٤].

ويُقال تَجَوَّز في هذا: أي: احتمله، وأغمض فيه، وعن ذنبه: لم يؤاخذ به، كتجاوز وجاوز[٨٨٥].

٢ ـ التقبل: هو «قبول الشيء على وجه يقتضي ثواباً كالهداية ونحوها»[٨٨٦].

التفسير:

بعد أن وصَّى الله تعالى ببرِّ الوالدين، والإحسان إليهما، بيَّن في هذه الآية الكريمة، أنَّ هؤلاء الذين يتصفون بهذه الصفات الكريمة من برِّ الوالدين، وطاعة الله تعالى، هم الذين يتَقبل الله منهم الحسنات التي عملوها، ويتجاوز عن زلَّاتهم، ويغفرها لهم في جملة أصحاب الجنَّة الذين يكرمهم الله تعالى بالعفو والغفران، وذلك بوعدٍ صادقٍ من الله تعالى، وعدهم به على ألسنة الرسل في الدنيا، بأن يتقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم[٨٨٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ ـ ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾ بنون العظمة إسناد الفعل من الله

---

(٨٨٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٣، تحبير التيسير ص٢٠٧.

(٨٨٤) انظر المعجم الوسيط ص١٦٨.

(٨٨٥) انظر القاموس المحيط ص٤٥٦.

(٨٨٦) لسان العرب ج١١ ص٥٣٦.

(٨٨٧) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص١١.

تعالى إلى نفسه، فهو يخبر عن نفسه، والمعنى: نحن نتقبل عنهم، ونتجاوز عن سيئاتهم، وذلك على نسق قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ ليأتلف الكلام على نظامٍ واحدٍ[888]. قال مكي بن أبي طالب: «حجة من قرأ بالنون أنَّه حمله علىَ الإخبار من الله جلَّ ذكره عن نفسه بالتقبل والمجازاة، وحَسُن ذلك، لأنَّ قبله إخباراً عن الله جلَّ ذكره عن نفسه في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾، ونَصَبَ (أحسَنَ) بوقوع يتقبل عليه»[889].

وأمَّا القراءة الثانية (يُتَقبَل) بياء الغيبة فإنَّه بنى الفعل للمفعول وأقام (أحسنُ) مقام الفاعل فرفعه، ولم يسمِّ الفاعل لأنه معلومٌ بديهةً أنَّ المتقبل هو الله تعالى، فبناؤه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل[890].

الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين أفادتا أنَّ الفاعل هو الله تعالى وهو الذي يتقبل من عباده أحسن أعمالهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، سواءً قرأته بالياء أو بالنون، إلَّا أنَّ إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة فيه مزيد تشريفٍ وتكريمٍ للمؤمنين المتقين، وبيانٌ لعنايته بهم.

وأمَّا قراءة المبني للمفعول ففيها بيانٌ ليسر وسرعة تقبل الله تعالى أعمالهم الصالحات وغفرانه لسيئاتهم وفي ذلك ترغيبٌ لهم بعمل الصالحات والإكثار منها.

فالقراءتان معاً بيّنتا منزلة هؤلاء المؤمنين المتقين ـ الذين يقدمون لله تعالى أحسن ما عندهم ـ عند الله تعالى.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ

(٨٨٨) انظر حجة القراءات ص٦٦٤، إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣١٧.

(٨٨٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٢.

(٨٩٠) انظر مجمع البيان م٦ ج٢٦ ص١٢، التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص١٢.

إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف: ١٧].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب، وابن عامرٍ، وابن كثيرٍ (أُفَّ) بفتح الفاء من غير تنوينٍ.

٢ ـ قرأ نافع، وحفصٌ، وأبو جعفر ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء مع التنوين.

٣ ـ قرأ الباقون (أُفِّ) بكسر الفاء من غير تنوينٍ(٨٩١).

المعنى اللغوي للقراءات:

أف: هو صوتٌ ينبىء عن تضجرٍ وكراهةٍ، قال الأصفهاني: «أصل الأف: كل مستقذرٍ من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراها، ويقال ذلك لكلٍّ مستخفٍ به استقذاراً له، نحو: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، وقد أَفَّفْت لكذا: إذا قلت ذلك استقذاراً له، ومنه قيل للضجر من استقذار شيءٍ: أَفَّفْ فلان»(٨٩٢).

التفسير:

بعد أن أمر الله تعالى عباده المؤمنين ببرِّ الوالدين والإحسان إليهما، وبيَّن حال الداعين للوالدين البارِّين بهما، وما لهم من فوزٍ ومغفرةٍ وأجرٍ عظيم عند الله تعالى يوم القيامة، يعرض في هذه الآية الكريمة صورةً متقابلةً من أصحاب الصنف الثاني، الذي لم يرعَ في الله حقاً، ولم يرع لوالديه حرمةً، وردَّ الجميل بالقبيح، وجازى الحسنة بالسيئة، فهذا والداه قد تعبا في تربيته، وسهرا لراحته، ورعياه حتى اكتمل، واجتهدا في نصيحته ودعوتهِ إلى الإسلام والإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فلم يزده دعاؤهما إيَّاه إلى الحقِّ ونصيحتهما له إلَّا عُتُوّاً وتمرُداً على الله تعالى،

---

(٨٩١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٢٣٠، إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٤.

(٨٩٢) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩.

وتمادياً في جهله واستكباره، فقال لهما: أفٍّ لكما أتعدانني أنْ أُبعث بعد الموت وأنْ أُخرجَ من القبر للحساب، وقد مضت قرونٌ من الأمم قبلي ومضت آلاف السنين، ولم يُبعَثْ منهم أحدٌ. ووالداه يستصرخان الله عليه، ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله ويقرَّ بالبعث، ويلجآن إلى الله أن يرشده ويهديه، ويقولون له: ويلك وهلاكك آمن مع المؤمنين، لأنَّ وعد الله حقٌّ، وقد وعد المؤمنين بالثواب، والكافرين بالعقاب، فيردُّ عليهما قائلاً: ما هذا الذي تقولونه إلَّا من أساطير وأباطيل الأولين[٨٩٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أنَّ القراءات الثلاث بمعنى واحدٍ والاختلاف فيها من قبيل اللغات. قال البغوي: «﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ فيه ثلاث لغاتٍ، قرأ ابن كثير وابن عامرٍ ويعقوب: بفتح الفاء، وقرأ أبو جعفر ونافع وحفص بالكسر والتنوين، والباقون بكسر الفاء غير منون ومعناها واحدٌ وهي كلمة كراهيةٍ»[٨٩٤].

وقال مكي ابن أبي طالبٍ: «وأصل (أُف) المصدر من قوله: أُفَه وتُفه، أي: نَتْناً ودَفْراً، وهو اسمٌ سُمِّي به الفعل، فبنيَ على فتح أو على كسرٍ أو على ضمٍّ، منون أو غير منونٍ، ذلك جائزٌ فيه لأنَّ فيه لغَاتٌ مشهورةٌ. فمن نوَّنه قدَّر فيه التنكير، ومن لم ينوِّنه قدَّر فيه التعريف، ومعناه لا يقع منك لهما تكَرُّهٌ وتضجُّرٌ»[٨٩٥].

إلَّا أنَّ كلَّ قراءةٍ من القراءات الثلاث لها دلالتها على المعنى حسب ما تفيده كلُّ حركةٍ على آخر الكلمة.

---

(٨٩٣) انظر جامع البيان م١١ ج٢٦ ص١٣ ـ ١٤، التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص١١.

(٨٩٤) معالم التنزيل ج٣ ص٩١ عند تفسيره للآية (٢٣) من سورة الإسراء، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٨٩، فتح القدير ج٥ ص٨٢.

(٨٩٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٤٢، عند حديثه عن الآية (٢٣) من سورة الإسراء.

فقراءة (أُفَّ) بالفتح أفادت تعريف (أُف) وهو الصوت المعروف لدى النَّاس بالتأفف وهو الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوجز كلمة. وفي ذلك دلالةٌ على النهي عن التأفف المتعارف عليه ولو كان بسيطاً.

وأمَّا قراءة (أُفِّ) بالكسر بدون تنوينٍ أفادت تعريف (أُف) أيضاً ولكنَّه التأفف البسيط الذي يحملِ الأذى باللسانِ، أو بالحركة، ولكن بدرجةٍ أقل من سابقه. وفي ذلك دلالةٌ على النهي عن التأفف ولو بأقل ما يسمع من صوتٍ.

وأمَّا قراءة ﴿أُفٍّ﴾ بالكسر مع التنوينِ فقد أفادت تنكير (أُف) وهو أيُّ صوتٍ أو تذمُرٍ غير متعارفٍ عليه ولو كان بسيطاً جدّاً. وفي ذلك دلالة على النهي عن أي تذمُرٍ ولو كان غير متعارفٍ عليه.

قال أبو علي الحسن الفارسي: «من نوَّنَ فقال: (أُفٌّ) جعله نكرةً مثل غاقٍ وصهٍ، ونحو ذلك من الأصوات، وهذا التنوين في الصوت دليل التنكير، ومن لم يُنوِّن جعله معرفةً، كأنَّه في المعنى الصوت الذي يُعرف، وكلُّ واحدٍ من الكسرِ والفتح، إنَّما هو لالتقاء الساكنين، فأمَّا التنوين فدليل التنكير، وحذفه دليل التعريف»(٨٩٦).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّنُ أنَّ كلَّ أنواع التذَّمُرِ والتضجُّر المتعارف عليه وغير المتعارف عليه ولو كان قليلاً ولو بأيسر جزءٍ من لفظةٍ أو حركةٍ فيها أذى، بصوتٍ أو بدون صوتٍ فمنهيٌّ عنها.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأحقاف: ١٩].

(٨٩٦) الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٩٩، انظر إعراب القراءات السبع وعللها ج١ ص٣٦٧ عند حديثه عن الآية (٢٣) من سورة الإسراء.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، والبصريان، وعاصم ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون (ولنُوَفِّيَهُم) بالنون[٨٩٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

الوفاء: هو التمام، والوافي: الذي بلغ التمام، فيقال: درهمٌ وافٍ، وأوفيت الكيل والميزان، أي: أتممته، وأوفى: إذا تمَّم العهد ولم ينقض حفظه، وضده الغدر[٨٩٨]. ومن قال أوفى فمعناه: أوفاني حقَّه، أي: أتمَّه ولم ينقص منه شيئاً، والوفِيُّ: الذي يعطي الحقَّ ويأخذ الحقَّ[٨٩٩].

التفسيـر:

يبيِّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة مراتب ودرجات كلٍّ من الفريقين يوم القيامة، فريق المؤمنين المحسنين، وفريق الكافرين المسيئين، «ولكلِّ فريقٍ من الفريقين المؤمنين المحسنين الأبرار، والكافرين الأشقياء المسيئين الأشرار من الجنِّ والإنس مراتب، ومنازل عند الله يوم القيامة إما عُليَا، وإما دُنيَا، من جزاء ما عملوا من الخير والشر، ومن أجل ما عملوا منها، وليوفيهم جزاء أعمالهم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وهم لا يظلمون شيئاً بنقص ثوابٍ أو زيادة عقابٍ، ولا يظلمهم الله مثقال ذرةٍ فما دونها»[٩٠٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ليُوفِّيَهُم) بياء الغيبة أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه أنه

---

(٨٩٧) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٣، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٩.

(٨٩٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٨.

(٨٩٩) انظر اللسان ج١٥ ص٣٩٨.

(٩٠٠) التفسير المنير ج٢٦ ص٤٤.

سيحاسب كلاًّ بعمله ليوفيهم جزاء أعمالهم كاملةً دون نقصِ ثوابٍ أو زيادة عقابٍ، وذلك على نسق قوله تعالى: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف: ١٧][٩٠١] أو على نسق قوله تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ، وَنَتَجَاوَزُ﴾ [الأحقاف: ١٦] والمعنى: (يتقبل الله، ويتجاوز، وليوفيهم أعمالهم)، وذلك ليأتلف الكلام على نظامٍ واحدٍ[٩٠٢].

وأمَّا قراءة (لِنَوَفِيَهُم) بالنُّون فقد أفادت أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه بنون العظمة أنَّه سيحاسب كلاًّ بعمله يوم القيامة ليُوفيهم جزاء أعمالهم، على معنى: لنوفِيَهم نحن أعمالهم، وحجتهم في ذلك أنَّها جاءت عقيب قوله تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ، وَنَتَجَاوَزُ﴾ [الأحقاف: ١٢] ليأتلف الكلام على نسقٍ واحدٍ[٩٠٣]. وفي هذه القراءة التفاتٌ من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة تعظيماً لله تعالى.

الجمع بين القراءتين:

كلتا القراءتين أفادتا الإخبار من الله ﷻ عن نفسه أنه سيحاسب كلًّا بعمله ويوفيهم جزاء أعمالهم كاملةً دون نقصان ثوابٍ أو زيادة عقابٍ، إلَّا أنَّ إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة فيه مزيد عنايةٍ بالمؤمنين وترغيبٌ لهم بالإكثار من الحسنات وتشويقٌ لهم ليوم الجزاء، وبقدر ذلك فيه مزيد تهديدٍ ووعيدٍ بالعقاب للكافرين المسيئين والانتقام منهم على قدر ما عصوا الله تعالى وأساءوا في حياتهم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ

---

(٩٠١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٣.

(٩٠٢) انظر حجة القراءات ص ٦٦٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٣٤٥، عند الحديث عن الآية (٥٧) من سورة آل عمران.

(٩٠٣) انظر معاني القراءات ج٢ ص٣٨١، حجة القراءات ص٦٦٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٣.

ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن ذكوان، وروحٌ (أَأَذْهَبْتُم) بهمزتين مفتوحتين محققتين من غير مدٍّ. وابن كثيرٍ، وأبو جعفر، ورويس بهمزتين محققة فمسهلة. وهشام، وأبو جعفر أطول مدّاً على أصلهما في قراءة الهمز.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزةٍ واحدةٍ على الخبر[٩٠٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

الذهاب: السير والمرور، يقال: يَذهبُ ذهاباً، والمذهب: مصدر، كالذهاب، وذهب به وأذهَبَه غيره: أزاله[٩٠٥]، ويقال: ذهب الأثر: زال وامَّحَي، ويقال: ذَهَبَتْ به الخُيَلاءُ: أزالته عن وقاره[٩٠٦].

التفسير:

بعد بيان إيصال الحق لكل إنسانٍ واستيفاء جزاء أعماله كاملاً دون نقصٍ يوم القيامة، بيَّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أحوال العقاب وأهوال القيامة التي يتعرض لها الكفار المجرمون يوم القيامة، ومعنى الآية: «واذكر أيها النبيُّ لقومك حين تعرض النَّار على الكفَّار، يعذبون فيها، أو ينكشف الغطاء، فينظرون إلى النَّار، ويقربون منها، فيقال لهم تقريعاً وتوبيخاً: استوفيتم وأخذتم لذائذكم في الدنيا، وتمتعتم بها، باتباع الشهوات، واللَّذات في معاصي الله سبحانه دون مبالاةٍ بالذنب، وتكذيباً منكم لما جاءت به الرُّسل من الوعد بالحساب، والعقاب، والثواب، فلم

(٩٠٤) انظر البدور الزاهرة ص٤٠٩، تحبير التيسير ص٢٠٧.

(٩٠٥) انظر لسان العرب ج١ ص٣٩٣.

(٩٠٦) انظر المعجم الوسيط ص٣٤٠.

يبق لكم بعد استيفاء حظوظكم شيءٌ منها، ففي هذا اليوم تجازون بالعذاب الذي فيه ذلٌ لكم، وخزيٌ عليكم، وإهانةٌ بسبب تكبركم عن عبادة الله، والإيمان به، وتوحيده، وخروجكم عن طاعة الله، وعملكم بمعاصيه»[٩٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزةٍ واحدةٍ أنَّ الكلام خبرٌ عنهم، أي: يقال لهم ذلك على سبيل التقريع والتوبيخ لهم، والمعنى: ويوم يُعرَضُ الذين كفروا على النَّار يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾[٩٠٨].

وأمَّا قراءة (أَأَذْهَبْتُم) بهمزتين الأولى للاستفهام والثانية ألف القطع بدون مدٍّ بينهما، فقد أفاد الاستفهام الإنكار والتقريع والتوبيخ مع التهديد والوعيد، الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ . . .﴾ «والمعنى والله أعلم: أأذهبتم طيباتكم وتلتمسون الفرج؟ هذا غير كائنٍ»[٩٠٩]. قال البقاعي: «(أَذْهَبْتُم) في قراءة نافع، وأبي عمرو، والكوفيين بالإخبار، وقراءة الباقين بالاستفهام لزيادة الإنكار والتوبيخ»[٩١٠].

وأمَّا قراءة (ءاأَذْهَبْتُم) بهمزتين مع المد بينهما، فقد أفادت ما أفادته قراءة (أَأَذْهَبْتُم) بهمزتين بدون مدٍّ، مع الإنكار والتوبيخ، إلا أنَّ فيها المبالغة والشدة في الإنكار على هؤلاء الكفار، وفيها زيادة تقريع وتوبيخٍ وتشنيعٍ لهم على فعلهم، مع زيادة التهديد والتخويف، ممَّا يدل على شدة معصيتهم لله تعالى وإنكارهم لنعمه ولذلك جاءت قراءة الاستفهام مع المد لتدل على عظم معصيتهم، وكبر جرمهم في حق الله تعالى.

(٩٠٧) التفسير المنير ج٢٦ ص٤٥.

(٩٠٨) انظر حجة القراءات ص٦٦٥.

(٩٠٩) المصدر السابق ص٦٦٥.

(٩١٠) انظر نظم الدرر ج٧ ص١٣٣.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ الله تعالى يخبر عمَّا سيحدث مع هؤلاء الكفار المجرمين يوم القيامة حيث سيقف الذين كفروا على النَّار فيرون سعيرها ثم يلقون فيها، ويقال لهم على سبيل الزجر والتأنيب والتقريع والتوبيخ ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ضيعتم وأتلفتم الطيبات التي أنعم الله بها عليكم في حياتكم الدنيا، لأنَّهم لم يذكروا الله حقَّ ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمره ونهيه ﷻ، ولذلك يقال لهم تهديداً ووعيداً ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[(٩١١)].

٨ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأحقاف: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو (أُبْلِغُكُم) بسكون الباء، وتخفيف اللام.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَأُبَلِّغُكُم﴾ بفتح الباء وتشديد اللام[(٩١٢)].

المعنى اللغوي للقراءات:

البلاغ في اللغة له عدة معانٍ ومنها: البلاغ بمعنى الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكاناً كان أو زماناً، أو أمراً من الأمور، والبلاغ: بمعنى الكفاية، والبلاغ: بمعنى التبليغ، ومنه الإبلاغ: بمعنى الإيصال، يقال: بَلَّغْتُ القوم بَلاغاً وهو اسمٌ يقوم مقام التبليغ، بمعنى: أوصلتُ لهم رسالةً أو كلاماً، وأَبْلَغْتُهُ، وبَلَّغْتُه: بمعنىً واحدٍ[(٩١٣)].

---

(٩١١) انظر نظم الدرر ج٧ ص١٣٣، التفسير الوسيط م١٣ ج٢٦ ص٣٥.

(٩١٢) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٥، المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٩٤.

(٩١٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١٤٤، لسان العرب ج٨ ص٤١٩.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن هودٍ عليه السلام، إذ أرسله الله تعالى إلى قوم عادٍ كبقية الرسل إلى أقوامهم، لينذرهم من عذاب الله تعالى، ويبلِّغهم رسالة ربِّه، فما كان منهم إلَّا أنْ صدُّوا عن دعوة الله تعالى، وطلبوا منه أنْ يأتيهم بما يعدهم من عذابٍ إنْ كان صادقاً، مستبعدين أن يقع ذلك، فقال لهم عندئذٍ: «إنَّما العلم عند الله، فهو وحده الذي يعلم متى يأتي العذاب، وإنَّما أنا رسولٌ فقط لا علم لي بشيءٍ وظيفتي البلاغ، أبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكنِّي أراكم قوماً تجهلون الحقائق العامة»(٩١٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أُبْلِغُكُم) بالتخفيف: أنَّ مهمَّة الرسول هي إبلاغ الرِّسالة التي أمره الله تعالى بها مطلق تبليغٍ إلى قومه بإيصالها إليهم دون بذل الجهد في التبليغ، وهي تدل على قصرِ الفعل وسرعته بدون مبالغةٍ في الفعل وإلحاحٍ عليهم بتقبل سبل الهداية.

وأمَّا قراءة ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتشديد: فإنَّها تفيد أنَّ مهمَّة الرسول هي تبليغ الرسالة التي أمره الله تعالى بها مع المبالغة في الفعل والتكرار وبذل كامل الجهد في إيصالها إليهم لإقامة الحجة عليهم، «والمعنى: أنَّ الذي شأني وشرطي: أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصَّرْفِ عمَّا يعرِّضُكم لسخط الله بجهدي»(٩١٥).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ مهمة الرسل هي إبلاغ الرِّسالة التي أمرهم الله تعالى بها، بما فيها من إنذارٍ ووعيدٍ بعذاب الله تعالى، إن لم يؤمنوا بها وذلك مجرد إيصالٍ وإبلاغٍ، ولكن لمزيد إقامة الحجة عليهم،

---

(٩١٤) التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص١٤.

(٩١٥) الكشاف ج٣ ص٥٢٤.

يبذل الرسل كامل جهدهم ووقتهم في دعوتهم إلى الله تعالى وإقناعهم بها، وصرفهم عن عذاب الله تعالى أن يحقَّ بهم، فإن لم يؤمنوا، بعد ذلك ينزل بهم عذاب الله تعالى، وتقام عليهم الحُجَّةُ يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب، وعاصمٌ، وحمزة، وخلفٌ ﴿يُرَىٰٓ﴾ بضم الياء وفتح الراء، و﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾ بضم النون.

٢ ـ قرأ الباقون (تَرَى) بتاءٍ مفتوحةٍ على الخطاب، و(مَسَاكِنَهُم) بفتح النون[٩١٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٢٩) من سورة فصلت[٩١٧].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن عذاب قوم هودٍ عليه السلام إذ كذَّبوا نبيَّهم هوداً عليه السلام، وصدُّوا أنفسهم عن دعوة الله تعالى، فأرسل الله عليهم ريحاً فيها عذابٌ مؤلمٌ شديدٌ عاصفٌ تخرِّبُ وتهلك كلَّ شيءٍ تمرُّ عليه من النَّاس، والدواب، والأموال، بأمرِ الله تعالى، ولم يسلم من هذا العذاب إلَّا هودٌ عليه السلام ومن آمن معه، فأصبحوا بعد هذا العذاب لا يُرى من آثارهم إلا مساكنُهم لتبقى شاهدةً عليهم، ولتكون عبرةً لمن بعدهم، وبمثل هذه العقوبة

(٩١٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٣، المستنير في القراءات العشر ص٤٠٤.

(٩١٧) انظر ص ١٠٠ من هذا البحث.

يجزي الله تعالى الكافرين المجرمين(٩١٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يُرَىٰ﴾ بالضم على المبني للمفعول ورفع ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾ على أنَّها نائب فاعلٍ، أنَّ الفعل (يُرَى) عامٌ للجميع لكل من تتأتى منه الرؤية في ذلك الوقت وفي كل وقتٍ والمعنى: لا يُرى شيءٌ إلا مساكنهم ما زالت قائمةً لأنَّهم هلكوا جميعاً(٩١٩).

وأمَّا قراءة (تَرَى) بالتاء المفتوحة على الخطاب فقد أفادت أنَّ المقصود هو النبيُّ ﷺ على معنى: لا ترى يا محمد شيئاً إلا مساكنَهم(٩٢٠)، أو أنَّ المخاطب كلُّ من تتأتى منه الرؤية حينئذٍ على قول بعض العلماء، قال ابن عاشورٍ: «والخطاب في قوله: (لا تَرَى) لمن تتأتى منه الرؤية حينئذٍ إتماماً لاستحضار حالة الدمار العجيبة حتى كأنَّ الآية نازلةٌ في وقت حدوث هذه الحادثة»(٩٢١).

وقال الألوسي: «وقرأ الجمهور (لا تَرَى) بتاء الخطاب (إلا مساكنَهم) بالنصب، والخطاب لكلِّ أحدٍ تتأتى منه الرؤية تنبيهاً على أنَّ حالهم بحيث لو حضر كل أحدٍ بلادهم، لا يرى إلا مساكنهم، أو لسيد المخاطبين ﷺ»(٩٢٢).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الرؤيةَ لجميعِ من تتأتى منه الرؤية

---

(٩١٨) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٧ ص١٤.

(٩١٩) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص١٤، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٩٥.

(٩٢٠) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٣٥، فتح القدير ج٥ ص٣٢، حجة القراءات ص٦٦٦.

(٩٢١) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٥١.

(٩٢٢) روح المعاني ج٢٦ ص٢٦.

سواءٌ كان في عهد قوم هودٍ من غيرهم لمن حضر بلادهم، أو في عهد النبي ﷺ، وفي ذلك مزيد إعجازٍ وعبرةٍ، بأن جعل الله تعالى بيوتهم قائمةً حتى يراها كلُّ إنسانٍ ليستحضر حالة الدمار والهلاك الحاصلة بهم فيعتبر منها.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (يَقْدِرُ) بالياء وسكون القاف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِقَادِرٍ﴾ بالياء والألف[٩٢٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

القادر والقدير: من صفات الله تعالى يكونان من القُدْرَة، ويكونان من التقدير، والقادر: اسم فاعلٍ من قَدَرَ يَقْدِرُ، والقدير فعيل منه وهو للمبالغة[٩٢٤].

«والقدرة: إذا وصف بها الإنسان، فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيءٍ ما، وإذا وصف الله تعالى بها فهي نفيُ العجز عنه»[٩٢٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دليل قدرة الله تعالى على البعث والنشور، والإحياء بعد الإماتة ردّاً على الكفَّار المنكرين لحقيقة البعث يوم القيامة المستبعدين حدوثه، مع الاستدلال على ذلك بدليل قدرته الواسعة على خلق

(٩٢٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٥، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٩.

(٩٢٤) انظر اللسان ج٥ ص٧٤.

(٩٢٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٥٧.

السموات والأرض وما فيها بأيسر ما يمكن دون جهدٍ أو تعبٍ، قال ابن كثيرٍ: «يقول تعالى: أولم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون قيام الأجساد يوم المعاد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ أي: ولم يكرثه خلقهن بل قال لها كوني، فكانت بلا ممانعةٍ ولا مخالفةٍ، بل طائعةً مجيبةً خائفةً وَجِلَةً أفليس ذلك بقادرٍ على أن يحيي الموتى؟ كما قال ﷻ في الآية الأخرى ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧] ولهذا قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾»[٩٢٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ بصيغة اسم الفاعل تدل على ثبوت القدرة لله تعالى التي لا تساويها قدرةٌ، مع التأكيد على نفي ادعائهم وإنكارهم لحقيقة البعث والذي يدل عليه حرف الجر الَّذي سبق الاسم (بِقَادِرٍ)، قال البقاعي: «وأكد الإنكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في حيز (أن) فقال تعالى: ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ أي: قدرةً عظيمةً تامَّةً بليغةً»[٩٢٧].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]: «وأثبت الجار تحقيقاً للأمر، وتأكيداً للتقرير فقال: (بقادرٍ) أي: بثابتٍ له قدرةٌ لا يساويها قدرةٌ»[٩٢٨].

وأمَّا قراءة (يَقْدِرُ) بصيغة الفعل المضارع فإنها تفيد استمرار القدرة لله تعالى على الإحياء بعد الإماتة في المستقبل وعلى الدوام، حيث إنَّ الفعل المضارع يفيد الاستمرار، والتكرار، والتجدد، قال البقاعي: «ومعنى قراءة رويس عن يعقوب (يَقْدِرُ) بتحتانيةٍ مفتوحةٍ، وإسكان القاف من غير ألف،

(٩٢٦) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٧٤.

(٩٢٧) نظم الدرر ج٧ ص١٤٤.

(٩٢٨) المصدر السابق ج٦ ص٢٨٧ عند تفسيره للآية (٨١) من سورة يس.

ورفع الراء، أنَّه يجدد تعليق القدرة على سبيل الاستمرار»[٩٢٩]، وفي ذلك نفي العجز عن الله تعالى من كلِّ وجهٍ، كما أنَّ هذه القراءة فيها مزيد بيانٍ لقدرة الله تعالى، وزيادة استدلالٍ على البعث.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الآية فيها تأكيدٌ على كمال قدرة الله تعالى الواسعة في كل وقتٍ في الماضي والحال والمستقبل على الإحياء وغير ذلك مما تقتضيه حكمة الله تعالى، مع التأكيد على نفي إنكار الكفَّار لحقيقة البعث، وفي ذلك زيادة توبيخٍ وتقريعٍ للمشركين على جهلهم وانطماس بصائرهم حيث لم يعرفوا أنَّ الله تعالى الذي له هذه القدرة المطلقة الواسعة لقادرٌ على أنْ يعيدهم إلى الحياة بعد موتهم[٩٣٠].

(٩٢٩) نفس المصدر السابق ج٦ ص٢٨٧ عند تفسيره للآية (٨١) من سورة يس.

(٩٣٠) انظر التفسير الوسيط م١٣ ج٢٦ ص٥٠.

المبحث الثالث
عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة محمد
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [محمد: ٤].

القراءات:

١ - قرأ حفصٌ وأبو عمرو، ويعقوب ﴿قُتِلُواْ﴾ بضم القاف وكسر التاء.

٢ - قرأ الباقون (قاتَلُوا) بالألف وفتح التاء[٩٣١].

المعنى اللغوي للقراءات:

أصلُ القَتْلِ: إزالة الروح عن الجسد، كالموت، لكن إذا اعتُبِرَ بفعل المُتَوَلِّي لذلك يُقال: قَتْلٌ، وإذا اعتُبِرَ بِفَوت الحياةِ يُقال: مَوْتٌ. والمُقَاتَلَة: المحاربة وتحرِّي القَتْل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وهي على صيغة المفاعلة[٩٣٢] التي تعني المشاركة بين طرفي الفعل.

---

(٩٣١) انظر النشر في القراءات العشر ص٣٧٤، المبسوط في القراءات العشر ص٢٥٠.

(٩٣٢) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٠٠.

التفسير:

يأمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة المؤمنين بجهاد الكافرين، مع بذل الجهد في قتلهم لتطهير الأرض من رجسهم، حتى لا تبقى لهم شوكةٌ، ولا قوةٌ في الأرض ليكونوا أذلةً صاغرين أمام عزة المؤمنين، كما ويرشدهم ﷻ إلى كيفية التعامل معهم في المعارك والحروب، فأمر ﷻ المؤمنين بضَربِ رِقابِ الكافرين في القتال فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾، قال الزجاج: «أي فاضربوا الرّقاب ضرباً»[٩٣٣]، وقال القرطبي: «خصَّ الرّقاب بالذكر لأن القتل أكثر ما يكون بها»[٩٣٤]، قال الزمخشري: «وفي هذه العبارة ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل، لما فيها من تصوير القتل بأشنع صورةٍ، وهو حزّ العنق، وإطارة الرأس عن البدن، ولقد زاد من هذه الغلظة في قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝﴾» [الأنفال: ١٢][٩٣٥]، ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ أي: حتى إذا هزمتموهم وأكثرتم فيهم القتل والجراحات، ولم تبق لهم قوةٌ فأسروهم وشدوا عليهم الحبلَ، ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾، أي: فإمَّا أنْ تَمُنُّوا عليهم وتطلقوا سراحهم، وإمَّا أن تطلقوهم نظير فديةٍ، ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: حتى يضع أهل الحرب أسلحتهم فلا يقاتلون، وقيل: حتى لا يبقى أحدٌ من المشركين[٩٣٦]، ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ﴾ أي: ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبةٍ ونكالٍ من عنده، ولكنَّه أمركم بالجهاد وقتال الأعداء ليختبر إيمانكم وثباتكم ويظهر المطيع من العاصي، ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، أي: والذين استشهدوا وهم يدافعون عن دين الله فلن يُذْهِبَ أعمالهم بل يكثرها، وينميها، ويجازيهم عليها يوم القيامة[٩٣٧].

---

(٩٣٣) معاني القرآن وإعرابه ج٥ ص٦.

(٩٣٤) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥١٢، انظر فتح القدير ج٥ ص٤٣.

(٩٣٥) الكشاف ج٣ ص٥٣٠.

(٩٣٦) انظر مجمع البيان م٦ ج٢٦ ص٣٠.

(٩٣٧) انظر تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٧٦.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿قُتِلُواْ﴾ بضم القاف وكسر التاء بدون ألفٍ: أن الله تعالى وعد الذين قُتِلوا في سبيل الله تعالى على أيدي الكفار، بأنَّهم لن يُذْهِبَ عملهم وسيهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح بالهم في الآخرة، قال مكي بن أبي طالب: «وفي هذه القراءة قوةٌ وزيادة معنىً، وذلك أنَّ من قُتِل في سبيل الله لم يقتل حتى قاتل، فقد اجتمع له القتال في سبيل الله تعالى ثم القتل، فكان من قُتِل في قتال في سبيل الله، فقد قاتل، وليس كل من قاتل قُتِلَ»(٩٣٨).

وأما قراءة (قاتلوا) بالألف، وفتح التاء، فإنَّها تفيدُ أنَّ وَعْدَ الله تعالى عامٌّ لجميع من قاتل في سبيل الله تعالى سواءَ قُتِلَ أو لم يُقْتَل، قال ابن زنجلة: «وقرأ الباقون (قاتَلُوا) أعمُّ ثواباً وأبلغ للممدوح في المجاهدين في سبيل الله، لأنّه إذا فعل ذلك بالمقاتل في سبيله، وإن لم يُقْتَل ولم يَقْتُل كان أعمَّ من أن يكون ذلك الوَعْدُ منه لمن قُتِلَ دون من قاتل»(٩٣٩).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى وَعَدَ جميع من قاتل في سبيله ﷻ سواء قُتِلوا أو لم يُقتَلوا بأنَّه لن يُضَيِّع أعمالهم ولن يهلكها بل يجازيهم عليها في الآخرة، قال البقاعي: «وفي قراءة البصريين، وحفص ﴿قُتِلُواْ﴾ وهي أكثر ترغيباً، والأولى (قاتلوا) أعظم ترجيةً»(٩٤٠).

٢ ـ قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ

(٩٣٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٦.

(٩٣٩) حجة القراءات ص٦٦٦، انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٤٠٢.

(٩٤٠) نظم الدرر ج٧ ص١٥٣.

أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ [محمد: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ (أَسِنٍ) بغير مد بعد الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون (آسِنٍ) بالمد[٩٤١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الآسِنْ من الماء: مثل الآجن[٩٤٢]، يقال: أسِنَ الماء إذا تغيَّرت ريحه وطعمه تغيُّراً منكراً[٩٤٣].

التفسير:

يُبيِّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة الفرق بين المؤمنين والكافرين في الجزاء، والمآل يوم القيامة، فذكر ما أعدَّه الله تعالى للمؤمنين المتقين من أنواع النعيم الكثيرة التي لا تخطر على بالٍ، ومن جملتها، أنهارٌ من ماءٍ لا يتسرب إليه نتنٌ ولا رائحةٌ كريهةٌ ولا يتغير طعمه لطول المكث، وفيها أنهارٌ من لبن صابحٍ[٩٤٤] لا يتغير طعمه بحموضةٍ كلبن الدنيا، وفيها أنهارٌ من عسلٍ مصفًى، خالصٍ من الشمع والقذى والشوائب، ولهم أيضاً في الجنَّة من كل أصناف وأنواع الثمار وأشهاها وأحسنها، وإلى جانب كلِّ ذلك، لهم مغفرةٌ عظيمةٌ من ربهم لذنوبهم، وذكر مقابل ذلك، ما أعدَّه للكافرين من خلودٍ في نار جهنم وعذابٍ شديدٍ بما كانوا يكسبون في الدنيا، ومن جملة عذابهم، الماء الحميم شديد الغليان يُسقاه الكافرون فيقطع أمعاءهم، إلى

---

(٩٤١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٤.

(٩٤٢) الآجن: هو ما تغير طعمه ولونه ورائحته، انظر المعجم الوسيط ص٢٧.

(٩٤٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٦، لسان العرب ج١٣ ص١٦.

(٩٤٤) الصَّابح: البَيِّن، الواضح، المشرق، يقال: صَبُحَ الوجه صباحةً: أشرق وجَمُلَ، ولبنٌ صابحٌ أي: شديد البياض والوضوح. انظر المعجم الوسيط ص٥٣٠.

جانب أنواع العذاب الأخرى، فلا يستوي حال الكافرين وجزاؤهم، وحال المؤمنين وجزاؤهم بحال[945].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (غيرُ أسِنٍ) بدون مدٍّ على صيغة (فَعِلَ)، أنها إخبارٌ من الله تعالى عن الحال التي يكون عليها الماء حين جريه، والمعنى: أنَّ في الجنةِ أنهاراً من ماءٍ غير متغيرٍ في حال جريه[946].

وأمَّا قراءة (غيرُ آسِنٍ) بالمد على صيغة (اسم الفاعل) تفيد أنَّها إخبارٌ من الله تعالى عن حال الماء فيما لا يصير إليه في المستقبل مع طول المكث[947].

والمعنى: أنَّ في الجنَّة أنهاراً من ماءٍ لا يتغير على كثرة المكث[948].

قال الطبرسي: «قال أبو الحسن (أَسِنٍ) إنما هو للحال التي تكون عليها، ومن قرأ (آسِنٍ) على فاعل فإنَّما يريد أن ذلك لا يصير إليه فيما يستقبل...، المعنى: (فيها أنْهارٌ من ماءٍ غيرُ آسنٍ) أي: غير متغيرٍ لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا»[949].

الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً تكشفان عن صفة ماء الأنهار التي تجري في الجنَّة بأنَّه ماءٌ ثابتٌ غيرُ متغيرِ الطعم واللون والرائحة حال جريه، ولن يتغير مستقبلاً

(945) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص٢٦، فتح القدير ج٥ ص٤٩.

(946) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٧، الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٤٠٣.

(947) انظر حجة القراءات ص٦٧٧.

(948) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٧.

(949) مجمع البيان م٦ ج٢٦ ص٣٤.

مع طول المكث، «وإن أضيف إليه غيره فإنه لا يقبل التغير بوجهٍ»(٩٥٠)، والله تعالى أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ (عَسِيْتُم) بكسر السين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بفتح السين(٩٥١).

٣ ـ قرأ رويس (تُوُلِّيْتُم) بضم التاء والواو، وكسر اللام المشددة.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ بفتح التاء والواو واللام المشددة.

٥ ـ قرأ يعقوب (تَقْطَعُوا) بفتح التاء، وإسكان القاف، وفتح الطاء مخففةً.

٦ ـ قرأ الباقون ﴿وَتُقَطِّعُوٓا۟﴾ بضم التاء، وفتح القاف، وكسر الطاء مشددةً(٩٥٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ عسى: «فعلٌ جامدٌ من أخوات كادَ، وتكون للتَّرجِّي في المحبوب، والإشفاق في المكروه»(٩٥٣).

وقيل: عسى كلمة تكون للشك واليقين، فإذا وقعت من الله تعالى فهي يقين، وإذا وقعت من العباد فهي ظنٌّ(٩٥٤).

(٩٥٠) نظم الدرر ج٧ ص١٥٩.
(٩٥١) انظر غيث النفع ص٤٨٨، البدور الزاهرة ص٤١٢.
(٩٥٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٤، تحبير التيسير ص٢٠٨.
(٩٥٣) القاموس المحيط ص١١٨٠، منجد الطلاب ص٤٧٧.
(٩٥٤) انظر لسان العرب ج١٥ ص٥٤.

٢ ـ تولى: بمعنى أعرض، وولّى هارباً أي: أدبر وفرَّ، وتولّى الأمر: أي تقلّده، وتولاّه: أي اتخذه وليّاً[٩٥٥]، وإذا عدِّي تولّي بـ (عن) لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض، وترك قُرْبَةٍ، والتولّي قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار[٩٥٦].

٣ ـ القطع: فصل الشيء وإبانته عن أجزائه[٩٥٧]، والقطع: فصل الشيء مدركاً بالبصر، كقطع الأعضاء، أو مدركاً بالعقل، مثل: قطع الرحم، وهو الهجران، ومنع البرّ بهم[٩٥٨].

التفسير:

يخاطب الله تعالى في هذه الآية المنافقين الذين إذا أنزلت سورةٌ محكمةٌ وذُكِرَ فيها القتال، نظروا إلى رسول الله ﷺ، نظر المغشي عليه، فيقول لهم موبخاً ومحذراً إياهم .﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: إن تولّيتم عن تنزيل الله جل ثناؤه وفارقتم أحكام كتابه وأدبرتم عن محمدٍ ﷺ وعمّا جاء به، أن تفسدوا في الأرض بأن تعصوا الله، فتكفروا به وتسفكوا الدماء، وتقطعوا أرحامكم، وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرق، بعدما جمعكم الله بالإسلام، وألّف به بين قلوبكم[٩٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ ذهب علماء التفسير إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين في (عَسَيْتُم) بفتح السين و(عَسِيْتُم) بكسر السين، علاقة لُغويةٌ فقط، وعلى هذا فإنَّ

(٩٥٥) انظر القاموس المحيط ص١٢٠٩.
(٩٥٦) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٨٨.
(٩٥٧) لسان العرب ج٨ ص٢٢٦.
(٩٥٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٧٧.
(٩٥٩) انظر جامع البيان م١١ ج٢٦ ص٣٥.

معناهما واحدٌ، قال ابن عاشورٍ: «قرأ نافعٌ وحدَه (عَسِيْتُم) بكسر السين، وقرأه بقية العشرة بفتح السين، وهما لغتان[960] في فعل عسى إذا اتصل به ضمير، قال أبو علي الفارسي: وجه الكسر أنَّ فعله: عَسِيَ مثل رَضِيَ، ولم ينطقوا به إلَّا إذا أسند هذا الفعل إلى ضميرٍ وإسناده إلى الضمير لغة أهل الحجاز، أمَّا بنو تميم فلا يسندونه إلى الضمير البتة»[961].

٢ ـ ذهب بعض العلماء إلى أنَّ قراءة ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ بفتح التاء واللَّام بمعنى الإعراض والمعنى: إنْ أعرضتم عن الإسلام ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بقتل بعضكم بعضاً. وقيل: بمعنى الولاية لأمور النَّاس، والمعنى: إن تَوليتُم أمور النَّاس، ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالجور والظلم، والتعذيب والتنكيل وحجتهم في ذلك قراءة المبني للمفعول (تُوليتُم)[962].

وقال أبو حيانٍ: «والأظهر أنَّ ذلك خطاب للمنافقين في أمر القتال، وهو الذي سبقت الآيات فيه، أي إنْ أعرضتم عن امتثال أمر الله في القتال»[963].

وعلى كلِّ حالٍ فجميع ما ذكر من معانٍ تحتمله الآية لأن التولِّي والإعراض عن الإسلام وعن الجهاد، وتولِّي أمور النَّاس بالظلم والجور، كل ذلك ثمرته ونتيجته الإفساد في الأرض، وقطيعة الرَّحم.

وأمَّا قراءة (تُولِّيتُم) بضم التاء وكسر اللام على المبني للمفعول فمعناها وُليتُم أمور الناس وتقلدتموها، ووَكَّلَكُم الله إليهم[964]. وقيل: «المعنى إنْ وُلِّيَ عليكم ولاةُ جورٍ تحركتم معهم في الفتنة وعاونتموهم على ظلمهم»[965].

(٩٦٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥٢٩، فتح القدير ج٥ ص٥٥.
(٩٦١) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص١١٢.
(٩٦٢) انظر زاد المسير ص١٣١٣، معالم التنزيل ج٤ ص١٦٦.
(٩٦٣) البحر المحيط ج٨ ص٨٢.
(٩٦٤) انظر المحرر الوجيز ج٥ ص١١٨.
(٩٦٥) معاني القراءات ج٢ ص٣٨٨.

٣ ـ قراءة (تَقْطَعُوا أَرْحَامَكم) بدون تشديد تفيد مطلق القطع للرحم وهو مجرد الهجران، والمعنى: إن أعرضتم عن الإسلام أو توليتم أمور الناس بالظلم والتعذيب والجور، فإن ثمرة ذلك الإفساد في الأرض وقطع الرَّحم.

وأمّا قراءة ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ فإنها تفيد المبالغة في قطع الرحم مع التكثير، قال أبو منصور الأزهري: «من قرأ (وَتَقْطَعُوا) فهو من قولك قطع رحَمهُ يقطعها، ومن قرأ ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ﴾ فهو من (قَطَّعَ) رَحِمَهُ يُقَطِّعُهَا، وهو أبلغ في باب قطيعة الرَّحم من قَطَعَ يَقْطعُ»[٩٦٦].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ الله تعالى يخاطب المنافقين على سبيل التوبيخ والتهديد قائلاً لهم لعلكم أيها المنافقون إنْ أعرضتم عن دين الإسلام الذي جاء به محمدٌ ﷺ أو تولَّيتم أمور الناس وأعمالهم وظلمتم في الأرض، أو اتبعتم وُلاة الجور والظلم ودخلتم إلى دنياهم أن يؤدي ذلك إلى الإفساد في الأرض والتناحر ومقاتلة الأقارب وإهلاك البنات وهجران الرَّحم وقطعها، ومنع بِرِّهم كما كان ذلك سائداً أيام الجاهلية.

٤ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو (وَأُمْلِيَ لهم) بضم الهمزة، وكسر اللام وفتح الياء.

٢ ـ قرأ يعقوب (وَأُمْلِيْ لهم) بضم الهمزة، وكسر اللام وتسكين الياء.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ بفتح الهمزة واللام، وألفٍ بعدها[٩٦٧].

---

(٩٦٦) المصدر السابق ج٢ ص٣٨٨.

(٩٦٧) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٤، تحبير التيسير ص٢٠٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

الإملاء: الإمداد، ومنه قيل للمُدَّة الطويلة مَلاوَةٌ من الدَّهر، وَمَليٌّ من الدَّهر، يقال: تَملَّيتُ الثوب: تَمتَعتُ به طويلاً، ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٥] أي: أَمْهَلَ لهم، وأصلُ أَمْلَيْتُ: أَمْلَلْتُ فقلبت اللام ياءً تخفيفاً[٩٦٨].

التفسيـر:

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن حال الذين ارتدوا عن دين الله تعالى، وعادوا إلى الكفر بعد ما تَبَيَّن لهم طريق الحق والهداية بما جاءهم به رسول الله ﷺ من المعجزات الظاهرة والدلائل الواضحة، هؤلاء زيَّن لهم الشيطان خطاياهم، وسهلَّ لهم الوقوع فيها، وحسَّنَ لهم كفرهم، وخدعهم وغرَّهم بالأماني الكاذبة به، والآمال الزائفة، ووعدهم بطول العمر، ومدِّ الأجل[٩٦٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أَمْلَىَ لهم) بفتح الهمزة واللام على البناء للفاعل أنَّ الذي أملى لهم هو الشيطان على رأي بعض أهل التفسير، على معنى: الشيطان سوَّلَ لهم أي: زين لهم خطاياهم، وأملى لهم أي: مدَّ لهم الشيطان في الأماني والآمال الكاذبة ووعدهم بطول العمر[٩٧٠].

وقيل: إنَّ الذي أملى لهم هو الله تعالى وذلك بإسناد الفعل إلى الله ﷻ على رأي بعض أهل التفسير أيضاً، على معنى: الشيطان زين لهم كفرهم وخطاياهم، والله تعالى أملى لهم بأن أمهلهم الله ولم يعجل لهم

(٩٦٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٧٦ ـ ٧٧٧.

(٩٦٩) انظر التفسير المنير ج٢٦ ص١٢٣، التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص٣٢.

(٩٧٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥٣١، فتح القدير ج٥ ص٥٥.

العقوبة[٩٧١]، واختار هذا المعنى: الفراء[٩٧٢].

وقال ابن زنجلة: «قوله: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾، التسويل راجعٌ إلى الشيطان، والإملاء إلى الله»[٩٧٣].

وأمَّا قراءة و(أُمْلِيَ لهم) بضم الهمزة وكسر اللاَّم وفتح الياء على المبني للمفعول، والفعل ماضٍ، ولم يسَمِّ الفاعل، فيحتمل أن يكون الفاعل في المعنى: هو الله ﷻ، ويحتمل أن يكون الشيطان. إلَّا أنَّ القراءة بالبناء للمفعول تفيد تسهيل حدوث الفعل فى إطالة العمر وإسباغ النعم عليهم وتسهيل الأماني والأحلام، عن المعاجلة بالنِّقم، حتى اغتروا، وهي موافقة لقوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤ ـ ٤٥][٩٧٤]، وعلى القراءتين السابقتين يجوز المعنيان أي: يملي الشيطان ويملي الله تعالى، والله أعلم.

وأمَّا قراءة (وَأُمْلِي لَهُمْ) بضم الهمزة وكسر اللام، وتسكين الياء على البناء للفاعل، والفعل مضارع مسند إلى الله تعالى، فالله تعالى يخبر عن نفسه أنه يفعل ذلك[٩٧٥]، أي: أنه يمهل لهم في العذاب، وإسناد الفعل إلى الله مباشرةً فيه مزيد تهديدٍ ووعيدٍ لهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٣]، قال ابن عاشورٍ: «قرأ يعقوب بضم الهمزة، وكسر اللاَّم وسكون التحتية على أنَّه مُسنَد إلى المتكلم، فالضمير عائدٌ إلى الله تعالى، أي: الشيطان سوّل لهم، وأنا أملي لهم فيكون الكلام وعيداً، أي: أنا أؤخرهم قليلاً ثم أعاقبهم»[٩٧٦].

---

(٩٧١) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص٦٣.

(٩٧٢) انظر حجة القراءات ص ٦٦٩.

(٩٧٣) المصدر السابق ص٦٦٩.

(٩٧٤) انظر نظم الدرر ج٧ ص١٧١.

(٩٧٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥٣٢، إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣٢٥.

(٩٧٦) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص١١٦.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يَتَبيَّن أنَّ الله تعالى يخبر عن الشيطان ويخبر عن نفسه، أن الذين ارتدوا عن الإيمان بالله تعالى وعادوا إلى الكفر من بعد ما عرفوا الحقَّ، الشيطان سوَّل لهم كفرهم وارتدادهم عن دين الله تعالى، وأمْلَىَ لهم بأن شغل قلوبهم بالمعاصي عن الإيمان وأملهم بطول البقاء في الدنيا، وتحقيق الأماني، والله تعالى أملى لهم بأن أمهلهم ولم يعجل العقوبة لهم في الدنيا حتى إذا أخذهم لم يفلتهم الله تعالى، ويعذبهم عذاباً شديداً كما يستحقون بما عملوا وارتدوا عن دينه.

٥ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد: ٢٦].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون (أَسْرَارَهُم) بفتح الهمزة[٩٧٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

الإِسْرَارُ: نقيضُ الإعلان، ويستعمل في الأعيان والمعاني، والسِّرُّ: من الأسْرار التي تُكْتَم، والسِّرُّ هو الحديث المُكْتَم في النَّفْس، ويقال: أسْرَرْتُ إلى فلان حديثاً: أي: أفضيت إليه خفيةً، وأسَّر الشيء كتمه[٩٧٨].

التفسير:

بعد أن ذكر الله ﷻ حال الكافرين الذين ارتدوا عن دين الله تعالى، وتغرير الشيطان بهم، بيَّن في هذه الآية الكريمة سبب إضلال الشيطان لهم،

(٩٧٧) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٤.

(٩٧٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٠٤.

واستيلائه عليهم بالتسويل والإملاء، «أنَّ هؤلاء المنافقين، وغيرهم من اليهود الذين ارتدوا على أدبارهم قالوا للذين أبغضوا ما نزَّل الله في قرآنه، وهم المشركون أو يهود بني قريظة والنضير، من يهود المدينة: سنطيعكم في بعض الأمور، كعداوة النبي ﷺ، ومخالفة ما جاء به، والقعود عن الجهاد معه، أي: إنَّهم مالؤوهم وتآمروا معهم سِرّاً أو في الباطن، وهكذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون، لذا كشفهم له وأبان أنَّه يعلم ما يسرُّون وما يعلنون، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ [النساء: ٨١]»[٩٧٩].

يقول المراغي: «ولا يخفى ما في ذلك من الوعيد وشديد التهديد»[٩٨٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿إِسۡرَارَهُمۡ﴾ بكسر الهمزة، بالقراءة على المصدر وهي اسم جنس من أسرَرْتُ إسراراً، أنَّ المقصود من ذلك: أنَّ الله يعلم إخفاءهم وهو ما أسرُّوه في أنفسهم وما قالوه لليهود في الخفاء ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾.

وأمَّا قراءة (أَسْرَارَهُم) بفتح الهمزة بالقراءة على الجمع من سر، فقد أفادت أن المقصود من ذلك: أن الله يعلم جميع أسرارهم التي أخفوها ومنها قولهم هذا الذي أظهره الله لفضحهم[٩٨١]، والجمع لاختلاف ضروب الإسرار من بني آدم[٩٨٢].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أن الله تعالى يخبر على سبيل التهديد

(٩٧٩) التفسير المنير ج٢٦ ص١٢٤.

(٩٨٠) تفسير المراغي م٩ ج٢٦ ص٧٠.

(٩٨١) انظر روح المعاني ج٢٦ ص٧٥.

(٩٨٢) انظر حجة القراءات ص٦٦٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٨، الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥٣٢.

والوعيد للمنافقين، أنَّه يعلم جميع ما يسرُّ هؤلاء المنافقون من أقوالٍ وأسرارٍ ومن جملتها إسرارهم لليهود بعداوة النبي ﷺ، وطاعتهم في بعض الأمور من مخالفة ما جاء به النبي ﷺ، والقعود عن الجهاد.

٦ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨].

القراءات:

١ ـ قرأ شُعبة (رُضْوَانَه) بضم الراء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿رِضْوَٰنَهُۥ﴾ بكسر الراء(٩٨٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

الرِّضى: ضد السخط، ويقال: رضي يرضى رضًى، فهو مرضيٌّ ومرضوٌّ، وأرضاه: أعطاه ما يُرضيه، واسترضاه وترَضّاه طلب رضاه ورَضِيَّته(٩٨٤).

ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمِراً لأمره، ومنتهياً عن نهيه، والرِّضوان: الرِّضا الكثير(٩٨٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن سبب العذاب الذي يصيب المنافقين والكافرين الذين ارتدوا عن دين الله تعالى عند قبض أرواحهم وذلك في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد: ٢٧]،

(٩٨٣) انظر البدور الزاهرة ص٤١٢، غيث النفع ص٤٨٩.

(٩٨٤) انظر القاموس المحيط ص١١٦٠.

(٩٨٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٥٦.

فبيَّن ﷻ في هذه الآية الكريمة سبب ذلك الضرب عند التوفِّي فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: «ذلك التوفِّي على الصفة المذكورة بسبب اتباعهم ما يُسخطُ الله من الكفر والمعاصي، وتآمرهم مع أعداءِ الله على معاداة ومحاربة النبي ﷺ، وكراهيتهم ما يرضي الله من الإيمان الحق، والتوحيد والطاعة، فأبطل أعمالهم الخيرية بهذا السبب، ومنها ما عملوا من الخير قبل الرِّدَّة»(٩٨٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب معظم العلماء إلى أن العلاقة بين القراءتين علاقةٌ لغويةٌ، ومعناهما واحدٌ.

قال السمرقندي: «قرأ عاصمٌ في رواية أبي بكرٍ (رُضْوانَه) بضم الراء، والباقون بالكسر، وهما لغتان، وتفسيرهما واحدٌ»(٩٨٧).

وقال مكي بن أبي طالب: «قوله ﴿رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ قرأه أبو بكرٍ بضم الراء حيث وقع، إلَّا في المائدة: ﴿رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦] فإنَّه كسر كالجماعة، وقرأ الباقون بالكسر حيث وقع، وهما مصدران بمعنىً واحدٍ، فالكسر كالحِرْمان، والضَّم كالشُكْران»(٩٨٨).

وقيل: إنَّ المكسور اسمٌ ومنه: رضوان خازن الجنَّة، والمضموم مصدر، إلَّا أن الألوسي نفى صحة هذا القول فقال: «وقيل: المكسور اسمٌ، والمضموم مصدرٌ، وهو قولٌ لا ثبت له»(٩٨٩).

ويحتمل أن يكون لكلِّ قراءةٍ أثرٌ في المعنى حيث إنَّ (رُضْوان) بالضم

---

(٩٨٦) التفسير المنير ج٢٦ ص١٢٥.

(٩٨٧) بحر العلوم ج١ ص٢٥٢، عند تفسيره للآية (١٥) من سورة آل عمران.

(٩٨٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٣٣٧، عند حديثه عن: (رِضوان، ورُضوان) في الآية (١٥) من سورة آل عمران.

(٩٨٩) روح المعاني ج٣ ص١٠١، عند تفسيره للآية (١٥) من سورة آل عمران.

فيها تفخيمٌ للراء ممَّا يدل على تفخيم وتعظيم ذلك الرِّضوان الذي كرهه هؤلاء المرتدون عن دين الله تعالى، فاستعمال المصدر من الرضى وهو (الرضوان) فيه مبالغةٌ في معنى الرِّضى، وتفخيم الراء بالضم فيه زيادة مبالغةٍ في معنى الرِّضى، ليدل على أن سبب عذابهم وضربهم عند توفِّيهم هو بسبب كراهتهم أعظم أسباب رضا الله وهو الإيمان، والجهاد في سبيل الله تعالى.

وأمَّا قراءة (رِضْوان) بالكسر وترقيق الراء فتدل على أنَّ سبب عذابهم هو بسبب كراهتهم لسائر الطاعات المؤدية إلى رضوانه تعالى وهي أخف ما يكون على النفس، وأقلُّ ما يؤدي إلى رضوانه.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أن هؤلاء المرتدين كرهوا جميع ما يؤدي إلى رضوانه ﷻ، فهم كرهوا أعظم أسباب رضاه، وهو الإيمان بالله تعالى وطاعة رسوله، والجهاد في سبيله، وهم لما دونه بالقعود عن سائر الطاعات أكره(٩٩٠)، والله تعالى أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكرٍ (وَلَيَبْلُونَّكم ـ يَعْلمَ ـ يَبْلُوَ) بالياء في الثلاثة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ ـ ﴿نَعْلَمَ﴾ بالنون.

٣ ـ قرأ رويسٌ (نَبْلوْا) بإسكان الواو.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾ بفتح الواو(٩٩١).

---

(٩٩٠) انظر نظم الدرر ج٧ ص١٧٣.

(٩٩١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٥، تحبير التيسير ص٢٠٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ «البلاء: المحنة تنزل بالمرء ليُختبر بها، والغم والحزن، والجهد الشديد في الأمر»[٩٩٢]. يقال: بَلَوتُ الرَّجلَ بلواً وبَلاءً، وابتليته: اختبرته، وبلاه: إذا جَرَّبه واختبره، وابتلاه الله: امتحنه، والبلاء يكون في الخير والشر[٩٩٣].

٢ ـ يعلم: سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٣٥) من سورة الشورى[٩٩٤].

التفسيـر:

يخاطب الله تعالى في هذه الآية عباده المؤمنين قائلاً لهم: «ولنختبرنكم بالأمر والجهاد، وسائر التكاليف الشاقَّة حتى يُمَيِّزَ المجاهد الصابر من غيره، ويُعْرَف ذو البصيرة في دينه من ذي الشك والحَيْرةَ فيه، والمؤمن من المنافق، ونبلوَ أخباركم، فنعرف الصادق منكم في إيمانه من الكاذب»[٩٩٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَلَيَبْلُوَنَّكم ـ يَعْلَمَ ـ يَبْلُوَ) بياء الغيبة، الإخبار من النبي ﷺ عن الله ﷻ، على معنى: ليختبرنَّكم الله، على رأي بعض العلماء، قال ابن خالويه: «ولنبلونكم حتى نعلم، (ونبلوَ أخباركم) يقرأان بالياء والنون، فالحجة لمن قرأ بالياء: أنّه جعله من إخبار النبي عن الله ﷻ، والحجة لمن قرأه بالنون: أنّه جعله من إخبار الله ﷻ عن نفسه»[٩٩٦]. أو هي إخبارٌ

(٩٩٢) المعجم الوسيط ص٩١.

(٩٩٣) انظر لسان العرب ج١٤ ص٨٣.

(٩٩٤) انظر ص١٤٣ من هذا البحث.

(٩٩٥) تفسير المراغي م٩ ج٢٦ ص٧٢.

(٩٩٦) الحجة في القراءات السبع ص٣٢٩.

من الله تعالى بياء الغيبية عن نفسه، وذلك على نسق قوله تعالى في الآية التي سبقتها ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٠](٩٩٧).

وأمَّا قراءة ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ - ﴿نَعۡلَمَ﴾ - ﴿وَنَبۡلُوَاْ﴾ بالنون، فقد أفادت أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه بنون العظمة على معنى: «لنختبرنَّكم بالحرب حتى نعلم المجاهدين منكم ونعلم الصابرين لأمر الله»(٩٩٨). وحجتهم في ذلك أنها جاءت بعد إخبارٍ من الله تعالى بالنون أيضاً وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾ [محمد: ٣٠](٩٩٩)، وفي هذه القراءة التفات من الغيبية إلى التكلم بنون العظمة تعظيماً لله تعالى، وبيان قدرته الواسعة على ابتلاء جميع النّاس بالأوامر الشديدة على النفوس بما له من صفات العظمة.

وأمَّا قراءة (نبلُوْا) بتسكين الواو، فهي استئنافٌ بعد انقطاعٍ عمَّا قبله، والمعنى: (سنبلوا أخباركم)(١٠٠٠).

قال ابن عطية: «وروى رويسٌ عن يعقوب: (ويبلُوْا) بالرفع على القطع، والإعلام بأن ابتلاءه دائمٌ»(١٠٠١).

الجمع بين القراءات:

القراءات جميعها أفادت أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه أنه سيبتلي المؤمنين حتى يظهر المجاهدين في سبيله والصابرين على مشاقِّ الجهاد، من غيرهم، إلَّا أنَّ إسناد الفعلِ إلى الله تعالى بنون العظمة فيه مزيد تأكيدٍ على حقيقة الابتلاء بما هو شاقٌّ على نفوس المؤمنين جميعهم دون استثناءٍ،

---

(٩٩٧) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٨، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص١٠٤.

(٩٩٨) معاني القراءات ج٢ ص٢٨٩.

(٩٩٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٨، مجمع البيان م٦ ج٢٦ ص٤٥.

(١٠٠٠) انظر معاني القراءات ج٢ ص٢٨٩.

(١٠٠١) المحرر الوجيز ج٥ ص١٢١.

وعلى الدوام، بما تفيده قراءة الفعل (ويبلُوْا) بالرفع، ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب، مع تعظيم ذلك الابتلاء، كما أنَّ في هذه القراءة مزيد تشريفٍ وتعظيمٍ لهؤلاء المؤمنين الذين يبتليهم الله تعالى بنفسه.

٨ ـ قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، وخلفٌ، وأبو بكرٍ (السِّلْم) بكسر السين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلسَّلْمِ﴾ بفتح السين[(١٠٠٢)].

المعنى اللغوي للقراءات:

السِّلْم والسَّلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والسَّلام والسِّلْم والسَّلْم: الصلح، وقيل: السِّلم اسم بإزاء حرب، والإسلام: الدخول في السِّلم، وهو أن يَسْلَمَ كل واحدٍ منهما أن يناله من ألم صاحبه[(١٠٠٣)]، «والسَّلْمُ: الاستسلام والتسليم، والأسر من غير حربٍ»[(١٠٠٤)].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينهى الله تعالى المؤمنين أن يضعفوا عن مقاتلة المشركين، ويدعوهم إلى الصلح والمسالمة على سبيل الخوف منهم، ما دامت كفة المؤمنين راجحةً في الحرب ولهم الغلبة على عدوهم، ويبشِّرُ المؤمنين بأنَّه معهم بالنصر والتمكين ولن ينقصهم من ثواب أعمالهم شيئاً.

قال ابن كثيرٍ: «﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي: لا تضعفوا عن الأعداء ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى

(١٠٠٢) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٨، المبسوط في القراءات العشر ص٢٥١.

(١٠٠٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٣.

(١٠٠٤) المعجم الوسيط ص٤٧٢.

﴿ٱلسَّلۡمِ﴾ أي: المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم، وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عَددِكُم، وَعُدَدِكُم، ولهذا قال ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ أي: في حال عُلوِّكُم على عدوِّكم فأمَّا إذا كان الكفار فيهم قوة، وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحةً، فله أنْ يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صدَّه كفَّار قريشٍ عن مكة، ودعوه إلى الصلح، ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم ﷺ إلى ذلك، وقوله جَلَّت عظمتُه ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ فيه بشارةٌ عظيمةٌ بالنّصر والظفر على الأعداء، ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ أي: ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إيَّاها، بل يوفِّيكم ثوابها، ولا ينقصكم منها شيئاً، والله أعلم»(١٠٠٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أنَّ القراءتين (السَّلم والسِّلْم) بمعنىً واحدٍ وهما لغتان ومعناهما: الصلح والمسالمة، قال مكي بن أبي طالب: «قوله: ﴿وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ قرأه أبو بكرٍ، وحمزة بكسر السين، وفتحها، وهما لغتان يُراد بها الصُلح»(١٠٠٦).

وقال حقّي: «(السّلْم) بفتح السين وكسرها لغتان بمعنى الصلح، أي: ولا تدعوا الكفَّار إلى الصلح فوراً فإنَّ ذلك فيه ذلةٌ»(١٠٠٧).

وذهب البعض إلى أن (السِّلْم) بالكسر بمعنى الاستسلام، قال السمرقندي: «قرأ حمزة في رواية أبي بكرٍ: إلى السِّلم، بكسر السين، والباقون: بالنصب، قال بعضهم: وهما لغتان وقال بعضهم: أحدهما صلحٌ، والآخر استسلامٌ»(١٠٠٨).

(١٠٠٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٨٤.

(١٠٠٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٩، انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٤٠٧.

(١٠٠٧) روح البيان ج٨ ص٥٤٧.

(١٠٠٨) بحر العلوم ج٣ ص٢٤٧.

وذهب بعض العلماء إلى أنَّ قراءة (السَّلم) بالفتح بمعنى الصلح والمسالمة، وأمَّا قراءة (السِّلْم) بالكسر فهي بمعنى الإسلام(١٠٠٩).

قال ابن عطية: «وفرقةٌ ممن كسر السين إنَّه بمعنى الإسلام، أي: لا تهنوا وتكونوا داعين إلى الإسلام فقط دون مقاتلين بسببه»(١٠١٠).

وقال ابن زنجلة: «(السِّلْم بالكسر: الإسلام، كقوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال: ٦١] أي: الإسلام، وبالفتح: الصلح»(١٠١١).

ويشير ابن عباسٍ إلى هذا المعنى بقوله: «﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ إلى الصلح، ويُقال: إلى الإسلام قبل القتال»(١٠١٢).

وبناءً على ما تقدم يمكن أن يكون معنى قراءة ﴿ٱلسَّلْمِ﴾ بالفتح: المصالحة والمسالمة، وقراءة (السِّلْم) بالكسر الإسلام.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: الله تعالى ينهى المؤمنين أن يضعفوا ويكونوا داعين إلى الإسلام فقط دون أن يقاتلوا بسببه، أو أن يدعوا الكفار إلى المسالمة والمصالحة ابتداءً خوفاً منهم، في حال أنَّهم الأعلون ولهم الغلبة على عدوِّهم، لأنَّ في ذلك ذلةً للمؤمنين.

قال سيد طنطاوي: «قالوا: ومحل النهي عن الدعوة إلى صلح الكفَّار ومسالمتهم، إذا كان هذا الصلح أو تلك المسالمة تؤدي إلى إذلال المسلمين، أو إظهارهم بمظهر الضعيف القابل لشروط أعدائه، أمَّا إذا كانت الدعوة إلى السِّلم لا تضر بمصلحة المسلمين فلا بأس من قبولها، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١](١٠١٣).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١٠٠٩) انظر جامع البيان ج٢ ص٣٢٣، عند تفسيره للآية (٢٠٨) من سورة البقرة.

(١٠١٠) المحرر الوجيز ج٥ ص١٢٢.

(١٠١١) حجة القراءات ص٦٧٠.

(١٠١٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص٤٣٠.

(١٠١٣) التفسير الوسيط م١٣ ج٢٦ ص١٠١.

الفهارس العامة

* - فهرس المصادر والمراجع.
* - فهرس الموضوعات.



فهـرس المصـادر والمراجـع

١ - الإبانة عن معاني القراءات/ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق: د. محي الدين رمضان - دار المأمون للتراث - دمشق - ط١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢ - أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية/ للدكتورة نجاة عبدالعظيم الكوفي - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٨٩م.

٣ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر/ للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي، الشهير بالبنا - وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤ - الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها/ لحسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط١ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٥ - الاختلاف بين القراءات/ لأحمد البيلي - دار الجيل - بيروت - ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦ - الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني/ لإياد السامرائي (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. tafsir. net).

٧ - الأساس في التفسير/ لسعيد حوى - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨ - أسباب النزول/ لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨هـ - تحقيق: أيمن صالح شعبان - دار الحديث - القاهرة - ٢٠٠٣م.

٩ - أسباب النزول/ للإمام السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق حامد أحمد الطاهر - القاهرة - دار الفجر للتراث - ط١ - سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠ - إعراب القراءات السبع وعللها/ لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني الشافعي - تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١١ ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه/ لمحي الدين الدرويش ـ اليمامة للطباعة والنشر ـ دمشق ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.

١٢ ـ الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل/ لبهجت عبدالواحد صالح ـ دار الفكر للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ ط٢ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٣ ـ الأعلام ـ قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين من العرب، والمستعربين والمستشرقين/ لخير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٩٨٠م.

١٤ ـ الأفعال في القرآن الكريم دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته/ للدكتور عبدالحميد مصطفى السيد ـ دار الحامد للنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ٢٠٠٤م.

١٥ ـ الإقناع في القراءات السبع/ للشيخ الإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المتوفى سنة ٥٤٠هـ ـ تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٦ ـ البحر المحيط/ لأبي حيان الأندلسي ـ دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٧ ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة/ للشيخ عبدالفتاح عبدالغني القاضي ـ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٨ ـ البرهان في علوم القرآن/ لمحمد بن عبدالله الزركشي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٩ ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني/ لفاضل صالح السامرائي ـ شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٢٠ ـ تاج العروس من جوهر القاموس/ للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ـ تحقيق: د. حُسين نصار ـ دار الهداية، للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط١٣٦٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٢١ ـ التبيان في إعراب القرآن/ لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العبكري: دار الفكر ـ ١٤٢١هـ.

٢٢ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن/ لشهاب الدين المصري ـ تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي ـ دار الصحابة للتراث ـ طنطا ـ القاهرة ـ ١٩٩٢م.

٢٣ ـ تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة/ للإمام محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري المتوفى سنة ٨٣٢هـ ـ دار الصحابة للتراث ـ ٢٠٠٤م.

٢٤ ـ التعبير القرآني / للدكتور فاضل صالح السامرائي ـ مطابع جامعة الموصل ـ ١٩٨٩م.

٢٥ ـ تفسير أبي السعود ـ المسمَّى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ـ تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ لبنان ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٦ ـ تفسير البيضاوي ـ المسمَّى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل/ للإمام ناصر الدين أبي سعد عبدالله بن أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ـ مكتبة البحوث والدراسات ـ دار الفكر ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٧ ـ تفسير التحرير والتنوير/ للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ـ دار سُحنُون للنشر والتوزيع ـ تونس.

٢٨ ـ تفسير الثعالبي المسمَّى (الحسان في تفسير القرآن) لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٢٩ ـ تفسير السعدي ـ المسمَّى بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ ط جديدة ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٠ ـ تفسير السمرقندي ـ المسمَّى بحر العلوم/ لأبي الليث ناصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، المتوفى سنة ٣٧٥هـ ـ تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض ـ والشيخ عادل عبدالمجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣١ ـ تفسير الشعراوي/ لمحمد متولي الشعراوي: أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة.

٣٢ ـ تفسير القاسمي ـ المسمَّى بمحاسن التأويل/ لمحمد جمال الدين القاسمي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٣٣ ـ تفسير القرآن العظيم/ للإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير القرشي الدمشقي ـ المتوفى سنة ٧٧٤هـ ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٤ ـ تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاتحة ـ البقرة ـ آل عمران) رسالة ماجستير/ إعداد الباحث: عبدالله الملاحي ـ إشراف الدكتور مروان ابو راس ـ ٢٠٠٢م ـ الجامعة الإسلامية.

٣٥ ـ تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (الإسراء ـ الكهف ـ مريم) رسالة ماجستير إعداد الباحثة آمال خميس حماد ـ إشراف الدكتور عبدالرحمن الجمل ـ ٢٠٠٦م ـ الجامعة الإسلامية.

٣٦ - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب/ للإمام محمد الرازي المسمَّى بالفخر الرازي - دار الفكر للطباعة والنشر - ط١ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٧ - تفسير المراغي/ للأستاذ أحمد مصطفى المراغي - أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم - دار الفكر.

٣٨ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ لوهبي الزحيلي - دار الفكر - دمشق - ط٢ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٩ - تفسير النسفي/ لأبي البركات النسفي - مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - مصر.

٤٠ - تفسير النيسابوري - المسمَّى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان / لنظام الدين الحسن النيسابوري - القاهرة - دار الصفوة للنشر والتوزيع ١٩٩٥م.

٤١ - التفسير الواضح/ للدكتور: محمد محمود حجازي - دار التفسير للطبع والنشر - الزقازيق - ط١٠ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٢ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ تأليف د. محمد السيد طنطاوي - مطبعة السعادة - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٤٣ - تفسير زاد المسير في علم التفسير/ لعبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ - تحقيق: زهير الشاويش - دار بن حزم للطباعة والنشر - بيروت - ط١ جديدة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٤ - تقريب النشر في القراءات العشر/ لابن الجزري - تحقيق وتقديم: إبراهيم عطوة عوض - دار الحديث - القاهرة - ط٣ - ١٤١٦هـ.

٤٥ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس/ لأبي طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي - دار الفكر.

٤٦ - توجيه اللُّمع/ للعلامة أحمد بن الحسين بن الخباز - شرح كتاب اللُّمع/ لأبي الفتح ابن جني، دراسة وتحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٧ - جامع البيان عن تأويل القرآن/ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط٣ - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٤٨ - الجامع لأحكام القرآن/ لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - راجعه وعلق عليه، الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي - وخرج أحاديثه الدكتور محمود حامد عثمان - دار الحديث - القاهرة - ط١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٩ - حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي/ لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة ١١٩٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٠ ـ حجة القراءات/ للإمام أبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٥١ ـ الحجة في القراءات السبع/ للإمام ابن خالويه ـ تحقيق وشرح: الدكتور عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٢ ـ الحجة للقراء السبعة/ لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي ـ المتوفى سنة ٣٧٧هـ ـ وضع حاشيته: كامل مصطفى الهنداوي ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٥٣ ـ الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون/ لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦هـ ـ تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ـ دار القلم بدمشق.

٥٤ ـ روح البيان في تفسير القرآن/ للشيخ إسماعيل حقِّي بن مصطفى الحنفي المتوفى سنة ١١٢٧هـ ـ ضبطه وصححه: عبداللطيف حسن عبدالرحمن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٥٥ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٥٦ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة/ لمحمد ناصر الدين الألباني، الرياض ـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط١ ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٥٧ ـ سنن البيهقي الكبرى/ لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ ـ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ـ مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٨ ـ سنن الترمذي/ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ـ المتوفى سنة ٢٧٩هـ ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٥٩ ـ السنن الكبرى/ لأحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ ـ تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداوي، سيد كسروي حسن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٦٠ ـ سير أعلام النبلاء/ لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبدالله، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي ـ دار الرسالة ـ بيروت ـ ط٩ ـ ١٤١٣هـ.

٦١ - الشامل في القراءات المتواترة/ للدكتور محمد حبش - دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦٢ - شذا العرف في فن الصرف/ للأستاذ الدكتور أحمد الحملاوي - المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان.

٦٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٦٤ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/ لمحمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث - القاهرة - طبعة جديدة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦٥ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ لإسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - ط٢ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٦ - صحيح بخاري/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الحنفي المتوفى سنة ٢٥٦هـ - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - لبنان - ط٣ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٧ - صحيح مسلم/ لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٦٨ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) / لمحمد ناصر الدين الألباني - بيروت - المكتب الإسلامي - ط٣ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٦٩ - الطبقات الكبرى/ لمحمد بن سعيد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري المتوفى سنة ٢٣٠هـ - دار صادر - بيروت.

٧٠ - طبقات المفسرين/ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ - تحقيق: علي محمد عمر - مكتبة وهبة - القاهرة - ط١ - ١٣٩٦هـ.

٧١ - علوم القرآن - مدخل إلى تفسير القرآن وبيانه وإعجازه/ الدكتور عدنان محمد زرزور - المكتب الإسلامي - بيروت - ط٢ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧٢ - غاية النهاية في طبقات القراء/ لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري - دار الكتب العملية - بيروت - ط٣ - ١٩٨٢م.

٧٣ - غيث النفع في القراءات السبع/ لعلي النوري الصفاقسي - ضبطه وصححه: محمد عبدالقادر شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧٤ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري/ لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، بيروت - دار المعرفة - سنة النشر ١٣٧٩هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب.

٧٥ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥هـ - حققه وخرج أحاديثه: سيد إبراهيم - دار الحديث - القاهرة - ط٣ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧٦ - في ظلال القرآن/ لسيد قطب - دار الشروق - القاهرة - ط١٥ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٧ - القاموس المحيط/ لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧٨ - القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي/ للدكتور محمود أحمد الصغير - دار الفكر - بيروت - لبنان ١٩٩٩م.

٧٩ - القراءات وأثرها في علوم اللغة/ للدكتور محمد سالم محيس: دار الجيل - بيروت - ط١ - ١٩٩٨م.

٨٠ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل/ لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ - دار الفكر للطباعة والنشر.

٨١ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/ لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي المتوفى سنة ١٠٦٧هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨٢ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها/ لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ - تحقيق: د. محي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٥ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨٣ - لباب النقول في أسباب النزول/ لجلال الدين السيوطي - خرج أحاديثه: محمود بن الجميل - مكتبة الصفا - القاهرة - ط١ - ٢٠٠٢م.

٨٤ - اللباب في علوم الكتاب/للإمام أبي حفص عُمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي - تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود - الشيخ علي محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٥ - لسان العرب/ للإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري المتوفى سنة ٧١١هـ - دار الفكر - بيروت.

٨٦ - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل/ للدكتور فاضل صالح السامرَّائي - القاهرة - شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، ط٢ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٨٧ - المبسوط في القراءات العشر/ لأبي بكر محمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني المتوفى سنة ٣٨١هـ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ٢٠٠٣م.

٨٨ - مجمع البيان في تفسير القرآن/ للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان.

٨٩ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لابن عطية الأندلسي - تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٩٩٣م.

٩٠ - المستنير في القراءات العشر/ للإمام أبي ظاهر سوار المتوفى سنة ٤٩٦هـ - علق عليه: جمال الدين محمد شرف - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر.

٩١ - المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة - الإعراب - التفسير/ للدكتور محمد سالم محيسن - دار الجيل - بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩٢ - مسند أحمد/ لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ - مؤسسة قرطبة - مصر.

٩٣ - مسند الإمام الشافعي/ لمحمد بن إدريس أبو عبدالله الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ - دار الكتب العملية - بيروت - لبنان.

٩٤ - مشاهير علماء الأمصار/ لمحمد بن حيان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩م.

٩٥ - مصنف ابن أبي شيبة/ لأبي بكر عبدالله محمد بن أبي شيبة الكوفي، المتوفى سنة ٢٣٥هـ، الرياض - مكتبة الرشد - ط١ - سنة ١٤٠٩هـ، تحقيق كمال يوسف الحوت.

٩٦ - معالم التنزيل المسمَّى بتفسير البغوي/ لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى سنة ٥١٠هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٩٧ - معاني الأبنية في العربية/ لفاضل السامرائي - ط١ - ١٩٨١م.

٩٨ - معاني القراءات/ لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ - تحقيق: د. مصطفى درويش - د. عوض بن حمد القوزي.

٩٩ - معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج - أبي اسحق إبراهيم بن السَّري المتوفى سنة ٣١١هـ - شرح وتحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي - عالم الكتب - بيروت - ط١ - ١٤٠٨هـ.

١٠٠ ـ معاني القرآن/ لأبي بكر زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠١ ـ معاني النحو/ للدكتور فاضل السامرَّائي ـ القاهرة ـ شركة العاتك لصناعة الكتاب ط٢ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٠٢ ـ المعجم الأوسط/ لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ ـ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ـ دار الحرمين ـ القاهرة ـ ١٤١٥هـ.

١٠٣ ـ المعجم الكبير/ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ ـ تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ـ ط٢ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠٤ ـ المعجم الوسيط/ للدكتور إبراهيم أنيس ـ وآخرون.

١٠٥ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن/ لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٠٦ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/ لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق: طيار آلتي قولاج ـ ط١ ـ استانبول ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠٧ ـ المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات/ للدكتور أحمد سعيد الخطيب (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. tafsir. net).

١٠٨ ـ مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني/ لأبي العلاء الكرمي المتوفى سنة ٥٦٣هـ ـ دراسة وتحقيق: د. عبدالكريم مصطفى مدلج ـ دار بن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٠٩ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن/ للأستاذ الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١١٠ ـ منجد الطلاب في اللغة والأعلام/ عن منجد معلوف اليسوعي ـ نظر فيه ووقف على ضبطه: فؤاد إفرام البُستاني ـ ط٣٨ ـ دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان.

١١١ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين/ لابن الجزري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١١٢ ـ منهج الإمام الطبري في تفسيره (رسالة ماجستير) / للدكتور عبدالرحمن يوسف الجمل بإشراف: د. فضل عباس ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١١٣ ـ موسوعة الحروف في اللغة العربية/ للدكتور إميل بديع يعقوب، دار الجيل بيروت ـ ط١ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١١٤ ـ النشر في القراءات العشر/ للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١١٥ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ ـ دار الكتب العملية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١١٦ ـ وفيات الأعيان وأنباء الزمان/ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٨٨هـ ـ تحقيق: الدكتور إحسان عباسي/ دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٨م.

فهرس الموضوعات







